الارث والاسلام

الحسين

إنَّ الدين عند الله الاسلام

الجزء الثاني

من

كتاب

الدين والاسلام

او

الدعوة الاسلامية

لمؤلفه

محمد الحسين

آل كاشف الغطاء النجفي

طبع على نفقة الشركة العراقيه

طبع في مطبعة العرفان ☆ صيدا سنة ١٣٣١ ه

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منه

الجزء الثاني

من

كتاب

الدين والاسلام

او

الدعوة الاسلامية

لمؤلفه

محمد الحسين

آل كاشف الغطاء النجفي

طبع على نفقة الشركة العراقيه

طبع في مطبعة العرفان ☆ صيدا سنة ١٣٣٠ ﻫ

رسم خط المؤلف

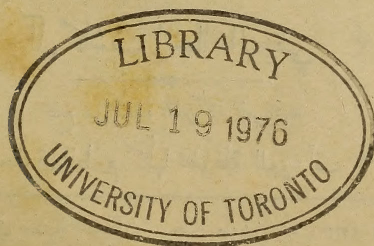
بسم الله الرحمن الرحيم

إن كان حقاً على المؤلفين — جعل مؤلفاتهم هدية باسم كبير من كبراء الدهر — فأيّ زعيم أكبر من سيد الأنبياء (محمد) صلوات الله عليه وآله — حتى اجعل دعوتي هذه هدية لروحانيته المقدسه — فبلّغها اللهم بلاغاً حسناً اليه وانفعني بها يوم الوفود عليك وعليه — كتبه بأغلته الداثره

محمد الحسين آل
كاشف الغطا
النجفي

Khouri.

أحسن صورة للانسان — ما كتب



بني آدم انّا جميعاً بنو ابٍ لحفظ التآخي بيننا وبنو امّ
رأيتكم شتى الحزازات بينكم وما بينكم غير التضارب بالوهم
فلا حجب فيكم تمدّ على حجى ولا حزم منكم تشدّ على حزم

وقد عطفتني باللطايف نحوكم عواطف جنس لم تزل علّة الضمّ
فأهديتكم بالودّ نصحي قائلا عليكم سلامي دايماً ولكم سلمي
والّفت بين اسمي ورسمي راجياً حياتهما ان بات تحت الثرى جسمي
عساني اذا ابلى انال بذكركم حياةً وحسبي من حياتي ذكر اسمي
اروم بقاء اسمي ورسمي بينكم ولا نافعي إسمي الغداة ولا رسمي

خذوا ظاهراً من صورتي فضميرها تصوّر من روح التحنّن والرّحم
يودّ لو انّ الارض تصبح جنةً تفيئكم ظلّ السلامة والسّلم
وانتم كاملاك السماء محبةً تذود شياطين العداوات بالرجم

بني آدم رحماكم في قبيلكم فقد جزتم بري العظام الى الهشم
حنانًا على هذي النفوس فانّها سماوية من رشح ذيّالك اليمّ

وما اكثر الداعي بنا لهدايةٍ وما للهدى منّا سوى الهدّ والهدم
نصدّع في اهوائنا جمع شملنا ونسعى وكلٌّ نحو غايته يرمي
فياصدع هذا الجمع هل من تلايم ويا شعث هذا الشعب هل لك من لمّ
هلمّ نعش بالسلم عصراً فاننا قضينا عصوراً بالتضارب واللّدم

تخارس اذا الآذان صمّت عن الدعا فاضيع شيء دعوة الصمّ والبكم
يقولون للأصلاح نسعى وربّما طلبت الشفا فازددت سقماً على سقم
اذا كانت الافعال نثراً نظامها فلا خير في نثر المقالات والنظم
وكلّ فتى يبغي العلى غير اننا كمقتنص صيداً يروم ولا يرمي

ابثّك يا ابن الارض في الليل لوعتي   فانت اخي فيما اخالك وابن أمّي
سعُدتَ هنا لمّا بعُدت مسافةً   كأنّك من شأن الانام على علم
تباعدتَ عن هذي الشرور فليت من   نسيمك عيشي او بتربته جذمي
وإنّي وما في السعد والنحس فكرتي   ولكن كأنّ النحس كان بها نجمي
يرحّب صدري بالهموم لأنني   ارى هممي تخبو فيوقدها همّي
وما عزمتي نارًا بزعمي وانما   حرارة انفاسي الزعيم على زعمي

سأمتُ حياتي مذ شهدت حقيقتي   واي حياةٍ تمزج الشهد بالسمّ
ولم ادرِ علمي نافعي ام جهالتي؟   ألا ربّ جهل كان انفع من علم
ارى أُممًا تدعو العلوم لها ابًا   وفي درس علم النفس اكثرها أُمّي
وما كل علم يجلب السعد للفتى   ويرقى به من وهدة النقص للتم

اليكم بني الاديان منّي دعوةً   دعوتكم فيها الى الشرف الجمّ
الى السلم فيكم والتساهل بينكم   فيا حبّذا شرع التساهل والسلم
لقطّعتم رحم الأخاء واصبحت   جماعتكم شتّى من الطعن والشتم
وما بينكم كم من حقوق شريفة   وكم تشتكي تلك الحقوق من الهضم
جرحتم شريفات العواطف بينكم   وذاك الكلام المرّ ينبي عن الكلم
فدونكم (شعري) ولست بشاعر   ولكن (شعوري) قد تجسّم في نظمي
نظمت لكم افلاذ قلبي بدعوتي   وافرغتها عن قالب الحبّ والحلم
اريد بكم خيرًا وتنحو لشرّها   نفوس على رغم الحقيقة او رغمي
وكلٌّ سعى نحو الحقيقة جاهدًا   ولكنما الغايات كانت الى الوهم
يقولون انّ الدين فرّق بيننا   فيالك من حيف ويالك من ظلم

وما ادّعي في دعوتي فضل عصمة   ولا أستنزلت لي الشاردات من العُصم
ولكن بها اهديت نصحي قائلا   (عليكم سلامي دايبا ولكم سلمي)

﴿له دعوة الحق﴾

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قُل هذه سبيلي ادعو الى الله انا ومن اتبعني
وسبحان الله وما انا من المشركين
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا
﴿ محمدٌ رسول الله ﴾
(وحيٌ مُعجز)

الحمد لله رب العالمين وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، ﴿ محمد ﴾ وآله وصحبه

﴿وبعد﴾ فهذا هو الجزء الثاني من اجزاء الدعوة الاسلامية وهو يتكفل بنشر مباحث ﴿الفصل الرابع ﴾ في النبوة

ولكننا انما نخوض اولاً في ابحاث النبوة الكليه ، وعموم البعثه ، ووجه الحاجة اليها ، وحكم الاحساسات الصحيحه والوجدانات السليمة بها ، مقدمةً ومجازاً للدعوة الاسلاميه والنبوة الخاصه بعد ان نوفي المقام حقه من بسط القول في بواعث الرحمة التامه وعواطف العناية العامه ونمهّد الاساس الوطيد لابتناء النبوة الكلية والشخصيه حتى يستبين ويتمثّل لكل ذي بصر وبصيره ، انه ما المراد بالنبي ، وما وظيفته ، وما الجهة التي تقتضيه ، وما الغاية التي تترتب عليه ، وما الخاصة التي تعيّنه ويمتاز بها عن غيره وماهي العصمة ، وما حقيقة المعجزه وكيف تنخرق بها النواميس الطبيعيه

وتنفكُّ من جرّائها الاسباب عن مسبباتها وتُحوِّل الاكوان عن مجاريها والاشياء عن عاداتها الى غير ذلك من المباحث العاليه والمقاصد الغامضه والنظرات الفلسفيه من طريق العقل وسبيل الوجدان والاحساسات الضرورية لكل احد وهي امام الدليل والبرهان — نعم كلّي النبوه واثبات الصانع وتوحيده غايات ما لغير العقل اليها من سبيل او دليل ابدا . والاستدلالُ على صحة الشرايع او لزومها بمجرد اقوالها او حكمها بذلك بحيث يكون الدليل على الشرع هو السمع كما ينسب الى البعض — قولٌ لا ينبغي التعريج عليه ولا النظر اليه ولا الخوض في صحته وفساده اذاً فلْنحتكك غرايز العقول ونقتفي ونقف على مهابط اضوائها ومساقط انوائها ومبرمات احكامها التي لا يجد ذو مسكة عن الالتزام بها خلاصا ولا مناصا

(وللايضاح نمهد في المقدمة امور)

نتوصل بها الى الغاية ونقف بعدها على الحقيقة (الاول) ان كل انسان مهما كان يعلم من نفسه ضرورةً انه قد وُجد في نشأة هذا الكون المحسوس عريقا ولصيقا بثلاث صفات هن امهات الشقاء وينابيع الخسه ولكنها اسبق شيء اليه والصق الصفات به واقدمها عهدا بوجوده وهي كاينة مع كونه وقبل اتصافه بكل حال وصفة — كلُّ انسان يعلم انه وُجد جاهلا بكل شيء = فقيرا من كل شيء = عاجزاً عن كل شيء — جاهلا حتى بجهله فضلا عن انه اين كان ومن ايّ شيء كان . فقيراً حتى من الانتفاع بسمعه وبصره واحساسه وشعوره فلا يمتاز عنده لون من لون ولا انسان من انسان عاجزا حتى عن قوت ساعته وساتر بشرته وايُّ شقاء وخسه اكبر من هذه بيدانها ضريبة على البشر عامة وخاصه لازمة لا يتملص احدٌ منها ابدا . يطوي الوليد على ذلك عدة من صفحات ايامه ولياليه

نعم قُذف بالانسان من حالقٍ لا يعلمه الى هوّةٍ لا يدرك قعرها ولا يسبر غورها ولا يدري الى اين غايتها فهو كخابط عشواء في ليلة ظلماء والانوار محيطة به سوى انه لا يهتدي الى سبل الانتفاع بها والتمتع فيها فهو بادئ بدء مجرّدٌ البشره عادم القوه اعزل من كل سلاح حتى سلاح العقل والادراك اوّل صوته البكاء ، واقدم احساسه التألم ، وكلّ ما عنده العوز والحاجه ، رجلاه لا تحمله ، ويداه لا تطاوعه ، الحرّ يشويه ، والبرد يرديه ، وكل الكواين توءثّر فيه ،

ثم يُدفع الى تيّار هذا الكون اللجيّ ليخوض امواجه ويشقّ عبابه سايرٌ يريدان يطوي مراحل ويقطع مجاهل على غير اهبة السفر ولا تعبية الراحل نعم واكبر مصيبته الجهل واعظم بليته ضعف العقل واوفر متاعه الآمال والشهوات

اخذ يتدرج ذلك السايح الضعيف السابحُ في غمرات هذا الكون وكلما نما وشبّ. واشتدو ترعرع . اخذت وطأة تلك الخلال الثلاث التي هي امهات شقائه وينابيع بلائه تخفّ عنه من ناحية وتشتدّ عليه من مناحي — انفتحت له قبل كل شيء ابوابٌ خمس من الحواس الخمس فولجت الى نفسه منها احساسات جمة وادراكاتٌ مهمه ونِعم كبيره ولذات كثيره ولكن هل خففَّت من شقائه. ام زادت في بليته وعنائه .فادخلت الهمّ الى قلبه والاحزان الى فوءاده والاوهام الى خياله والاغاليط الى عقله وافقدته انفس ما كان عنده من الراحة والبساطه . والسذاجة والسلامه . والهناءة والدعه. ولم يزل هكذا يتراوح بين الربح والخسران والزيادة والنقصان والتعب والراحه والغنى والحاجه . فكلما اتّسع ضاق نطاقه . وكلما ترفّه اشتدّ خناقه . (والسلاسل قيود وان كانت من ذهب) ولست انزع في مقامي هذا الى فلسفة اطوار الانسان وادواره جنينا وطفلا ويافعا وناشئا وغلاما وشابا وكهلا وشيخا

ومايعتريه من التقلبات والاحوال والملكات واختلافه في المنازع والمطامح حسب اختلاف نشأته وادوار حياته كلاً، فانها وان كانت مباحث شريفه وفلسفة عاليه ولكني اجد ما اتوخاه من القصد يتسنى بيانه دون اقتحام هذه العقبه، اوتولج تلك اللجة

انّ الغرض الذي احاول وضعه اساسا اولياً لما بعده، ما هو الاّ امر بمكان من البساطة والوضوح، والجلاء والظهور، اَلا وهو ان الانسان مهما اتّسعت معارفه، وارتفعت مداركه، واستبحرت علومه، وتعاظمت مقدرته وتفاخمت قوته، وانبسطت ثروته وسعته، ماهو بالنظرة الثانية الاّ مغمور بالجهل، مرتطم بالعجز، مرتهن بالبلاء، معقود بناصيته الحاجة والعناء، والمشقة والشقاء، فانا بالنظرة الاولى وان كنا نحسب انّ تلك الخلال امسُّ والصق بالولدان والاطفال ولكننا اذا انعمنا الفكر وامعنّا النظر ومحّصنا الجوهريات والحقايق وجدناها في الرجال اشد واقوى وامرّ وادهى

الا بربك الكريم ايُّ انسان من عامة البشر تقدر ان تقول عليه انّ معلوماته اكثر من مجهولاته وقدرته اكبر من عجزه وغناه بذاته اوفر من حاجته،، تدبّر هذه الجمله ثم احكم ولا تبادر بالحكم قبل الغور فيها والوصول الى اعماق تخومها فتكون بوادٍ وانت بآخر خذ اليك اشهر العلماء الاختصاصيين واكبر الحكماء الراسخين من ذوي الموسوعات والاحاطات بعامة العلوم من الغابرين والعصريين تجدهم كلما اتسعوا في العلم والمعرفه تطامنوا الى الاعتراف بانّ ما يجهلون اكثر مما يعلمون وما خفي عليهم اعظم مما ظهر لهم اماّ معرفة حقايق الاشياء فدعها ناحيه واتركها زاوية ولاتغترر بقولهم ان الحكمة معرفة حقايق الاشياء على ماهي عليه بعد استدراكهم ذلك بقولهم (بحسب الطاقة البشرية) والطاقة البشرية دون العروج

الى ذلك الشأو بمسافات عجزت قواهم وقُدَرها عن تقديرها بَله تصويرها — خذها عني ناصعة بيضاء كفلق الصبح ان معرفة حقايق الاشياء بل حقيقة اي شيء من الاشياء كنز مرصود ما انحلّت طلاسمه ولا رُقيت عزايمه وهو من الغيب الذي ما مُلكتْ مفاتحه ولا فُتحتْ مغالقه الاّ لمن (عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) وانما المتيسر هو معرفة الاشياء بآثارها ولوازمها لا بحقايقها وجواهرها وباختلاف الآثار نحكم باختلاف حقايقها فانّ تمايز الآثار آية تمايز الموءثّرات والحقيقة الواحده ذات اثر واحد والاّ لزم الخلف فتلطف وتدبر — نعم اذا كان الانسان على كتلات الليالي وربوات الايام لايزال مستشرفا مشرأبا يعاني ويجهد في البحث عن معرفة حقيقة نفسه فلا يزداد الاّ حيرة ودهشه وتقاعسا ودحورا وكلما سعى اليها أحسَّ بهاجس يهتف به عُدْ فالباب موصود والطريق مسدود والطالب مردود فما ظنُّك به لو طلب معرفة غيره من الحقايق — واذا كان فلسفيّ الغرب يقول (كمال الادراك البشري انما هو بمعرفة ان هناك لانهاية من الحقايق التي لاينتهي اليها ادراك)

وفيلسوف الشرق يقول في آخر نفس من حياته «ما علمنا سوى اننا ما علمنا» والآخر يقول في خاتمة ايامه

(نهاية اقدام العقول عقـال   وغاية سعي العالمين ضلال)

فما بالك بغمار الناس وعامة السواد بل والخاصة والاخص

وعبثًا احاول تسجيل هذه الجلية التي لا احسب ان احدا يدافعني عنها اوينكرها عليّ — اذًا فلنطبع على اذهاننا بالحروف الكبيرة (ان الانسان جاهل قبـل كل شيء وبعد كل شي) الانسانُ جاهل بـتمام حقيقة اللفظ — لِنرسم على الواح جبهاتنا ان الانسان مهما كان جاهل في علمه عاجز في قوته فقير في غناه فان هذه الحقايق الراهنه فضـلا عن انها لو

امتزجت ابدا بشعورنا واستحضرتها بصفة دايمه مدار كُنا لخفَّفت من شدتنا وكسرت من سورتنا واصلحت ذات بيننا ورحضت معرّة اكثر الصفات الذميمة عن اديم نفوسنا كالكبرياء والخيلاء والعُجب والغرور والطيش وهلم كذا وعلى مثل ذا نعم فانها فضلا عن ذلك سوف تنفعنا فيما نحن بسبيله فاتخذها اول حجر في اساس ماسيأتي من المباني ان شاء الله

﴿الامر الثاني﴾ ان الانسان الذي قلنا عنه تلك الكلمة ونعتنا منه تلك الحقيقه ، وقذفنا به في هوة الخسة والخمول ، والجهل والخمود ، ولا نظن اننا تباعدنا في ذلك عن الاصابه ، ولا اخطأنا شاكلة الغرض ، ولا طاش سهمنا عن الهدف ، ولكن هل يحسن بنا السكوت على تلك الحقيقه وعدم تعديل هاتيك الخطه ، بتعريف الانسان شيئا من شأنه ، ومقدارا من حظه ، كي نؤدي له بعض حقه ، ونريه موقع مركزه من هذه العوالم ومقامه من هذه الاكوان ، ونصيبه من الوجود ، وكفاءته في كفة هذه الحياة فنكون قد ذكرنا خيره وشره وبعض ماله وما عليه فيجدنا واقفين امامه موقف العدل سايرين معه على محجة النَّصف غير باخسين حقَّه ولا غامطين قدره فعساه اذا عرف ما هو واين هو وماله مما هنالك نعم عسى الانسان حين يعرف شأنه في الوجود وعظيم مقامه في الكون ان تدب فيه روح النشاط ويتحرك في تامور صدره دم الغيرة فيحافظ على مقامه الكريم ومركزه الوسيط فلا ينحدر عنه رجيما ويندفع الى هُوّة الشقاء ذميما الانسان مهما جهل حقيقته وأعيا عليه معرفة نفسه وفتح كنزه وحل رمزه واستكناه جوهرة ذاته ومهما ضاع عنه سر وجوده وضاق ذرعا بعرفان سريرته فانه لا يجدر به ولا ينبغي له ان يجهل انه صفوة الاكوان وخلاصة العوالم وبذرة الكمالات وثمرة الوجود ومجتمع الحقايق وينبوع الفضايل

والغاية التي ما بعدها من الخليقة غايه ولا لسواها من الايجاد قصد ولا عنايه

ولا تحسبنَّها الفاظاً فارغه وكلمات خاليه فانك ايُّها الانسان لو سبرت الاكوان وقابلت ما في نسخة العالم الكبير على نسخة عالمك الصغير لرأيتَك نموذجاً له وخلاصة منه تجدك جمادا ونباتا وحيوانا وملكا وماديا ومجردا وماءً ونارا وهواء وترابا ورحمانا وشيطانا وسبعا وشاة وثعبانا وعقربا وترياقا وسماً وهلمّ على هذا من كل محسوس ومعقول وحيّ وموات وساكن ومتحرك

افلستَ ايها الانسان انت الذي سخَّرتَ جميع ما في محيطك من كاينات الماده ونابتات الطبيعة التي كنتَ كاحدها وانت واياها في ذلك شرعٌ سواء فما فتأتَ ان ذللّتَ صعابها وطأطأتَ هضابها وملكتَ اعنتها وذلَّلتها لامرك وجعلتها تحت حكمك واستخدمتها في منافعك وشؤونك سخرتها لك في كل شي‌ء واستخدمتَ منها كل شي‌ء على مرور الدهور وازليات الحقب وما استخدمك منها شي‌ء ولا سخرتك منها عزيمه ولا امتنعت عليك منها شارده فلم يستعص عليك برٌّ ولا بحر ولا ارض ولا سماء ولا ماء ولا هواء فشاركتَ الوحوش في فلواتها وسابقت الطيور في اجوائها وخضتَ مع الحيتان في غمراتها فانت مع كل شي‌ء وليس معك شي‌ء نعم على ناموس (ردالفعل) بينا انت المتصرف في الخليقه والمتنفذ في مواليد الطبيعه اذ ثأرتْ منك فرضها. واستردت قرضها. وتصرفت فيك كتصرُّفك فيها ولعبت بك فوق الاعيبك بها وحكمتْ عليك ولا كحكمك عليها وما عتمتْ ان القتك في مهبّ حوادثها وتصاريف صروفها ولا كالريشة في مهبّ العواصف والذرة في زعزعة الريح القاصف تتدافعك من صحة الى سقم ومن نتاج الى عُقم ومن فرح الى حزن ومن يسر الى عسر ومن شبيبة الى مشيب ومن قوة الى ضعف ومن جمع الى شتات

ومن حياة الى ممات حكم القاهر الجاير والحاكم الظالم والقاسي المستبد لابل خبط عشواء ووطأة عجماء لا تعلم حتى ترحم ولا تسمع حتى تنفع — هنالك ايُّها الانسان تهدء نعرتك وتسكن فورتك تتطامن الى ارض الهوان منكسراً ذليلا. وبينا انت متقلب في غمراتها مستسلم لامواج تيَّارها لا تملك لنفسك دفعا ولا نفعا راجعتَ وجدانك وناجيت ضميرك وسألت ذاتك من اين اتيتُ واين كنتُ والى اين سأكون وماذا يُراد بي وماذا يُراد مني ولكن لا تجد سوى الحيرة او السكوت منها جوابا وعندها ترجع الى تلك الحقيقة التي انبأناك ان لا محيص لك عنها فتقول حقا

(الانسان جاهل في علمه عاجز في قوته فقير في غناه)

ولكن على كل ذلك فهل تجد الانسان وانيا عن كفاحه ملقيًا لسلاحه باخعا تحت اعباء الطبيعه خاضعا الى الاستسلام لها والهدوّ والسكون طوع مشيئتها مصطبرا لسيطرتها تصرّفه كيف شاءت وتجري عليه حكمها كما ارادت كلاّ ثم كلا انّ بين جنبيه وفي راسه جوهرين مجرّدين عن فواعل الطبيعه موءثرين فيها غير متأثرين بها فاز بهما الانسان وحُرمت هي منهما فبقيت ضماراً لا توجد وجمادا لا تحسّ — الانسان ابنها بالامس ومليكها اليوم وإلاُهها في الغد افيجديه ذلك درءً لخطوبها ودرعا لصروفها وجنةً له من وخزات حوادثها ونخسات كروبها وميدات زعازعها وكاسحات قوارعها من لك ايها الانسان بقلبٍ فولاذيّ كلما رضخته رواضخ الطبيعة بصخورها ازداد صلابة واشتد تماسكا من لك بالثبات الذي تقف به امام تلك الزعازع راسخ القدم ثابت الجنان هادیء البال تزول الرواسي ولا تزول وترجف الخضارم ولا ترتجف من لك ان تقف ريثما تسكن زوابعها وتركد اعاصيرها ويعود سمومها لك نسيما واجامها نعيما من لك بذلك وانت ذاك

الترف الغض الذي اغتررت بغضارة العيش ونضرة النعيم وزخارف الطبيعه وركنتَ الى الدعه . والفتَ الراحةَ والسعه . ولم تحسب لغير هذا الحال حساباً ولا اعددت لغيره عتاداً حتى تفاجئك تلك الملمات بغتة وتأخذك على غرة فتندهش لها مذعوراً وتموت بين يديها قبل موتك رعباً . فانت في بلهنية العيش وعنجهية الغرور وهي من ورائك بالمرصاد لا تدفعها عنك مدافعك ولا تدمّرها دون تدميرك مدمراتك ، ولا تحلّق بك عنها في سكائك الهواء طياراتك ، ولا . ولا . اذاً فالى اين المفرّ وما هو الملجأ والوَزر . وكيف لنا بتحصيل السبيل الى الأَمن من هذه الاخطار التي تتهددنّا وتتنهّد في كل حينٍ لنا عمرُك الله أَ لِلشقاء خُلقنا وللعناء وجدنا امباءة للبلاء . ودريئةً للارزآء . ومناحي للمحن . ومصباًّ للمصايب . اِن كانت هذه هي الغاية من كياننا . وهي مبلغ جهدنا . ومنتهى السر من وجودنا . فحيّ على الانتحار بابني آدم . حيَّ على الموت بالاراده ايها الانسان . قبل الموت بالطبيعه فانه اولى لك واحرى بك واملك لراحتك وامكن لخلاصك

لا ولكن هوناً عليك وعلى رسلك فقد ذهب بك اليأس الى مذاهب القنوط . ونبذك الهلع الى مهاوي الغموط . وهكذا انت ايها الانسان لا تزال في جنف وانحراف الى الاطراف ، امّا الى طرف التفريط او الافراط وقلّما تقف على الاوساط ، وتلك احدى عظايمك ، بل احدٌ سخايمك ، بل اشدّ رزاياك ومصايبك ، انت ايّها الانسان نُشوء الرحمة لا السخط ونتاج الرأفة والحنان ، لا القسوة والشنآن انت بالرحمة اُنشأت والى الرحمة سوف تصير انت للسعادة خُلقت والى السعادة يمكنك المسير انت بالعناية كنت وبالعناية دبّرك اللطيف الخبير انت كما انبأناك بذرة السعادة وفيك ينبوع ماء الحياة ودوحة ثمر الكمال ولكن كيف لك بالتربة

الصالحة لتُغرس فيهـا والتربية الصحيحة لتنشأ عليها واَنّى لك بالزراعيّ الماهر لِيحرثك ويسقيك ،ويستغلّ لك ما فيك ،فمنك الداء وفيك الدواء وعندك السعادة ومنك الشقاء

ولكن من لك بمن يدفع هـذا بذاك ،ويصف لك داءك ودواءك لابل يقتل داءك بدوائك ويفلّ بسعادتك حدّ شقائك ويصنع لك صنـع من طبَّ لمن حبَّ ويشفق عليك ولاشفقةامّك وابيك ويحافظ عليك حفاظ الجفن على انسانه والصدر على جنـانه من لك بالنطاسيّ الحاذق الـذي تكون انت على ثقـة من معرفته بدخيلة امرك ونخيلة سرّك واصول محاسنك وجذور مساويك الذي يعرف فضلك وفضولك وفروعـك واصولك وسرّك وجهرك وما به تعديل عناصرك وتوازن تراكيب اسناخك وامشاجك فيربّيك التربية الصحيحه ويغرسك في التربة الصالحه ويشذّب فضولك وزوايدك ويستثمر بذورك واعوادك ويجعلك هيكل السعاده ومجسَّمة الهناء وسلطان الطبيعه ومفتاح كنوز الماده

امّا التربية والتهذيب والتثقيف والتشذيب والتكميل والادب واللدانه والتمرين فالحاجةُ اليها اليوم ومن ذي قبل قد بلغت الى مكانٍ من الضروره والظهور اعاد القول فيها والحثّ عليها من الفضول وليس الانسان وحده في امسّ الحاجة اليها واشد الارتباط بها والفقر لهـا حتى كانّهـا هي هي الانسـان لا غيرهـا بل ذلك سار في جلّ اوكلّ ما في عالم الشهـاده والساريات في صراط الانتقال والحركه ايّ ارض تُستغـلُّ ولم تُحرث وايُّ شجر يثمر الطيِّب ، ولم يشذّب ، وايُّ حديد يقطع ولم يسنّ ولم يُذرب ، وايُّ جوهر يعانق جيد الحسناء اويرتقي قمة التاج ولم يُسوَّ ويثقب ، وايُّ طاير يطرب بشدوه ولم يدرّب ، نعم ربّما تغلط الطبيعه اويشاء صانعها اِظهار

قدرته فتوجد الحسَن الكامل المستغني عن مديد التحسين اليه والتكميل له بل تعجز كل يدو كل قوّة عن حكايته وتقليده وتصويره وتمثيله كجناح الطاووس وازهار الربيع والحان بعض السواجع من الطير ولكنَّه نادر والنادر لا يقاس عليه وعلى ايّ فان الطبيعة الخرقاء والمادة الصماء العمياء تعجز عن ان تلد المهذّب الصالح الذي لا يحتاج الى تعديل واصطناع وهذه ضربة على كل مواليدها وابنائها لا يزال نتاجها خداجا في نقصٍ وتشويه . وفوضى وتشويش حتى يستلمها الكاين الذي هو ارقى منها قدرا واسمى مقاما المجرّد عن لوثتها وخستها وعماها وجهلها وهو جوهر العقل المجرّد الشاعر الحساس فانه اذا دخل ما بينها واستلم شيئا منها لمَّ من شعثها واصلح ما شاء من امرها حتى اصبح يريك المعجب المدهش منها ويبدي لك كل يوم طرفةً من الغرايب التي تخالها نوعا من الاعجاز او ضربا من السحر — وما هذا الكاين المحسوس المنتصب القامه المتسمي بالانسان وما ادريه اَهذا هو ام لا . — نعم كيف كان الانسان فما هو الاّ احد كاينات المادة وفرد من افرادها يجري عليه ما يجري عليها فالتربية والتهذيب ضروريّة له والاّ فهو وحش من الوحوش اوحشرة من الهوام او دابة من الانعام (ان هم الاّ كالانعام او اضلّ سبيلا) ولكن الشأن انه مَن هو المربي له؟ والقمين باصلاحه ومَن هو الطبيب النطاسيّ الخبير بدائه ودوائه الذي نكون على ثقة من صدقه ومعرفته ونأمن من خطأ خطواته وزلة افكاره من ذا الذي نجعله مهيمنا على نفوسنا ونضع في يده ايدينا متطامنين آمنين على هدوٍ وسكينه وثقة وطمأنينه لا نخشى ان يزلّ في سيره بنا الى سبل السعاده فيهوي بنا الى هوّة الهلكه ومتالف الهوان ومعاطب الشقاء فانّ الطريق دقيق، والفجّ عميق، والسير مخوف،

والعقبات الوف، والتربية التي نوعز اليها ونقول عنهـا ليست هي التربية الفردية ولا البيتية او العائليه وانما نعني بهـا تربية النوع وسنّ قوانـين اصلاحيةٍ لعامة البشر على اختلاف الدهور والعصور وترامي الليالي والايام وعليه فلننظر هل في تلك العقول البشريّه والمدارك الماديه التي صنعت في الكون ما ابدعت وبرعت به وقرّبت بالابداع والاختراع كلّ بديع وبعيد ولكن هل تستطيع ان تنهض بتلك الوظيفه وتقوم بذلك العبأ هل يستطيع العقل المجرَّد من جهه - الماديّ من اخرى ان يكـونهو المصلح العام والمربيّ الكلي والمهذّب للنوع هل في وُسع العقول وملكوتها اَن تسنّ لنا الشرايع والنواميس التي تتكفَّل بصالح شوءوننا في الحاضرة والآخره في الآداب والاخلاق في الاكتساب والاقتصـاد في الحـدود والمُجازات في القصـاص والديات في المعاملات والحيويّات من المطاعم والمشاربْ وتمييز النافع منها والضار والموءثّر منها في سوء الاخلاق وفساد الطباع او الامراض المزمنه والآلام الموبئه ولو بعد حـين وما لا يوءثر شيئًا من ذلك— هب انّ ندوة الشوري جمعت لك عقلاء العالم لهذه الغايه من سنّ القوانين وتشريع الشرايع ولكن من لك بان يتفقوا وان اتفقوا فمن لك بان يصيبوا وان اصابوا فمن لك بالثقـة باصابتهم حتى تطمئن القلوب وتسكن النفوس وتتمشى تلك الشرايع في الناس رغبة واختيارا لا إكراها واجبارا وقسرا وقهرا على انّ دون وقوع كل واحدة من هذه الفروض بل دون امكانها لعقبات كوءود ومهـامه سود لا يخترقها الوهم ولا يطرقها الخيال ولا يأتي عليها وميض الخطرات

ايُّ عقل يخترق بنوره غِيابةَ المستقبل الحالك ومغبَّة هذا الكون المدلهمّ الذي كانما هو ذلك البحر اللجيُّ الـذي يغشاه موج من فوقه موج من

فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض = ايّ نافذ فكر يستطيع اقتحام ظلمات الغد ليجعل لِلأمم المستقبل شرعة ومنهاجا — يضع لها مشروعا يلايم طباعها ويناسب اذواقها ويوافق مقتضيات احوالها ومناسبات شؤونها ويضع في عهدته كلتا سعادتيها وتمام شؤون نشأتيها انىّ للعقول بذلك فضلا عمّا لو حاولت ان تجعله واحدا لكل العصور ولجميع الشعوب ولقاطبة الأمم هذا ممّا يستحيل ان تهمّ به العقول او يخطر لها على بال

انّ هذه العقول البشريّه اذا توّجهت تلقاء تلك الظلمات وارادت ان تلتمس علم شيء من المستقبل وقفت حيرى متبلّده لا تسمع لها حسيسا ولا ترى لها حركه ولا تخطوا الى الامام خطوة واحده الاّ ان تتوكأ على اعوادٍ قصبيَّه من اِعمال القواعد الجفرية او الرمليه اوالتعويل على التفرسات والتهجسات من حدس او تخمين ولا ادري اتخطو على ذلك خطوتين ام ثلاث . تعوج فيهما ام تستقيم

طال بنا المقام ونخشى ان نشطّ عن القصد وتفوت الغايه والقصارى انّ المتحصل لنا من تمهيد هذين الامرين الاساسين عدة نتايج لا نظن انّ في واحدة منها مجالا للشك او موضعا للارتياب (الاولى) انّ الانسان مهما كان لا تزال تكتنفه وتحيط به دواير من الشقاء الصقها به . واقربها اليه واقدمها عهدا فيه دايرة الجهل والعجز والفقر (الثانيه) انه وان كان بطبعه في اسفل دركات الخسّه ولكنَّه بجوهري عقله ونفسه مستعد لأعلى درجات الكمال والعزه ومتأهل للعروج الى اقصى مراتب السعادة (الثالثه) انه في احوج ما يكون الى التربية الصحيحه في التربة الصالحه نعم واشدّ من ذلك حاجته الى المربي الكامل الجامع لصفات مخصوصه وعلامات معلومه (الرابعة) ان ذلك المربي لا يسعنا ان نفترضه هو عقل الانسان بنفسه ولا

عقـول سواه من عامة البشر حتى ولو اجتمعوا قليلا او كثيرا وكان بعضهم لبعض ظهيرا فاحتفظ على هذه النتايج وانتظر لتمام الكلام في (الامر الثالث) من الأُسس والدعايم. وذاك انك ربما وقفتَ على اُوليات الجزء الاول وسبرت بجثامع الماديين والدارونيـين ولا ارتاب انك اذا تدبّرت تلك المواضع وتلوتها حق تلاوتها لا يبقى عندك خلجان ريبه ولا ضربان شك بانّ وراء هذا العالم المحسوس والماديّ المشاهد قوة مجرّده مدبّرة حكيمة ازلية قديمة مختارة مريده هي الصانعة لهذا العالم وكل كايناته من الدقيق والجليل والكثير والقليل وليست الطبيعة الاّ احدى النابتات في ارض ارادتها المقدسه والمسخرات بامرها والداينات لحكمها وهذه المادة او الأثـير اوالسديم او الجواهر الفرده او النيشر او ما شئت فسمِّها ما هي وجميع ما منها الاّ اصغر منشآت تلك الارادة واخصر عوالمهـا واضعف مخترعاتهـا وادنى ابداعاتها ونسبتُها من ساير العوالم الحيّة الروحانيه نسبةُ حصى المثانة من الانسان جمادٌ في حسّاس ومواتٌ في حيّ (حاشا الانسان الكامل) وعلى ايٍّ فلا احسبك تريد ان تشق عليّ في الكرّة والاعاده لما مضى على اتقن قواعده ومبانيه اذًا فضع الى جنب ذينك الاساسين القريبين اساسا ثالثا اعلى واجلى واتقن وامكن الا وهو (انّ للعالم صانعـا حكيما) ونعني من نعته بكونه حكيما انّ كل افعاله وابداعاته على نواميس الحكمه واصول الرحمه وقوانين العدل وموازين الصحة والاستقامه ومكاييل الاحسان والفضيله وانّه جلت حكمته ما خاق الخلق عبثا ولا جزافا وما اوجدهم ليجهدهم ظلما واجحافا ما كوّنهم للشقاء والتعاسه والعناء والمهانه ما خلقهم ليريهم نعيمه ويملأ بهم جحيمه ويعمل فيهم قوة الغضب ويسلّط عليهم سطوة الرهب (لاثم كلاّ) تقدّس وتعالى عن كل ذلك فانّ البراهين

الساطعه والآيات النيّره عرّفتنا انّه منزّه عن كل قبيح — انّ ما تحكم ضرورة العقول بقبحه تحكم باستحالته عليه حسبما استبان لك في مباحث التوحيد من الجزء الاول من ان وجوب وجوده مستلزم لكماله وعدم تطرق النقص اليه بوجه من الوجوه — واي قبيح اقبح عند ارباب العقول من الظلم او العبث او الايذاء بغير عوض او جزاء وعليه فلا محيص من ان يكون الايجاد والخلق لمنفعة وفايدةٍ ما وتلك الفايده ، ليست اليه عايده ، لغناه بذاته عن كل شيء واحتياج كل شيء اليه والمستفيد المنتفع ناقص يطلب كماله ، ويصلح بالانتفاع حاله ، والواجب جلّ شانه غنيّ كامل بل فوق حدّ الكمال بما لا يتناهى عدّة وشدّة ومدّه وليس فيه حالة منتظره ولا صفة متغيّره والاّ لم يكن واجبا وهو غير الفرض ، والمصلحة والغاية لابدّ منهما تجافيا عن العبث ويستحيل ان تعود اليه تجافيا عن الاستكمال والنقص فلا محالة هي عايدة لخلقه جوداً منه وكرما وتعاليا وعظما ومن هنا ظهر الوجه فيما يقال من ان افعاله تعالى غير معلّلة بالاغراض نعم هو حق فانّ الغرض ما يستكمل به صاحبه وهو جلّ شانه منزّه عن الاستكمال بل هو فوق حد الكمال ولكن هناك غرض لا بهذا المعنى وان ضايقتَ فما شئت فسمّه وهو انّ الشيء يحبّ ذاته ومظاهر صفاته الكماليه وهذا ضروريّ فطريّ يجده كل احد من نفسه ووجدانه وهو ذاتيّ لا يعلّل (كنت كنزا مخفياً فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف (١))(ماخلقت الجن والانس الاّ ليعبدون)اي ليعرفون

(١) قد ذكرنا في رحلتنا الموسومه (بنهزة السفر ونزهة السمر) قدرا يسيرا ولكنه مقنع من شرح هذا الحديث ولم نذكرهنا شيئا مما ذكرناه نظرا لبعض اللاحظات والله سبحانه هو المسدد

كما في تفسير امناء الوحي وفي هذا الحديث الشريف لطايف معارف كنّا نهم بالاشارة الى بعض لمعاتها ، ونظراً الى مايجدر باللبيب اعتباره احجمنا عن ذلك وحيث نجد ان العقل العاميّ عن اتمام هذا المقام وعن ادراك حقيقة الغرض متجافي فهذا القدر منه كافي واولى بنا من استيفاء شرح الغاية والغرض ان نعود الى استيفاء غرضنا وننظر ما ذا حصل عندنا من تلك الاساسيَّات الثلاث وما تمهد لدينا من المقدّمات وها هي نتلوها سردا عليك لِترى الى اي شيّ تضطرك ولاي غاية تقودك وتوءديك.

الانسان جاهل عاجز فقير . الانسان محتاج الى التربية الصحيحه التي تخفّف وطأة شقائه وتقوده الى سعادته . الانسان محتاج الى المربّي والمصلح الخاص لعامة البشر . عقل الانسان غير كاف لتربيته . وعقول غيره في هذه الجهه عاجزة كعقله . اتفاق العقول لايتفق وان اتّفق لايجدي . الانسان له صانع حكيم خلقه لغاية شريفه وحكمة قايمه وسعادة دايمه لا لشقاوة لازمه

اذاً — والحال على ماترى = فهل يصح اويسوغ لذلك الصانع الحكيم ان يهمل هذا الخلق الضعيف ويتركه سدى وهل يحسن منه ان يكله الى نفسه وهي في اشدّ العجز او الى غيره وهم عنه اعجز . كلاّ ثم كلا . وهيهات هيهات (وبكلمةٍ) انه حيث ثبت آنفا بمقتضى وجوب وجوده وقيوميته=انه تعالى قادر حكيم جواد = لتقدّسه عن العجز والجهل والبخل = فضلا عن الظلم والعبث والعيث . ومن المعلوم ضرورة انّ اهمّ المنافع لعباده بعد نعمة ايجادهم ، نظم امور معاشهم ومعادهم ، ودلالتهم على اسباب صلاحهم وفسادهم ، لِتتمّ لهم النعمة ، وتكمل بذلك عليهم المنّه ، ومن المتبدّه ايضا قصور عقولهم عن ادراك مضارهم ومنافعهم . ومفاسدهم ومصالحهم . وضعفهم عن تعيين كليَّاتها . فضلا عن تشخيص جزئياتها . لغاية

الشهوات الحسيه، على الجهات العقليه، لان كلّ واحدهو حيوان قبلماهو انسان، وجسماني شهواني، قبلما هو ملك روحاني، ومن الواضح ايضا كونهم قاصرين وغير لايقين لمحاورة عظيم سلطانه، ومجاورة رفيع عرشه واركانه ليستمعوا حديث كلامه وقديم تبيانه، لانهم من التراب والى التراب (واين التراب وربّ الارباب) فحاجة الخلق الى ما يوصلهم الى كمالهم، ويدلهُم على رشدهم وضلالهم، مع عدم قابليتهم بحسب نقص استعدادهم وضعف موادهم عن تحصيل مرادهم، الهاما او وحيا، امرًا او نهيًا

كلّ ذلك يوجب على الحق، والجواد المطلق، بمقتضى لطفه الثابت المحقق، ان يجعل بينه وبين خلقه وسايط وسفراء، نسمّيهم رسلا وانبياء يلتمون من جهةٍ لاستماع كلامه، وتلقّي وحيه والهامه، = ومن جهةٍ اخرى لتبليغ مراده، الى جملة عباده، = فهم في الصورة والحقيقة بشر، وهم في الحقيقة من عوالمَ أُخر = (ولو ارسلنا ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) ومن المعلوم انّ المشاكلة والجنسيه لها في التبليغ اعظم مدخليه بل لا يكاد الغرض يحصل بدونها وحينئذ فلو اخلّ الواجب تقدس شأنه بذلك كان اخلالا منه بالغرض في ايجاد الخلق ونقضُ الغرض قبيحٌ من العاقل فكيف من واهب العقل = والمبدء الفيّاض لا بخل فيه ولا نقص يعتريه (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)

وهذا ما توخيّناه لك من السبيل لاثبات النبوة العامه، وضرورة الحاجة الى كلية البعثه، وقد رأيت كيف تحكم الاحساسات الصحيحه والوجدانات السليمه بها وقد سلكنا بك اليها من اسهل طرقها واقرب مباديها بحيث لا ترى فيها مقدمةً معقّده تنعقد بشيء من الاصطلاحات الفلسفيه او ترتبط بالمباحث الكلاميه او تستعين بما يدقّ فهمه ويعسر على العامة علمه، امّا

المتكلمون فقد سلكوا اليه من طرق شتى وانحاء مختلفه اهونها وابينها ما ملخصه انّ مجيء رسول من البشر عن الله تعالى ممكن عقلا خلافا للبراهمه الزاعمين امتناعه واذا كان ممكنا وادّعاه ذو المعجزه وجب تصديقه ونحن لا يهمّنا ان يكون صحيحا او مشتملا على شيء من الخلل ولا حاجة بنا الى بسط الكلام فيه بعد تجلّي الحقيقه ، ونصوعها بما هو اسهل منه منالا واصفى سجالا. نعم. ان الذي يحسن ان يُكلَّل به هذا المقام ويُزيَّن ، ويُجلى ويبيّنْ ، بل الذي يليق ان يُجعل درّة تاجه ، وطراز ديباجه ، وغرّة عنوانه ، وطرّة ديوانه ، هو كلام ايمة الدين ، وورثة النبيين ، فانّهم اعلم به ، واعرف باسبابه ، وامكن بالحجة والبيان ، واملك للدليل والبرهان فالماء اصفى من ينبوعه ، والعضب امضى في يد قريعه ، روى ثقة الاسلام الكليني [1] في كتاب الحجه من (الكافي) عن هشام بن الحكم عن ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال للزنديق الذي سأله من اين اثبتّ الانبياء والرسل قال (ع) انا لمّا اثبتنا انّ لنا خالقا صانعا متعاليا عنّا وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيما متعالياً لم يجز ان يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشرهم او يباشروه ويحاجّهم ويحاجّوه . ثبت انّ له سفراء الى خلقه يعبّرون عنه الى عباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم ، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه المعبّرون عنه جلّ وعزّ وهم الانبياء وصفوته من خلقه حكماء موءدّبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من احوالهم ، موءيّدين من عند العليم الحكيم

(١) قد مرّت الاشارة الى ترجمة هذا المحدّث الشهير وينبوع العلم الغزير في اوايل الجزء الاول وانه توفي في وايل القرن الرابع ودفن ببغداد ومرقده الى اليوم مشهور

بالحكمه ثم ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان بما اتت به الرسل والانبياء من الدلايل والبراهين لكيلا تخلو الارض من حجةٍ يكون معه عِلمٌ يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته ' انتهت كلماته النورانيه المشتمله على حقيقة الايمان اليمان والحكمة اليمانيّه وقد حظتْ وتكرّمت كريمتاي بهذا الحديث الكريم بعد مانفثتِ اليراعة ما قدّمناه وحين متّعتُ النظر به وجدتُ كل ما نمّقته من كتب انّما هو مضمون هذا الحديث الشريف لا بل كلّ ما نمّقناه انّما هو لمحة من لمحاته ولمعة من قبساته ولقد احسن بعض الحكماء المحققين (١) حيث ذكر ماحاصله – انّ لكلٍ من الحكماء والمتكلمين والعرفاء والصوفيه والظاهريه وغيرهم من اهل الأذواق والمشارب المختلفه طريقًا لاثبات النبوّه غير طريق الفرقة الاخرى ' وكلاً تراه من الوثاقة بالقبول اجدر واحرى وهذا الخبر الشريف على وجازته واختصاره اشار الى تلك الطرق باجمعها ولوّح الى تلك المسالك على اختلافها وتشعبها حتى قال ما نصّ عبارته بالفارسيه

(واكر فلاسفه اقدمين را استماع اين كلام مقدس ممكن ميشد هرآينه اقرار مينمودند بمعجزه بودن اين كلام قدسي نظام (كه جان تشنه داند قيمة آب)

اقول تالله انّ هذا الحكيم قد احسن النظر في هذا الخبر فتأمّله ان كنت من اهل ذلك تجد كل فقرة منه مقدّمةً لبرهان او جزء من برهان او نتيجة له لا بل قد استوعب مهمّات كل مباحث النبوة بهذه

(١) هو المحقق الملاّ عبد الرزاق الملقّب بالفيّاض صاحب مشارق الالهام شرح تجريد الافهام احد حكماء الاماميه ومتكلميهم وهو من تلامذة صدر المتألهين الشهير بملا صدرا وصهره على أحدى ثمرتيه وهو من اهل القرن الحادي عشر ذكر هذا الكلام في كتابه المشهور الموسوم (بكوهرمراد)

الفقر الوجيزة والكلم المعدودة حيث بيّن مكان الحاجة والضروره الى بعثة الانبياء وبيّن ما هي وظيفتهم ، وما علامتهم وميزتهم وما برهانهم وحجّتهم إيعازا الى العصمه وايماء الى وجوب المعجزه ، انظر ما انفس قوله (غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب . في شيء من احوالهم) وقوله (مؤيدين من عند الحكيم بالحكمه) وقوله (لكيلا تخلو الارض من حجةٍ يكون معه عِلمٌ يدلُّ على صدق مقالته) وذو اللبّ لا تخفى عليه مواضع البَهر والاعجاب ولا تضيع عنه الخواص والمزايا من هذا الحديث فنحن نحيل ذلك الى الفِطَن والمدارك ونصرف واردة البحث والبيان الى نظريّتين من اشراط النبوه ولوازمها — ننظر تارة في العصمه . واخرى في المعجزه . ونوجز القول في التمحيص عن حقايقهما والاسباب التي لا تدع في النبوّة بداً منهما .

(امّا العصمه) فقد مرّ بعض الكلام عنها في مستطردات الجزء الاول والاصيل بالذكر هنا . انّ العصمه كما عرّفها الاكابر هي اللطف الالهيّ المانع من الخطإ والخطايا من غير اجبار ، ونُوضحُ عنها بأنها الملكة التي تقتضي عدم صدور الذنب عن اختيار واراده . لا عن عجز وعدم استطاعه مدّة العمر او من حين قيامه بذلك المنصب الخاص . فغيرُ الانبياء والاوصياء من الأمثل فالأمثل بهم قد يكونون معصومين كما سبق ولكنّهم غير واجبي العصمه . واما تلك السلسلة التي هي القدوة العامه والقبلة العظمى فيجب ذلك فيها عقلا كاصل وجوب بعثتها . والاّ لزالت الثقه . وانتقض الغرض والناقصُ وان كان اكمل من غيره ولكن الاجدرُ به من التعرّض لاصلاح غيره أن يقوم باصلاح نفسه ويشتغل بتكميل نقصه ويبدء بتنزيه ذاته ولا يعترض الانقص كي لا يقرفه بذنبه . ويدفعه بعيبه . ويردّه بمثل

نقصه . فحقاً — والعيانُ والوجدان بعد العقل اعدل شاهدين انّه لا تتسنى وظيفةُ التكميل ولا تتيسَّر الغاية من التهذيب . الاّ للمهذّب الكامل والمستقيم العادل الأملس الاديم النقيّ الجلد العفيف الذيل الطاهر الازار من كلّ الاوزار

ومن جري ما هنالك نقول انَّ المبعوث الى الامّه او المستلم وظيفته يلزم ان يكون اكمل افرادها وافضل شخوصها وانبل ذواتها في حسبه ونسبه وآدابه واخلاقه . وادواحه واعراقه . وعلومه ومعارفه ، وَخلقه وخلايقه وكلّ شيء يُتحسَّس منه او يُتعقَّل عنه . ولا يعاضل ذلك ما هو المعلوم من تفاوت الانبياء والرسل في مراتب الفضل ودرجات الزلفى والكرامه فانَّ التفاوت في مدارج الكمال ومعارج المعارف غير النزاهة من الادناس والرّذايل والاسواء والنقايص وليس التفاضل فيما ههنا بل ما هنالك — فاثبت وتثبَّت اماَّ العصمة في العقايد والتبليغ والفتوى بمعنى الحكم في الموارد الجزئيّه والوقايع الشخصيه على طبق احكامها الكليه لا بمعناها المصطلح فقد اتّفقت طبق ضرورة العقول قاطبةُ المسلمين بجميع عناصرها وشعوبها عدا ما ينسب الى بعض الخوارج عن ربقة الاسلام على وجوبه ولزومه في الانبياء وشعبتهم فلا يصدر الخطأ منهم في شيء من تلك الامور لا عمداً ولا سهوا من حين قيامهم بتلك الوظيفه الى منتهى اعمارهم الشريفه . واماَّ العصمة في افعالهم واحوالهم في ذات انفسهم فقد اتّفق اصحاَّء النظر على لزومها مع الالتفات . فالمكلَّل بتاج تلك الكرامة الألهيَّه يمتنع فيما نرى ان يقع منه خلاف الواقع عمداً حتى في عمل نفسه وما بينه وبين ربّه ولا يخرج عن دايرة التكليف وخطة الآداب والمكارم من حين صباه الى آخر عمره . واماَّ وقوع خلاف الواقع منه او غير الصحيح

سهواً . فالترجيح والاغلبية على عدم وقوعه ايضا . وقد تصاغر في المعرفه بعض اكابر المحدّثين حيث جوّز السهو على المعصوم في فعل ما يخصّه بنفسه من اعماله وتكاليفه وتبعه على ذلك شذاذ – متشبّثين بظواهر اخبار مردودة بنفسها فضلا عن إباء العقل ايّاها (وبكلمةٍ) انّ العصمة لهم عليهم السلام ثابتة في جميع ذلك بما انّها ممكنة في ذاتها ولا يحصل تمام الغرض او الغرض التام من البعثة والرساله الاّ بها فلا محيص من ثبوتها . حينئذ فتجويز بعض الأمم – وقوع الخطايا من الانبياء باستثناء واحدٍ او بغير استثناء غير ناشيء الاّ من قصور الفكر عن فلسفة معنى النبوه والاّ فطباع النبوه لا يجتمع مع الخطيئه وكلّ ماهو ظاهر في ذلك من دليل النقل القطعي فمأولٌ اومتجوّز فيه . – قلّ ذلك ام كثُرَ .

وما ذكرناه من وجوب العصمه هو من احدى الطاف قاعدة اللطف – المعبَّر عنها تارة بما تتمّ به الحجه واخرى بما يقرّب الى الطاعه ويبعِّد عن المعصيه وهو بمعنى واحد إذ المراد بالمقرّب والمبعِّد ما يعود الى البيان وقطع العذر وما تتمّ به تبعات التكاليف ونتايجه من المدح والذم والثواب والعقاب فذلك ما يجب منه تعالى بقاعدة اللطف والذي تشترك به عامة المتكلفين لا ما يعود الى ساير الجهات الخارجيه التي قد يتفق مدخليتها في الطاعه او المعصيه كأن يجعل الله هذا غنياً ليتوصَّل بالغنى الى القربات اويجعل ذلك فقيراً ليفرغ للعباده ولا يشتغل بالثراء عن الطاعه او نحو ذلك ممّا يندرج في هذه الجمله . فانّ كلّ ذلك له اسباب أُخر ولا دخل لهذه القاعدة به فانّها ترجع الى قطع العذر وازاحة العله فتدبّر ولا يشتبه الامر عليك فتبادر بالايراد من سوء فهم المراد وليكن لك في هذا القدر مقنع وكفايه من القول عن العصمه . – واللهَ سبحانه اسأل ان يعصمنا واياك ايُّها

القارئ الكريم من العثرات ان شاء الله

واماَّ (المعجزه)– وقبل الحكم والبرهنة عليه نأخذ في التعريف عن الموضوع .–والقولُ الشارح انها الواقعة من الفعل البشري التي يعجز عن الاتيان بمثلها ابناء جنسه حتى ممن ساواه في جميع جهاته البشريّه وكمالاته الكسبيه (وايجازها) انّها الفعل الربوبيُّ الصادر من واحد خاص من البشر مقرون بالتحدّي ودعوى النبوّه وذلك كل ممتنع عاديّ ممكن ذاتي كأحياء الموتى وقلب العصى افعى وما انعطف على هذا النسق

فالسحرُ واشباهه من كل اختراع بشريّ وابداع كوني ليس من المعجزة في شيء لانه غير ممتنع عادي . ولا فعل ربوبي كالخلق والاحياء والاماته وما هو اعظم منها كالتعجيز في الكلام للبرَعة فيه والمهرَة به . ولا يعجز عن الاتيان بمثله مماثله وسيأتي لهذه القيود اطلاقُ بيان فيما سيأتي ان شاء الله

وحيث تصورنا الموضوع ولو على الجمله – فنقول انّ الاعجاز في النبوة هو الدعامة التى تُدعم بها . بل اساسها التي تبتني عليه ونبراسها الذي لا يُستضاء اليها الاّ به . ومن اللطف الواجب الذي لا تتمّ الاّ به الحكمة ولا تكمل الاّ به العنايه ولا يحصل الاّ بعد حصوله الغرض

حتمٌ على الحكيم ان يؤيّد رسوله الى عباده بعلامة وآية منه تدلُّ الاعمى والبصير والعربيّ والاعجم والذكيّ والابكم – انّ هذا المدّعي للرساله صادقٌ في دعواه محقٌّ في مقالته لِتتمّ به الحجّه وتقوم به البيِّنه وتحصل به الثقه فيجب على ذلك المبعوث اعلام الخلق برسالته اوّلاً . واظهاره المعجزات ثانيًا . ثم يجب بحكم عقولهم في وجوب دفع الضرر المحتمل –الذي قد اتّفقت عليه ارباب العقول (خلا من سدّ باب حكم العقل) وهو احد الدوافع الطبيعيه . والزواجر النفسانيه . لكلّ ذي احساس يحافظ على سلامة كيانه ويبتعد

عن موءلماته ومهالكه . وبهذا الدافع الطبيعي والسايق الغريزي ينـدفع اندفاعا قسرياً ويجد في ضميره حكما عقليا بلزوم النظر في معجزة مدّعي الرساله والصادع بتلك الدلاله ثم وراء النظر تلزمه الحجة بما يجده في وجدانه وما تسكن اليه نفسه ويحكم به عقله من صحة تلك المعجزه وانها فعل ربوبيّ وآية آلهيه وحجة قاطعه تعجز عنها البشر . وتنحطّ دونهـا القوى والقُدر . وتنحسم بهـا بواعث الشكّ والارتياب . وعوابث الوسوسة والاضطراب . ام ليست هي بذالك فتمام الحجّة عليه انما هو بحسب مايتمّ له ويقوم عنده (ولا يكلّف الله نفساً الاّ ما آتاها)

وكلّ هذا جليّ ظاهر اكثر حاجته الى التنبيه والايمـاء لا الى البسطة والاستقصاء انما اللُّبثة والريثه والأناة والفكره في فلسفة المعجزات وانّ وقوعها في الكون وطلاعها في الوجود هل هو على نظم سلسلة الاسباب والمسببات ونسق جري العلل والمعلولات ام تنخرق بها تلك النواميس ولا يكون جريه على تلك الموازين ويعود قولنا بانّه خارق للعـادة قول بتمام معنـاه وبكل حقيقته وقد اصطكّت هنا ملحمة نظريه وشبّت وغىً جدليه بـين فيلسوفين من مشاهير فلاسفة الاسلام وكبّار جهابذتهم (ابي حامد الغزالى) و(ابن رُشد الاندلسي) فكلاًّ اخذ طرفاً ومال عن الآخر جانبا حتى اتّسعت بينهما مسافة الخلف وتبـاعدت مناحي الفهوم ومرامي الآراء وضاقت العرى على من اراد بينهما الجمع والتوفيق * — وجدير ان نذكر نزراً من كلام كلّ منهما بحرفه ثم نردفه بما ينفسح لنا من النظر ومايتّسع من رجاء الوئام بينهما وجمعهما على غاية واحده

انّ ابا حامد بعد ان استهدف آراء الفلاسفه في كتاب التهافت وردّ عليهم بما شاء ، وحفظ شيئاً وغابت عنه اشياء ، انتقل الى الطبيعيات فقال ما حرفه

— امّا الملقَّب بالطبيعيات فهي علوم كثيره نذكر اقسامها لِيُعرف انّ الشرع ليس يقتضي المنازعة فيها ولا انكارها في مواضع . وليس يلزم مخالفتهم في شيء من هذه العلوم وانّما نخالفهم منها في اربع مسايل (الاولى) حكمهم بانّ هذا الاقتران المشاهد بين الاسباب والمسببات اقتران تلازم بالضروره فليس في المقدور ولا في الامكان ايجاد السبب دون المسبب ولا وجود المسبب دون السبب واثر هذا الخلاف يظهر في جميع الطبيعيات ثم بعد ان شدّد النكير على ذلك قال وانما يجب علينا انكار هذا القول لانّه ينتفي به اثبات المعجزات الخارقه للعاده من قلب العصا ثعبانا واحياء الموتى وشقّ القمر ومَن جعل مجاري العادات (يعني بها النّواميس المتعارفه والاسباب الاعتياديه) لازمة لزوما ضرورياً احال جميع ذلك واوّلوا ما في القرآن من احياء الموتى وقالوا اراد به ازالة موت الجهل بحياة العلم واوّلوا تلقُّف العصا لسحر السحره بابطال الحجة الالهيه الظاهرة على يد موسى وامّا شق القمر فربّما انكروا وجوده وزعموا انه لم يتواتر وبعد ان ذكر عن الفلاسفه رأيهم في المعجزات وانّها خواص في القوى المتخيله والعقليه والنفسيه قال نحن لا ننكر شيئا من ذلك وانما ننكر اقتصارهم عليه ومنعهم قلب العصا ثعبانا وغيره فلزم الخوض في هذه لاثبات المعجزات ولِأمرٍ آخر وهو نصرة ما اطبق عليه المسلمون من انّ الله تعالى قادر على كل شيء وشرع في البحث فقال الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وبين ما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا فليس من ضرورة وجود احدهما وجود الآخر ولا من ضرورة عدم احدهما عدم الآخر . مثل الريّ والشرب . والشبع والاكل والاحتراق والنار . والنور والشمس . والموت وحزّ الرقبه . والشفاء وشرب الدواء . واسهال البطن واستعمال المسهل . وهلمّ جرّاً الى كلّ

المشاهدات من المقترنات في الطبّ والنجوم والصناعات والحرف . وانّ اقترانها انما هو لماسبق من تقدير الله سبحانه لخلقها على التساوق لالكونها ضروريًا في نفسه غير قابل للفرق . بل في المقدور خلق الشبع دون الاكل وخلق الموت دون حزّ الرقبه وادامة الحياة مع حز الرقبه وهلمّ جرًّا الى جميع المقترنات وانكر الفلاسفه امكانه وادّعوا استحالته ثم سجَّل ذلك في مثال الاحراق قائلا . انّ النار جماد لا فعل لها فما الدليل على انها الفاعل في الاحراق . ليس لهم دليل الاّ مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقاة النار . والمشاهدة تدل على الحصول عنده ولا تدلّ على الحصول به وانّه لا علّة سواه . ' ثم اطنب واسهب في تقريب تلك الدعوى وتسجيلها وايراد الامثال والضرايب لها بلطايف الاساليب وسحر البيان الذي كان للغزالي منه ومن شدة العارضة وسلاطة اللسان اوفر نصيب وما فتأ يصرف اعنَّة الخطابة والاقناع في ذلك حتى انتهى الى قوله نجوّز ان يُلقى شخص في النار فلايحترق امَّا بتغيير صفة النار او بتغيير صفة الشخص فيحدث من الله تعالى او من الملائكه صفة في النار تقصر سخونتها على جسمها بحيث لا تتعدّاها وتبقى معها سخونتها وتكون على صفة النار حقيقتها او يحدث في بدن الشخص صفة ولا يخرجه عن كونه لحما وعظما فيدفع اثر النار فانّا نرى من يطلي نفسه بالطلق ثم يقعد في تنُّور مُوقد فانّه لا يتأثر بالنار . والذي لم يشاهد ذلك ينكره . وفي مقدورات الله عجايب وغرايب ونحن لم نشاهد جميعها فلاينبغي ان يُنكر امكانها ويحكم باستحالتها وكذلك احياء الميت وقلب العصا ثعبانا ممكن بهذا الطريق – وهو ان المادة قابلة لكل شيء فالتراب وساير العناصر يستحيل نباتا ثم النبات يستحيل عند اكل الحيوان له دما ثم الدم يستحيل نطفة والنطفة توضع في البطون فتخلق

حيوانا وهذا بحكم العاده واقع في زمان متطاول فلِمْ يُحيلُ الخصم ان يكون في مقدورات الله تعالى ان يدبّر الماده في هذه الاطوار في وقت اقرب ممّا عهد فيه واذا جاز في وقت اقرب فلا ضبط للاقل فتستعجل هذه القوى في عملها ويحصل به ما هو معجزة النبي . فان قيل هل تصدر هذه من نفس النبي او من مبدء آخر من المبادىء عند اقتراح النبي قلنا الاولى بنا وبكم اضافة ذلك الى الله تعالى امّا بغير واسطه او بواسطة الملائكه ولكن وقت استحقاق حصولها انصرفت همة النبي اليه وتعيّن نظام الخير في ظهوره لاستمرار نظام الشرع ". وحسبُنا من كلامه هذا القدر فانّ ابا حامد وان استوسع واطال المقال في اثبات ما اراد من عدم التلازم بين الاسباب والمسببات ولكن خلاصة كلّ ماذكره على اختلاف انحائه وضروب اساليبه لايخرج ولا يتباعد عن تلك الكلمات الآنفه التي اخترنا نقلها من جميع مقالاته الضافيه ومباحثه الطايله ".

وكأنّ هذه الدعوى التي يجهد ويشتدّ حرصًا على اثباتها انّما هي شعبة من مسئلة خلق الافعال وانّ افعال العباد هل هي من فعلهم او من فعل الله تعالى عند ارادتهم لها . وان لم تكن هي تلك او منها فما اشدّ الشبه والتماثل بينهما . وكأنّ الغزالي بناها على ما هو الاصل هناك عنده وعند اخوانه الاشاعره من انّ الافعال ليست من فعل العباد بل من فعله تعالى وللعباد فيها (الكسب) ذلك اللفظ الذي لم يظهر الى اليوم حقيقة معناه على الوجه الذي يذهبون اليه ولا نفهم كعامة اهل اللسان من قوله تعالى (ذلك بما كسبت ايديكم) وامثالها الاّ المعنى الجليّ الظاهر وهو ما فعله الانسان وحصَّله بارادته ومباشرته وهم يريدون من الكسب سوى ذلك . وعلى ايٍّ فليس الغرض هنا الخوض في هذه الغمره بعد ما خضنا لُجَّتها وكشفنا

غمتها في أخريات الجزء الاول من هذا الكتاب واقمنا البراهين الجليّة التي لا تدفع على انّ الافعال كلها من فعل العباد باقدار الله للعبد على الفعل والترك وباختياره يترجح احدهما على الآخر وبذلك يصحّ اتصاف الانسان بالقدره . ويتّسع لنا القول بمثل هذا في ساير الفواعل الطبيعيه سوى انها فواعل قسريه لا اراديّه . ونعود الى استيفاء البحث بنقل كلام ابن رشد الذي ناقض به فلسفة الغزالى وهدّ بجديدافكاره دعايمها فانّه قد اصاب المحزّ وطبّق المفصل وان كان لا يخلو من بعض المؤاخذات عليه ولكنّها غير ضايرة بجوهر غرضه فمن بعض كلامه في (تهافت التهافت) بحرفه . امّا انكار وجود الاسباب الفاعله التي تشاهد في المحسوسات فقولٌ سفسطائي . والمتكلّم بذلك امّا جاحد بلسانه لما في جنانه واماّ منقاد لشبهة سفسطائيه عرضت له في ذلك ومن ينفي ذلك فليس يقدر ان يعترف انّ كلّ فعل لا بدّ له من فاعل . امّا ان هذه الاسباب مكتفية بنفسها في الافعال الصادرة عنها او بما تتم افعالها بسبب من خارج اماّ مفارق او غير مفارق فامرٌ ليس معروفا بنفسه وهو ممّا يحتاج الى بحث وفحص كثير . ومانفكّ يتقعّر ويتعمّق في فلسفته الى ان خدش حرمة الادب بالصراحه وقال . فما اتى به ابو حامد في هذا الباب مغالطة سفسطائيه . وقال والعقل ليس هو شيئا اكثر من ادراكه الموجودات باسبابها فمن رفع الاسباب فقد رفع العقل وصناعة المنطق تضع وضعا انّ ههنا اسباب ومسببات وانّ المعرفه بتلك المسببات لا تكون على التمام الاّ بمعرفة اسبابها فرفعُ هذه الاشياء مبطل للعلم ورافع له ثم اخذ في التعقيب على كلام ابي حامد وساير المتكلمين فقال فانه يلزم ان لا يكون ههنا شيء معلوم اصلا علمًا حقيقياً بل ان كان فمظنون ولا يكون ههنا برهان ولا حدّ اصلا . ومن يضع انه

ولا علم واحد ضروري يلزمه ان لا يكون قوله هذا ضروريًا . واما من يسلّم انّ ههنا اشياء ضروريّه واشياء ليست ضروريّه وتحكم النفس عليها حكمًا ظنيًا وتُوهم انّها ضرويه وليست ضروريه فلا ينكر الفلاسفةُ ذلك فان سمَّوا مثل هذا عادة جاز والاّ فلا ادري ما يريدون باسم (العاده) هل عادة الفاعل او عادة الموجودات او عادتنا عند الحكم عليها . ومحالٌ ان يكون لله عاده فان العادة ملكة يكتسبها الفاعل توجب تكرار الفعل منه على الاكثر والله عزّ وجل يقول (ولن تجد لسنة الله تبديلا)

وبعد ان استوفى الكلام في هذا المقام انتقل الى مسئلة الاحراق وحصر انكار الغزالي في موضعين (الاوّل) انه يمكن ان توجد هذه الصفات للموجود ولا تؤثّر فيه مثل النار فانها يمكن ان توجد الحراره ولا تحرق (والثاني) انه ليس للصورة الخاصه بموجود موجود مادة خاصه. يريد ابن رُشد بهذا مسئلة تعاقب الصور السيّاله المترابطه بعضها ببعض التي لا تنسحب صورة منها الاّ الى اقرب الصور اليها كالجماديّه الى النباتيه وهي الى الحيوانيه وهي الى الانسانيه وهكذا ثم فصَّلَ في هذين الموضعين فقال امَّا القول الاول فانه لا يبعد ان تسلّمه الفلاسفة له فلا يمتنع ان تقترن النار بالقطن مثلا في وقت مَّا فلا تحرقه ان وجد هنالك ما اذا قارن القطن صار غير قابل به للاحتراق وامَّا مسئلة الصوره والمادة الخاصه فقد تصلَّب فيها وقال انه شيء لا يقدر المتكلمون ان ينفوه وجرى في رهان البيان الى ان قال مثال ذلك . انّ الاسطقسات تتركب حتى يكون منها نبات ثم يغتذي منه الحيوان فيكون منه دم ونطفه ثم يكون من النطفه حيوان كما قال سبحانه (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) فالمتكلمون يقولون انّ صورة الانسان يمكن ان تحلّ في التراب من غير هذه الوسايط التي تشاهد . والفلاسفةُ

يدفعون هذا ويقولون . لو كان ممكنًا لكانت الحكمه في ان يُخلق الانسان دون هذه الوسايط ولكان خالقها بهذه الصفه هو احسن الخالقين واقدرهم وكل واحد من الفريقين يدَّعي انَّ مايقوله معروف بنفسه وليس عند واحد دليل على مذهبه وانت فاستفتِ قلبك فما انبأَك فهو غرضك الذي يجب اعتقاده وهو الذى كُلِّفتَ ايَّاه . هذا ما اخترنا نقله من كلام هذا الفيلسوف ونحن — لا نريد ان نكثر عليك من نقل ما هو عتيد عندك سهل المأخذ عليك من كلامهما كما انَّنا لا نستوسع البحث في التعرض لهفوات كلّ واحد منهما ولا نتوغَّل في تحرير هذه النظريه على ما يليق بها من بيان الفروق بين العلة التامه وغير التامه . والسبب وغير السبب والمانع والشرط . والعلة المنحصره وغير المنحصره . والفاعل المركَّب والبسيط . والماديّ والمجرّد . وما يصدر عنه الفعل وما يقوم بهِ . والمادة والصورة . والغاية وما منه الغايه . الى غير ذلك ممَّا تتكفل ببسطه الامور العامه من العلم الاعلى . ولو اردنا ان نقف الهوينا عند هذه الامور ونعرّج على البحث فيها بمقدار مايستبين به مواضع النظر من كلمات ذينك النابغتين لخرجنا بالضرورة عمَّا نحن فيه ووقعنا في مهمه شاسع وواد عميق غير مرتبط كثيرا بمباحث النبوَّه ولكن بالحريّ ان نستوفي البيان ونغرق نزعا في تخليص مايتعلق بالمعجزات وتمحيص الحق الصراح من تلك المساجلات

لا يرتاب المتطاع في تلك الفقرات انَّ محور النزاع بين ذينك الباحثين انمَّا يدور على جوهريَّةٍ واحده وهي انَّ الاسباب هل هي المؤثره في مسبباتها والفاعلة في مفعولاتها ام المؤثر هو امرٌ غايب معقول مقارن للفاعل المشاهد المحسوس وهذه المقارنه هي التي صحَّحت نسبة التأثير الى ما هو المشاهد وان لم يكن له مسيس علاقة به وارتباط ابدا (ومن

طريق آخر) هل وجود السبب بـذاته يستلزم وجود المسبَّب ضرورةً . استلزاما ذاتيا لا اتفاقيًا واقترانيًا . ام لايستلزم ذلك الاّ من باب الاتفاق والغلبة التي تفيد الظن بحكم غلبة العاده امّا ذات السبب فليس لها اقتضاء ذلك في المسبّب

(امَّا ابو حامد) فبما انه اشعريٌّ . يرى انَّ هذه الافعال الكونية طبيعية او اراديه كلُّها افعال جايزة لاترتيب لها ولا نظام ولا عِلّية ولامعلولية تقتضيها طبايع الموجودات او عزايم الحيوانات ولكنَّه يحكم انّ هـذه الافعال تظهر مقترنة بالحيّ الذي في الشاهد وانما فاعلها الحيّ في الغايب ويجحدهو وحزبه الاسباب المحسوسه ويرون انّ علة المحسوس امر غير محسوس وعلى ذلك يبني امر المعجزات وكأنَّه يترآءى له انَّها لاتصحّ الاّ على هذه المزعمه (امّا ابن رشد) فبما انّه فيلسوف فهو يرى انّ الاشياء كلَّها مرتبطٌ بعضها ببعض على نظام متقن وابرام محكم وكلها اسبابٌ ومسببات وعللٌ ومعلولات متراميه متسلسله حتى تنتهي الى علّتها الاولى وفاعلها الأزليّ الـذي اودع في كلّ كاينٍ خاص اقتضاءً خاصا وسببية خاصه فاذا اثّرت اثرها واعملت وظيفتها فذلك الاثر مستند اليها على الحقيقة والواقع لا الى سبب غايب وامر معقول (امّا المعجزات) فهي عنده جارية على مجاريها الطبيعية غير خارجة عن نواميسها الاوّليه وان كانت على خلاف العـاده فيها باعتبار بعض صفاتها من سرعة وابطاء وظهور وخفاء

وحيث قد اتَّضحت مقالة الفريقين ومزاعم الخصمـين اذاً فاستفتِ قلبك فيما هو الحقُّ منها كما اوعزه اليك ابن رُشد ولا اظنّ قلبك السليم عن غواشي الشبهات يفتيك بتلك الفوضى والشتات ولا يـذعن للحكم بقطع الصلة بين الاسباب والمسببـات ولايركن الى تصوّر انّ نسبة كل

الأشياء الى كلّ الآثار نسبة واحده وعلى حدٍّ سواء

كما انّي لا اكاد اقتنع بان ذلك العارف المتبحِّر (ابي حامد) ممن تعزب عنه تلك الجليَّه فيفترض ان نسبة الماء والنار الى الاحراق مثلا نسبة واحده ليس في طباع واحد منهما اقتضاء له ومناسبة معه ولا في طباع الآخر منافرة عنه ومضادة له سوى انّ الله تعالى جرت عادته أن يوجد الاحراق عند ملاقاة النار لبعض الاجسام من دون ان تكون في طباعها جهة اختصاص تستدعي ذلك على خلاف طبيعة الماء . لا جرم أن لا يكون معزى كلامه ذلك وان كان ظاهرا فيه . كلاّ فانّ باب الصرف والحمل لَواسع . وما اكثر ما تقصر الالفاظ عن بيان تمام المقاصد فيكون الظاهر شيئا والمعنيُّ غيره . ومن السايغ ان يكون مرمى نظره ومباءة قصده الى كون ما في الشاهد من الموءثرات ليست هي العلة التامه وان كانت مقتضيه ولكن من الجايز ان يصادف وجودها وجود المانع فيبطل تأثيرها وان كان حدوث ذلك المانع ليس في المشاهد المحسوس وكما انها ليست هي العلة التامه فكذلك ليست هي السبب الوحيد والعلة المنحصره فالافعى التي يكون على الغالب سبب وجودها التولّدُ من المثل يمكن ان يكون لها سبب آخر في الماده يُوجد في العصى او في الطين فتوجد بالخاق الفجائي وهذه هي الغاية التي يرمي اليها مناظره الفيلسوف وتتحصَّل من ملامح كلماته وان لم تكن صريحة فيه وقصارى ما عندنا في حقيقة الاعجاز . انّه ليس خرقاً في النواميس الطبيعيه وانّما هو تصرّفٌ فيها وتدبيرٌ لها وحكم عليها . وليس من البعيد عنك ولا الشاسع عليك تصوّر ذلك بعد ان عرفت في مباحث اثبات الصانع من الجزء الاول انّ الطبيعة محكومةٌ لا حاكمه . ومدبَّرة لا مدبِره . ومقهورةٌ لا قاهره

واذا كان امتلاك الشعور والاحساس بالمنوّم المغناطيسي . واستحضار الارواح من طريقٍ علميّ . وجعل الماء جليداً جمدا بالعمل الصناعي . وحبس المطر بالصدحة وكثير من نظايرها كل ذلك ممكنا واقعا فبالأجدر والاحرى والأحقّ والاولى . ان يكون انقلاب النار بردا وسلاما وانشقاق البحر رهوا . وانقلاب العصا افعى . وابراء الاكمه والابرص . وتسبيح الحصا . وتظايل الغمامه . والاعجاز بالبيان . كلها ايضا من الحقايق الراهنه والامور الواقعه واذا كانت القوى البشريه . والصناعة العلمية والعمليه . تقدر على مثل تلك الامور . فبالاحق والاولى ان يسهل ويهون على القوى الروحيَّه والقدرة الازليّه ما هو اعظم واعلى من ذلك . كيف ومافتأت يد القدره تنفذ مشيئتها في الطبيعه بما يُحسب انّه خرق لنواميسها . ونقضٌ لمبانيها وأُسسها . أَليس بقاء السمند والياقوت في النار . وابتلاع النعامة للجمر . واستطابة بعض الوحش للحنظل المهلك للانسان . أَليس كل ذلك وكثير من ضرايبه وامثاله ممّا يعدُّ في بادي الراي انّه خرقٌ للنواميس وفتق في القواميس . مع انَّه واقعٌ محسوس . ومعاينٌ مشهود . وكم في حقايب الحقايق . من عجايب غرايب . قدحال دونها الجهل ولم يصل بعدُ اليها العقل . ولو كشفها العلم وبلغت اليها المدارك . لانحلَّتْ عُقَدٌ كثيره وهانت مصاعب خطيره . ولَظهر انّ المعجزات من اهون ماصنعته يدالقدره وادنى ما ابدعته لباقة الحكمه . وفي هذا القدر من البحث والبيان عن فلسفة الاعجاز غنىً وكفايه لذوي البصاير والدرايه وما التوفيق الا بالله

وحيث انتهى بك السير والسبر الى هذه المرحله . وعلمت انّ الله جلّت عظمته لم يكن لِيترك خلقه غُفْلا . ولا ليهاكهم جهلا . ولا ليشقيهم في الحياة وحشيَّةً وذلّا . ولا يدعهم كالعُجم السايمه . والبَهم السارحه . بل حتمٌ في لطفه

وكرمه وجميل عنايته وحكمته ان يرسل اليهم من لدنه رسلا مكرَّمين ورجالا صالحين ومصلحين يجلِّلهم بطيلسان الحكمه ويصونهم بابراد العصمه ويتوّجهم بتيجان الكرامة والمعجزه . اذا علمتَ كلّ ذلك فلا ازيدك علما بأنه جل شانه قد اسدى هذه المنَّه . ووفى حقّ هذه الفضيله . واحسن الصنيع بتمام تلك النعمه . فلم يزل على مرور الدهور والوف الاحقاب وفي ثنايا العصور في البرهة بعد البرهه . والفترة بعد الفتره . يبتعث لأصلاح عباده وعمارة بلاده املاكاً مقدّسين ولكنَّهم في الصوره على ازياء البشر . فيقيمون بين ظهراني الانام يتجوّلون في الآفاق ياكلون الطعام ويمشون في الاسواق . سوى انهم يتفانون على تلك الغاية ويتهالكون في ذلك السبيل ويضحُّون كلّ غاياتهم واميالهم على مذبح الصالح العام والنفع البشري . ثم يخرجون من الدنيا خفافًا عيابُهم ثقيلة بالحسنات موازينهم . مشكورةً مساعيهم مقدّسة آثارهم

﴿ نظرة اجمالية في الشرايع والاديان ﴾

ما وَجد الانسان نفسه في هذا الوجود كايناحيًّا وهيكلا محسوساً وشاعرا مدركا الاّ ووجد الدين سايدا عليه . منفوثا في ضميره . قايما بوجدانه . حيًّا بحياته مسوطا بلحمه ودمه . عنايةً عظمى . ونعمة كبرى وحكمة باهرة لا يحيط بها الوصف . ولا يأتي عليها البيان

لم تزل للاديان السيادة في هذا الكون حتى في اظلم عصوره . واوحش ظلماته حقًّا كانت ام باطله . صحيحة وقعت ام فاسده وكيف كان او يكون . فاننا نجد في دلالة العقل وبرهنة الحقيقة انّ العناية لا تزال مصروفةً الى صالح هذا الخلق الضعيف القويّ العاجز القادر الجهول العليم الملك الكريم . الوحش البهيم . ما فتأت تلك العناية التي ابرزته من خزانة الخفاء وكتم العدم . تعمل في تدبيره وتسعى في صالحه فترسل اليه من ملكوتها وخاصة رجالاتها . والمتخرّجة على روح تعاليمها سفرةً بررة . بايديها صحفٌ مطهَّرة . من كل طبيب دوّارٍ بطبّه خبير بجزبه مسيطر على

قومه . نطاسي بدائهم وادوائهم . واقف على كامن عللهم وخفيّات دخايلهم وغور مهالكهم . مكين من سبر اعماق جروحهم . وطيّات جوارحهم . قد أحضر مراهمه واحمى مواسمه عرف المرض والمزاج . فهيّأ العدّة والعلاج وجعل نفسه وقفاً على تلك الغاية ورهناً بذلك الغرض

وكل ناظر في جوهريات الاديان نظرةً مجرّدة مفتكر في اصولها بفكرة سليمه يجدها على اختلافها وتشعّباتها ترمي الى غاية واحدة ومقصد فذّ يجدها وان تباعدت متقاربه . ويعلم انّها وان اختلفت متفقه . متصالحةً على تنازعها . متلاية على تنافرها

لا اريد ان اعيد عليك ما افصحت عنه الصحف ونشرته الك الكتب وانبأك به الباحثون والمنقّبون والجهابذة المصلحون من انّ غاية الشرايع والقصد الجوهري من الاديان ما هو الأبثّ الفضيله وكسح الرذيله والتحفظ على حياة هذه الروح الالهية المودعة هي فيك كما هي مودعة في اخيك — ازيدك بيانا — انّ هذه النفحة الالهية التي انت بها حيّ بل انت بها انسان . ليست هي وحدها وديعة الله عندك وامانته لديك بل هي سواء وروح اخيك التي هي شعبةٌ من دوحك . وشظيّة من لوحك وسلالةٌ من ينبوعك . وفصيلة من قطيعك . فهما جوهرتان في يدك وانت بهما مطالب وعنهما معاً مسوءول * ليس الغرض من الاديان والشرايع الأ سعادة هذه الأرواح وصونها من ان تُزهق ظلما . او أن تُوسع هضما . او تبقى سادرة هامله . تعيسة جاهله محرومة من كرامة العلم . وشرف المعرفه . بل لِتعيش سعيده وتحيا حياة كريمه وتنتقل الى عيش اهنى . ومقام اسنى . كما لا تزال تنتقل بها العناية من عالم الى خيرٍ منه . ومن مكان الى افسح منه — من العدم الى الوجود . من الصلب الى الرحم . من الرحم الى هذا الفضاء الفسيح . والكون الوسيع . وعساها تنتقل الى ما هو اوسع منه واهنى . واسمى واسنى . ما الاديان والشرايع . الاّ وسايل وذرايع لتهذيب البشر من الشرّ وطبعهم على الخير . وان يعيش الانسان مع اخيه الانسان . بالسلم والموادعه والحسنى والمجامله وإن تنوّعت جلدتهم . واختلفت منازعهم . فان قضت لهم البواعث والدواعي دعوة احدهم غيرَه الى ما هو عليه مماّ يعتقده صوابا . ويراه لنفسه ولغيره صلاحا . فليكن دعاوه عن خالص نصيحه وشفقة صحيحه ودافع حنانٍ ورحمه قولاً ليّناً وبُشرا بيّنا . ومجادلةٍ (كما امر الله) بالتي هي احسن . وبالجملة اعود ثانيا فاقول ماقلته اولاً — الدين بعد معرفة صانعك وما ارادبك ومنك — هو ان ترى كلّ روح

هي روحك ولكن في غير جسدك فاعمل لروحك ما تحبّ أو دَعْ ء
ولو نفّست عن اليراع ان يجري في هذه الحلبه ليأتي من كل دين وشريعه بشاهد او شواهد على
انّ هذا هو جوهرها المجرّد وحقيقتها الضايعه وضالتها المنشوده وغايتها المقصوده والذي
لا توعز الاّ اليه. ولا تدلّ الاّ عليه. لَوفى واستوفى. وانكفأ وما استكفى. ولكني لا اريد
ان اطيل عليك بما هو جليٌّ لديك. ان لم تكن محيطاً بكله فما احطت به منه مقنعٌ لك
ودليلٌ على ما سواه — وانما اريد ان اقف معك على ضفاف هذا المنهل الرايق والمورد
العذب. ونقضي العجب في انّه كيف تحوّرت الاديان عن صبغتها الاولى. وتحوّلت
صورتها عن حقيقتها الجوهريه. وبرز اهلها على غير شاكلتها. ونهجوا على ضدّ مشاريعها
ومناهجها. فنثروا في الصدور بذور الاضغان. وتنابذوا باسم الاديان فصار يقتل
بعضهم بعضا. ويستحل قومٌ دم آخرين. فحوّلوا الفضيلة رذيله. والمجاملة مخاتله
والموادعة مخادعه. والحسنة فحشآء. والحب بغضآء. إزهاقا لتلك الروح الالهيَّة.
واللطيفة القدسية. واماتةً لعواطف اخوانهم في البشريه — كلّ ذلك بصبغة المحاماة
والنصرة للدين. والدينُ يضجُّ الى الله والحقيقة من هذه الفظايع ويبرأ من مثل هذا
المحامي والحميم براءة التحريم — يشهد الله والاديانُ انَّها ما اساغت بحالٍ سفك الدماء
وازهاق النفوس وانما اوجبتْ الدفاع. وحفظ الكيان. ودرء الشرور وحياطة الجامعه
عما يتهدّدها من الاخطار. وينذرها بالتلاشي والانحلال كما سندلّك على ذلك في
موضعه بعون المشيئة تعالى شانها — وهذه نفثةٌ جرى بها القلم وما كانت من القصد
وانمَّا المعنيُّ بالبيان انّ التاريخ جمع فاوعى ولكن ضاق وسعه وقصر شوطهُ عن احصاء
كلّ ما هبط على هذا البسيط من الشرايع الإلاهية علَى اوليات الدهر وغوابر الازمان
بعد علمنا انّ الدين حليف الانسان قد وجد مع ايجاده وسوف لا يزول الاّ بزواله
ولكنَّ معهد التاريخ ما اتحفنا بما يوسعنا علماً ومعرفة بتفاصيل تلك الشوءون الاّ ما نتطلّعه
من وراء مساتيره ومن خلال ثناياه واطراف زواياه كاشباح ضئيله وافلاذ متبعثره. فمن
الاديان ما انطمس ودرس ولم يبق في العالم من ينتسب له ويعتزي اليه ومنها مالم يبق منه
سوى الاسم والنحله اماَّ الحقيقة فلا عين منها ولا اثر. ولعلَّ من ذلك — المذاهبُ التي نشأت
في غير آفاقنا ونبعت في محيطٍ سوى محيطنا من اقصى الهند او الصين او غيرهما وتلك
كمذهب « برهما » وبوذا وكونفوشيوس (١)

(١) ليس من الشطط احتمال ان يكون هوءلاء من المرسلين والانبياء لهم غير هذه الاسماء في

وكثير من اضرابهم ممن تُوثَرُ عنهم حِكمٌ عاليه وافكار ساميه واخلاق فاضله وحنان على كلّ البشر وجعاهم من معرض الرحمة في درج واحد

امّا الشرايع التي اشرقت في آفاقنا وانبسطت اضواؤها على محيطنا وبزغت شموسها في وسطنا فهي وان كانت على جانب من الوفور والكثره. ولكن اهمّها حياةً واقدمها عهدا. وابقاها اثرا. واحظاها بالعلم والتاريخ واوقفنا منها على اكثر الشوءون والاحوال هما الشريعتان الكريمتان · شريعتا التوراة والانجيل المقدّسين · اصطفى الله خليله ابراهيم ثم بارك في نسله اولادا واحفادا وجعل منهم صفيّه اسرائيل ابا الاسباط وجعل فيهم الملك والنبوه واورثهم العلم والحكمه حتى ملكوا مصر وسوريا والعراق وانتقلوا من البدو الى الملك ومن الحصير الى السرير وانتشر اذ ذاك بنو اسرائيل وصاروا امّةً من الامم وكبير حزب من الاحزاب فيهم الوصاية والنبوه والقضاء والحكمة وما فتأوا ان انتقلوا الى مصر وزرآء وملوكا بعد ان كانوا خولا ومماليكا ثم ما اغبّت الايام الا وعادوا في اسر الفراعنه واستعبدتهم الجبابره يسومونهم سوء العذاب يقتّلون الابناء ويستحيون النساء حتى ادركت العناية ذلك الشعب التعيس فارسلت من يفكّه من الاسر ويحرّره من ذلّ العبوديه ويخلّصه من اشراك الهوان فنبغ من بينهم ذلك الايّد النبيُّ الكريم موسى ابن عمران على رغم مساعي (امينوفيس) فرعون ذلك العصر الذي وضع المراصد والربايا واسهر عيون الحراسة على ذبح كل مولود من الاسباط فما احسّ الّا و صنيعته موسى قد اصحر بارزا تلقاء وجهه يغلظ له القول ويتنمّر عليه في المكاشفة ويدعوه الى الاذعان له والدخول تحت طاعته وتخليص شعب اسرائيل من مخالب استعباده وما ازف ذلك المخلّص ان اغرق فرعون وقومه في بحر طغيانه واهلكه بتيّار عدوانه وخلفه في دار ملكه وسلطانه وما دارت الدوائر حتى اجتمع لبني اسرائيل الملك والنبوه والملّة والدوله والحكم والحكمه وملك اوصياء موسى الارض المقدسة وانبسط باع سلطانهم الى ملك الاشوريين من بابل بعد مصر وفلسطين · واصبح شعب اسرائيل دولة من دول العالم · ومملكة من ممالك الارض · ولكن ما لبثت غير قليل · حتى دالت الدول وحالت الاحوال وفسدت الاخلاق · وركنوا الى الترف والنعيم · واخلدوا الى الملك والسلطان وشبّت بينهم نيران الحروب · وسفكت فيهم

الكتب الالهية كشيث وادريس ونظرائهم من شيوخ الانبياء واوايل المرسلين وتكون شرايعها قد دخلها التغيير والتبديل كما دخل غيرها من الشرايع

الدماء في سبيل الاستئثار والغلبه . بيد انهم لم يعدموا في اُوليات ملكهم ملوكا صالحين لهم حظٌّ من الوحي والنبوه . كان اوَّلُهم (شاول) الموسوم في الفرقان باسم طالوت ثم ملك بعده داود ثم ابنه سليمان ثم وارثه الفذّ (رحبعم) ومنه دبَّ سوس الفساد وطلعت طلايع الشرّ على ملكهم واخذ يتلاشى . والفتن فيه تتفاشى فغيَّروا وبدَّلوا وحرَّفوا واوَّلوا وخالفوا شريعتهم وجاهروا بالخنا والخلاعه وعادوا الى عبادة الاصنام على اشنع وجوهها فنصبوها في بيت الرب اربابا وتشيعوا لها احزابا — وما برحوا على ذلك حتى سلَّط الله عليهم عبادا اولي باس شديد وهم الكلدانيون وفي مقدّمتهم بختنصر (نبوخذنصر) ففعل بهم مالم تفعله الفراعنة باسلافهم فجعلهم جذاذا . واحرقهم احياء ا . وصار يعاقب عليهم الكرَّة بعد الكرَّة . ويغزوهم في بلادهم من فلسطين مرّة اثر مرَّه . واعظمُ ما هنالك بليَّه انّه احرق كتبهم المقدَّسة وهيا كلهم المعظَّمة واكتسح اورشليم (بيت المقدس) وفرّقهم في الارض عباديد وردَّهم بعد الملك وهم الاحرار كالعبيد ولم تزل الملوك من بعد هذا الطاغيه تسيربهم في اوعر السبل واخشن المسالك تسومهم الهوان والخسف وتجرّعهم مصبَّرة الحتف . وضُربت عليهم الذلة والمسكنة حتى امعنت بهم ارجلهم في الهرب من الرهب وتفرَّقوا ايدي سبا في شاسعات البلاد وزوايا الارض اوزاع مشتتين خلف كل باب . من عمران او يباب طوى الدهر عليهم ما يناهز العشرة قرون وهم على ذلك ومثله وحين بلغ الامر الى غايته وانتهي بهم البلاء الى تخوم شدته تحركت لهم عواطف الرحمه وادركتهم عوارف العنايه فارسلت منهم اليهم نفحة من روحها وكلمة من كلماتها وملاكا بشرّيا من ملكوتها

﴿ ذلك المسيح عيسى روح الله وكلمته التي القاها الى مريم ﴾

تجسَّد هذا الروح الالهيّ واشخص بنفسه اليهم ليجمع كلمتهم ويلمّ شعثهم ويعيد مجدهم ويحيي موتى جهلهم ويبرء الاكمه والابرص من تقاليدهم وعاداتهم

فكان من امره ما هو قيد يدك ومدُّ نظرك (وبمطلع الاكمة منك) (١) والقصارى انَّ في القرون التي تتصل بعصورنا هذه قد كان السايد من الاديان والمنتشر بين من نعرفه من البشر هو تانك الشريعتان وهما الشايعتان عند اكثر الامم بانهما خاضعتان لعبادة إِلهٍ واحد ومعبود فرد مقدّستان عن شرّ الشرك وارجاس الوثنية مترفعتان عن

---

(١) مثل من من امثال العرب يضرب للامر الجلي الواضح العتيد الحاضر

السجود لغير الخالق الحق الحي الاحد امّا العرب فقد كان في قبايلها وافرادها من تلك الديانتين حصّةٌ ليس بالقليلة غير ان الشايع الفاشي والمذهب الاغلب الذي يَعرف العربَ به سايرُ الامم وينتمي اليه عامتهم وخاصتهم واكثر قبايلهم وعمايرهم هو دين الحنيفيه دين جدّهم ابراهيم وابيهم اسماعيل الذي هو احق واعرق بالتوحيد ممّا لحقه وتعقّبه — بيد انّ اصل الدين كلّه متحد الجوهر ٠وان اختلف المظهر ٠ الاديانُ كلُّها متحدة الحقيقه ٠ وان اختلفت الطقوس والطريقه ٠ الاديان كلها واحدة تدعو الى عبادة الواحد لاتختلف في المبادي ولا الغايات ٠ وانما اختلافها في مايناسب البيئة والامة من القوانين والمشروعات ٠ ودين الحنيفية هو دين التوحيد وان ادخلت فيه الجاهليةُ ضدّه من عبادة الاصنام ولكن هذه الدخيلة بل الرذيلة كانت كاسمها جاهليةً هم يعترفون انّها ليست من دين آبائهم بشيء ٠ وانما وجدوها عند بعض الامم فقلّدوها ثم فشا ذلك فيهم حتى بلغ اقصى مبالغه وابعد غاياته وانت تعرف ما للتقليد من النفوذ في النفوس وسريانه في اكثر الاشياء ولا سيما في العقايد والطقوس ٠ بيد انّ العرب وان مسخوا ونسخوا ذلك الدين المقدّس ولكن بقيت منه فيما بينهم بقايا تستنير في مدلهمّات كفرهم وحُلوك عاداتهم استنارة الثواقب في اديم الليل البهيم فكانوا يحجُّون البيت الحرام ويعظِّمون قبل النسيء حرمة الاشهر الحرُم ويختتنون ويفترضون الغسل من الجنابة ويعافون الدم ولحم الخنزير ويبيحون التزوج باكثر من واحده ويفسخون عقد الزواج بالطلاق الى كثير من امثال ذلك من الآداب وكرايم العادات كاكرام الضيف وحفظ الذمار وحماية الجار والوفاء بالذمم والشجاعة والكرم وعدة من هذه الفضايل التي هي تمام محاسن الاخلاق ومن اهمّ ما تتحرّاه الاديان للانسان وما تحرصُ ان يكون متخلِّقا بها منطبعا عليها وكلّ تلك الاعمال والخلال والعادات والعبادات قد ورثوها من انبيائهم وآبائهم ابراهيم واسماعيل لم تزل تنتقل في سلايلهم وقبايلهم وكبّار اشياخهم وخلفهم من قحطان وعدنان ومعدّ ونزار ٠ وفهر وكنانه ٠ وامثال هؤلاء من رؤوس القبايل ومبادىء السلايل (١)

(١) ان من الغريب ان بعض كتّاب المسيحيين من ارباب الصحف السيّاره قد فتح في مجلته بابا متتابعا حاول فيه اثبات ان العرب كانوا كلهم او جلهم نصارى واتى على ذلك بدلايل اوهى من اسلاك الهبا وابرد من ريح الصبا ركب عشواء في شعواء وخبط خبط الاعشى في الظلماء يحكم على القبيلة بحكم الفرد وعلى الفرد ببيت من اشعاره فيه ذكر الصليب او ذكر الكنيسه

او المسيح او غير ذلك مما لا يختص الكثير منه بالنصارى وعلى تقدير الاختصاص فلايمتنع ذكره لاغراض اخر غيرالدين وانت جدّ خبير ان الشعر لا يثبت المذهب على الاغلب الاّ اذا وقع على القصد والعناية لذلك

والاّ فتنصر قيس بن زهير العبسي لا يقضي ولا يشعر بنصرانية كل بني عبس وقول النابغه

ظلت اقاطيع انعام موبلة لدى صليب على الزوراء منصوب

لا يقضي بتنصره في ذاته فضلا عن نصرانية كل بني ذبيان — سواء اراد بالصليب العلم او الصليب المعروف كما انّ وجود بعض الاديره في ديار بعض قبايل (طيّ) لا يقضي بتنصر كل قبايلها • وتنصر ورقة بن نوفل لا يستلزم تنصر بني اسد بن عبد العزى فضلا عن قبايل قريش فهل يحسن بهذا ان يعقد الكاتب عنوانا لوجود النصرانية في مكه وفي قبايل قريش والاعجب من ذلك الاستدلال على هذه المزعمه بوجود صور الشجر والملائكه وابراهيم وعيسى في الكعبه وان النبي صلوات الله عليه امر ان تمحى جميع الصور الا صورة عيسى عليه السلام وما اعرف ما وجه الدلالة في ذلك وهل وجود صورة احد المشاهير في بيت الانسان يدل على انه مدين به على ان العرب وان كانت حنيفيه ولكنها ما كانت لتنكر فضل عيسى (ع) ولا لتجهل مقامه كما لا تجهل فضل موسى (ع) والاسباط وهذا لا يصيرها يهودية او نصرانية وان حلفت به او بصليبه او رسمت صورته • ومن الظريف ايراده قول ايمن بن خريم في وصف الخمره

وصهباء جرجانية لم يطف بها حنيف ولم تنغر بها ساعة قدر
ولم يشهد القس المهيمن نارها طروقا ولا صلىّ على طبخها حبر

فقال ان المراد بالخمره قربان النصارى والحنيف هو الراهب الى آخر ما ذكره وهذا كما يحكى في النوادر من تفسير ذلك الاعرابي لقول الفرزدق

بيت زرارة محتبٍ بفنائه ومجاشع وابو الفوارس نهشل

ان البيت هو الكعبة وزراره الحجر الاسود ومجاشع بئر زمزم ثم سئل عن نهشل فتامل ملياً وقال هو القنديل المعلق في وسط الكعبه • وبالجمله فمن يراجع ما سرده في تلك المقالات المتتابعه يجد من الغرايب ما يضحك الثاكل ويثير تعجب كل عاقل وله كثير من هذه التمويهات في كتابه (شعراء النصرانيه) ولكن مما يثير الاسف على ضياع العلم وكساد الحقايق وترويج الاباطيل استشهاده بكلمات عبدالمسيح الكندي في رسالته الى الهاشمي في ايام المامون وما كنا نظن ان مثل ذلك الكاتب المعني بطلب الحقايق يغالط على نفسه او على البسطاء بمثل هذه المغالطه كيف وهو وكل من له ادنى حظ والمام من التاريخ يعلم ان هذه رسالة مجعوله وانها من مفتريات هذه العصور وان عبدالمسيح هذا والهاشمي ذاك ما كانا الا كابي زيد السروجي والحارث بن همام في اقاصيص الحريري والهمداني وسياتي التنبيه والاشارة لهذا في اخريات هذا الجزء ان شاء الله (وعلى أيٍ) فنحن وان كنا نرى ان مزعمة نصرانية اكثر العرب وهم حايل وشبح خيال زايل وان حججها داحضه ودلايلها مدخوله ولكننا لا ننكر ان في العرب كثيرا من النصارى قبايل وافراد وجماعات واحاد بيد اننا لا نستيقن ان النصارى كانوا في العرب اكثر من اليهود وسواء كانوا اقل ام اكثر فليس لذلك الكاتب منهم حظ ولا نصيب سوى انه قد حلب حلبا

ولكن وبالاسف انّ الاذناب وسفلة الاعراب والطغمة والاوغاد لم يدَعوا تلك المآويَّة الصقيلة حتى مزجوا الرذيلة بالفضيله وادخلوا في الحنيفية البيضاء كلّ معوّجة سوداء والبسوها رداء الهمجيه ووسموها بكل سمة رديه فكان ايسر ما عندهم نصب الاصنام . والاقتسام بالازلام والخمر والميسر والداب سعيا وراء الغارات والسلب والنهب واهون دمٍ يراقُ عندهم دماء البشر ولا سيما من اخوانهم وابناء جلدتهم حتى اصبحوا والشغل الشاغل لهم الذي كأنّهم لايعانون سواه ولا يمارسون غيره ولاتقوم مقوّماتهم الحيويه الاّ من ريعه هو الغزوات والغارات وسلب النفوس والاموال اما الفوضى عند اوباشهم في الاعراض وعَدْو بعضٍ على حلايل غيره سرّا او امتلاكها بالاستيلاء جهرا وبيع ما اصابوه في الغزوات من البنين والبنات في سوق عكاظ او في غيره من اسواقهم فعطّها بذلا ذلك واسترها بكل شرا شرك . ولكن هلمّ الخطب في غلظة تلك القلوب التي هي اغلظ من اكباد آبالها . واقسى من صخور جبالها . تلك القلوب التي تئد بناتها وتقتل من خشية املاقٍ ابناءها . تدفن بايديها افلاذ اكبادها . وقِطع فوءادها اي همجية هذه واي بربرية هي . هذه كانت جمهرة اخلاق العرب وحالتهم الاجتماعيه

ليس له ولا شطره وعانى امرا اذا تمّ تعدّاه فخره . انّ جلّ نصارى العرب او كلهم قد كانوا (يعاقبه) و(نساطره) وامثالهما مما يبتعد عن الكثلكه اشد التباعد وكانت نصرانية العرب ابسط مذاهب النصارى واقربها الى المعقول وانسبها لبساطة طباعهم . وقد كانت مقالاتهم في المسيح (ع) طبق ما انبأ عنه الاسلام وضربة العربي على عرنينه اهون عليه من تكليفه الايمان بسر الثالوث وان الواحد ثلثه وان ياكل الخبزة على انها لحم المخلص ويشرب الخمرة على انها دمه ونظاير هذا مما ليس القصد في الحاضر الى بيانه وانما الكلمة التي اردنا بيانها وتسجيلها على الاستطراد هي ان المذهب العام في العرب قبل الاسلام ما هو الا ما انبأنا عنه من مذهب الحنيفيه مذهب ابراهيم واسماعيل الذي بقي عندهم كثير من نواميسه وشرايعه التي عرفتها ودخله كثير مما ليس منه شان ساير المذاهب والاديان التي يمر عليها تطاول القرون والازمان وقد صرح كثير من العرب بذلك قال ابو قيس الاسلت

فلولا ربنا كنا يهودا ... وما دين اليهود بذي شكول
ولولا ربنا كنا نصارى ... مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنا خلقنا مذ خلقنا ... حنيف ديننا عن كل جيل

ولو اردنا اثبات هذه الجليه لاتينا من الحجج الدامغة والبراهين الساطعه ما لا يحجبه اكثف الحجب والمساتير وسياتي من حديث زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ونظرائه ما فيه بعض الدلالة على ذلك ونتعرض لاستيفاء المسئلة هنالك والله المستعان على اصابة الواقع ونصرة الحقايق ان شاء الله

والاقتصاديه والدينيه · هذا والشريعتان الموسويه والمسيحيه بين ظهرانيهم وخلال اطناب منازلهم لم تفدهم شيئاً من التهذيب ولا حظاً من التربية والتشذيب · اذاً فما احوجهم الى من يطهّرهم ويزكيهم ويهذّبهم ويربّيهم · ما احوجهم الى من يخلّص تلك الفضايل من هذه الرذايل ويعيد اليهم شريعة جدهم ابراهيم غضَّةً جديده · يكمل نقايصها · ويتمّم محاسنها بالنواميس والمشروعات في كل الشؤون والحاجات · بحيث يلايم كل عصر ويوافق كل وسط · ويناسب كل زمان · فلا يبقى بها شايبة نقص ولا مظنَّة قصور · ولا مجال تغيير وتبديل · فتبقى ابديَّة مع الانسان قمينة بكل سعادته رهينة بجد حياته في اولاه وآخرته · طالما تمسَّك بها الانسان ولم يفلت عراها الوثيقة من يده — هذا حال عرب الجاهلية وموضع حاجتهم — امَّا تانك الشريعتان فتقع فلسفة النظر فيهما من وجهتين حريَّتين بالبحث والتمحيص ﴿ الاولى ﴾ من حيث جوهر حقيقتهما الاصليه واصول مباديهما الاوَّليه ﴿ والثانيه ﴾ من حيث ما طرء عليهما من الطواري وما عرض لهما من العوارض والتغيرات والتبدلات والمسخ والنسخ الذي لم يختص فروعها وشراشرها بل سرى الى اصل جوهرها وروح حقيقتها فلبسوها اهلوها لبس الفرو مقلوبا والرداء معكوساً · اما النظر من هذه الجهه فترجىء بسط الكلام فيه الى موضع آخر فيما سيأتي ان شاء الله

امَّا ما نقوله من الوجهة الاولى فمع تقديم كل احترام وتعظيم لذينك الديانتين الكريمتين نقول ان كل خايض في العهدين متعهّد لهما بتدبّر وروَّيه ومتصفح للتاريخ لِيدعم به ما يستفيده من كتب الدين يجد لا محالة انّ الشريعة الموسوية حسب اقتضاء تلك الظروف وصالح ذلك الوقت واولئك القوم قد كانت جافة شديده تجهد الانسان وتنغّص عليه حياته وتتركه في اعقد من ذنب الضَّب عسراً شديدا وحرجاً مُخلاً بالامور الحيويه ومزهقاً لِروح الراحة والدعه

ومع ذلك فهي جسمانيةٌ اكثر منها روحانيه بل كأنَّها جسم لا روح فيه وشبح لا حياة به اريد بذلك انَّها لا تلطِف المشاعر ولا توّسع المدارك ولا تفتق للعقل وجوه النظر ولا تميح الروح خفَّه ولا النفس ظرافةً ولباقه ولا الاحساس نشاطا واريحيه وهذه ملحوظة ما انفردتُ بذكرها ولا انا ابو عذرتها وابن بجدتها بل قد نبَّه عليها الباحثون وقيَّد شاردها حتى المؤرخون وانَّما اضمّ رأيي الى رأيهم واجعل يدي في ايديهم هذا ابو الفرج العبري الحبر القسيس والاب القدّيس والمؤرخ الثبت في

تاريخه الموسوم (بمختصر الدول) صفحه ٣٢ من طبعته الشهيره بعد ان ذكر شيئا من الوعد الإلهي لمن عمل بوصايا الإله والوعيد على من خالفها قايلا « يااسرائيل ان عملت بوصايا آلهك بوركتَ في قريتك . بوركتَ في حقلك بورك ثمار كرومك وولد بعيرك . . . وان خالفتَ تنقلب بركاتك لعنات ويبدّدك الله في جميع الامم ويعطيك قلبا فزعا ووجع العين ورماك بالنيط . وتكون مرعوباً بالليل والنهار . قال العبري بعد نقل هذا — ما حرفه . اقول تأمّل ايها القارىء كيف جعل الله وعده ووعيده لبني اسرائيل مقصورين على ما يرونه في دنياهم من غير ان يذكر لهم شيئا من احوال الآخره وامور المعاد وذلك لغلظ طباعهم وقصورهم عن النظر الى العالم الروحاني» . والصادعون بهذا وماهو اكثر منه كثيرون ولكن الشأن فيمن يتوصّل من هذه المقدّمات الى الغايات ويعرف ما ذا يلزم في العناية من وراء ذلك اذاً فالشريعة الموسويه وان كانت مقدّسه آلهيه ولكنّها اشبه بان تكون موقّتة محدوده في ظروف مخصوصه ولا تصلح ان تكون عامة لكلّ البشر وفي كل الازمان سيما خلوّها عن النواميس والاحكام لكلّ الضروريات الاجتماعية والفرديه الاخلاقية والاقتصاديه فلا مواريث ولا جزائيات ولا عقود ولا معاملات . ولا . ولا .

اما اختها العزيزة لدينا . والكريمة على الله وعلينا . فلا اقول انّها والموسويه شعبتان من رند . وشعلتان من زند . ورضيعتان من لبن . ونبعتان من فنن . بل اقول هي تلك بعينها . وبتمام حقيقتها وكنهها . كلاّ ما انا اقول ذلك بل نفس شارعها والصادع بها اعلن بهذا في آيات من اناجيله . وبيّنات من اصحاحات قبيله . قائلا لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس او الانبياء ما جئت لانقض بل لاكمل ١٨ الحقّ اقول لكم الى ان تزول السماء والارض لا يزول حرف او نقطة واحده من الناموس حتى يكون الكل (١) اما زوال نقطة السبت الى الاحد والختان الى التغطيس والمعموديه وحرمة الخمر الى الاباحه وكثير من اشباه ذلك فالمقام مقام نبوه بل ربوبيه فهو موضع تسليم واذعان لا بحث واعتراض وعلى (ايٍ) فليست المسيحية الاّ شريعة موسى (ع) بجميع احكامها ومشروعاتها ولا تجد في الانجيل شيئا من وظايف التكليف وطقوس التشريع وانمّا معوّلها على مافي العهد القديم من ذلك كذا يقولون

(١) الناموس عندهم كما ذكر في قاموس الكتاب المقدس ما نصه يطلق على شريعة موسى الادبيه والطقسيه والسياسيه مت ٥ : ١٧

ولنطوه على عواهنه ونلفّه على بلالته . نعم للمسيحية الفضلُ على تلك انّهـا بعثت روحا في هياكلها . ومعانيَ في الفاظها . وحياةً في قوالبهـا . فروّقت مشاربها . ولطّفت مناهلها . ولكنّها من قبيل ما يقال . زاد في الرّقة حتى انقطع . وحلّـق حتى كاد ان يقع . فاصبحت في هذه الجهة على الضدّ من تلك فكأنّ احداهما جسمانية محضه . والاخرى روحانية خالصه . وقدضاع بينهما حدُّ الوسط والاعتدال الذي هو خير الامور بل هو الخير كلّه . وسندُ دعوى ان الثانية هي روحيةٌ اكثر منها جسميَّة خطبةُ سيدنا المسيح عليه السلام الذي خطبها على الجبل تلك الخطبة الذهبية التي تشعُّ من طيّاتهـا الانوار الالهيه ومدارك الحنان والرحمه ولا يُوءثر عن المسيح كلام يدانيها او يساويها ولعلّها هي اساس شهرته . بل تمام شريعته . فكأنها هي الديانة المسيحية كلها ولكن ايّ تالٍ لهـا ولو درْجا لايعرف انها غـير معنيَّة الاّ بالامور الروحية والكون المعنويّ والعالم الاخروي وليس فيها من شأن المحسوسات وتدبير هذا المنزل شيء بل هي عاملة بكل فحاويها ومناطيقها على اهماله وخموله وتقهقره وسقوطه . الى اعمق المهاوي وانزح الدركات . يقول له المجـد والشرف لا تكنزوا كنوزا على الارض ولكن اطلبوا كنوز السماء . لا تهتمُّوا بما تاكلون وتلبسون فانّ طيور السماء لاتزرع ولا تحصد ولا تجمع يقول (ع) . لا تتعب لاتغزل وكن كزنابق الحقل . يقول اذا ظُلمتَ لا تقاوم البشر ولا تدفع عن نفسك ومَن اخذ ثوبك فاعطه رداءك . ومن ضربك على خـدّك فحوّل له الآخر ومن سخّرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين . هذا نموذج تعاليمه . وخلاصة شريعته سلام الله عليه ونحن نبرّر ونقدّس تلك التعاليم ولا نرتاب ولا نشك انها تعاليم الهيه وطقوس مباركة قدسيه ولكننا نقول فيها ما قلناه في سابقتهـا انها شريعة اقتضتها طبيعـة الوقت وضرورة صالح المحيط ولعلّ العالم يومئذ كان في حاجة الى مثل ذلك ولكن ليس من العناية ان يُجعل الخاص عامًّا لكلّ زمان ولكلّ جيل وامّه بل من الواجب في الحكمه بناموس (لا يصح غير الصحيح) (ولا يبقى غير الانسب) ان تضع شريعةَ الوسط والاعتدال . وتعود بالاطراف الى الاوساط . وبالانحرافات الموقته الى الاستقامة الموءبّده

اذا كانت ضرورة بني اسرائيل يومئذ تقضي عليهم بشريعةٍ تقول لهم لاتزرعوا ولاتتعبوا ولا تقاوموا الخ . فان ضرورة عامة البشر في اشد الحاجه الى شريعة تقول لكل واحد منهم (اعمل لدنياك واعمل لآخرتك) الشريعةُ الوسط بل المحيطـة باطراف

الكمالات واوساطها هي التي تقول (ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك آخرته لدنياه بل خيركم من اخذ حظاً من هذه وحظاً من هذه)
هي التي يقول قانونها المقدس ازرعوا (وكلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده) ويقول في السعي (امشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) ويقول في حفظ الجامعه ودرء الشرور (واعدوا لهم ما استطعتم) ثم يحفظ روح الفضيلة في تعديل تلك التعاليم ويدل على حقيقة الزهد بقوله (لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم) ثم يقول (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ولا يدعها حتى يتلافاها بقوله (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير امدا) (وما عند الله خير وابقى) ويقول (امّا منّاً واماً فداء) ثم يقول في الجزاء (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) (دلالةً على طريق العدل) ثم يدل على طريق الفضل فيقول (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح فاجره على الله) الى كثير من هذه الآيات الذهبية والحقايق الجوهريه مما ليس عقد هذا المقام لاحصائه واستقصائه . وانما الغرض انّ من العناية اللازمه والحكمة الواجبه بعد ذينك الشريعتين ان يضع الحكيم شريعةً وسطا . وطريقا جددا . جامعاً لطرفي العدل والفضل آخذاً باعنّة السعادتين واصلاح النشأتين وتقويم اود الحياتين بحيث يتعادلا في العيار ويتساويا في الوزان . ككفتي الميزان . وهذه الشريعة التي لها هذه الخاصة والميزة عن غيرها هي التي تصلح ان تكون القانون الابدي لصالح عامة البشر في عامة الازمان جيلا بعد جيل . وقبيلا بعد قبيل ويستحيل ان تنسخ او تبدّل او تحتاج الى تكميل او تسويه بعد ان وجدناها وسطا ومركزا . والوسطُ خطٌ واحد يستحيل ان يتكرّر والمركز نقطة يمتنع ان تتعدد .
وهذه الفلسفة التي ابديناها من المناظرة والمقايسه بين الشرايع الثلاثه التي لا نرتاب انها شرايع مقدسة الهيه مترتبة متتاليه . انّ هذه الفلسفة الدينيه . لهي من الحقايق الراهنه التي يصيبها كل باحث منقب وتسبق الى الآراء قبل طول البحث والعناء . وكذلك شان كل حقيقه . وانما العناء في تمزيق ما تكاثف عليها من شبهات المبطلين واوهام المشككين لا في نفس ذاتها . وحقيقة امرها ء الحقيقةُ ابت الا ان تتجلى حتى على لسان من يناويها ء ويجحدها ويلحد فيها — هذا (شبلي شميل) وهو من تعلم ما هو وكيف هو من الدين يقول في مجموعته (فلسفة النشوء والارتقاء) في التعاليق منها والذيول ما حرفه «شريعة موسى مادية عمليه ايضا ولكنها غير مستوفاة وشريعة

عيسى وان كانت حِكما ومواعظ تعتبر اصولا كليه الا انَّها في جملتها نظرت الى العالم الروحاني اكثر من الحياة الدنيا بخلاف شريعة محمَّد فانَّها نظام اجتماعي عملي ماديٌّ قانونيٌّ حقيقي » ولهولغيره جمٌّ من هذا القبيل وما هو اوسع وانفع منه بكثير ولعلّنا نأتي عليه في مواضيع اخرى من هذا الجزء نستوفي بعضه ونحصيه لاننَّا نعدُّه شهادة حقٍ لنا ، ممن ليس هو منَّا ، ولا متهم في حقّ سوانا ولا في حقنا ، ولكن حيًّا الله الحقايق التي لا تعدم لها نصيرا حتى ممن يصدّ عنها · وظهيراً يعترف بها على انّه يلحدفيها

وليس كل هذا من القصد وان طال كلامنا فيه ، انَّما القصارى والمتحصل من من كل ما سبق هو انَّنا بعد ما اثبتنا ان لهذا العالم قوَّة مدبّرة معنيَّة باصلاحه وسعادته باختياره وارادته عاملة على تنسيق شؤونه ونظم معاشه ومعاده على ابدع ما في الأمكان وانَّ ذلك هو اقصى الغرض والغاية من ايجاده لا للانتفاع به ولا للانتقام منه ولا لاظهار القوة والسلطه عليه ثم نظرنا في جملة من نواميسه وشرايعه التي سنَّها ووضعها لتلك الغايه من الاصلاح فوجدناها بضرورة العقول وبديهة الفطره وشهادة من لا يؤمن بتلك القوَّه — ناقصة ليس فيها سداد من عوز ، ولا دفعا لحاجه ، ولا صلاحا لكل فساد

ثم نظرنا في اخرى بعينها واغرقنا نزعا في مشروعاتها فوجدناها لم تدع كثيرا ولا قليلا ، ولم تهمل نقيرا ولا فتيلا ، حتى حلّ العقال ، وارش الخدش ، ودية النطفه دافعة كل شقاء جالبة لكل سعاده جامعة للعدل والزياده ، واقفة على حدّ الوسط والمركز في كل سانحة ولائحه وغادية ورايحه (وكذلك جعلناكم امة وسطا) فهل يسوغ في حكم العقول وضرورة الوجدان والحال على ما عرفت ان نحكم بان تلك شرايع الهيه ونواميس قدسيه دون هذه التي هي بتلك السعة والاحاطه ، والجامعية والبساطه كلاَّ ثم كلاَّ ، وهيهات هيهات ، انّ انكار كون هذه من اعظم الشرايع ، واقدس الملل ، وخاتمة الاديان ، ان انكار شيء من ذلك مساوق لانكار نفس تلك المبادي الاولى ، وعودٌ الى التعطيل ، ورجوع الى الالحاد ، — فحقًّا نقول · امَّا ان تكون الشريعة الاسلامية هي الشريعة الآلهيه والدين الابدي ، وامَّا ان لا يكون للعالم صانع ، ولا للكون مدبّر ، حقًّا اقول ، اما ان يكون (محمد) صلواتُ الله عليه وعلى آله وصحبه رسولَ الله وخاتم النبيين وامَّا ان يكون لا نبي في العالم لا نوح ولا ابراهيم ، ولا موسى ولا عيسى ، بل يعود حديث النبوه حديث خرافه

وترّهات وسخافه ء حقًّا اقول امَّا ان يكون القرآن هو الناموس الآلهي والقانون الابدي وامَّا لا توراةولازبور ولا اناجيل ولا مزامير ءحقا اقول · وانا الزعيم بذلك وذمتي به رهينه ء انّه ما من امّة من الامم ولا ملة من الملل ولا واحد من البشر يقيم برهانا او براهين على صحة ملته ويسجِّل دليلا على حقيقة معتقده الاَّ ونحن معاشر المسلمين نقيم ذلك البرهان بعينه ء مع اضافة اضعافٍ من مثله ء وممَّاهو اقوى واشدّ واعلى واسدّ على احقيَّة الشريعة المحمدية واولوية الديانة الاسلامية وناسخيَّتها لكل الشرايع والاديان وعدم صلاحية شيء منها لان يُنسخ بشيء مدى الابد والى منتهى الازمان — هذا ما اردنا بيانه من كل تلك الفلسفه الآنفه وسيتضح لك الكثير منه في المباحث التاليه اذا شاء ربُّك · وشاءت لنا ولك عنايته

﴿طريق اثبات النبوه لمن عاصر او تأخر عن زمان الدعوة﴾

امَّا الحجَّة والمحجَّة لاثبات النبوه وانّ الزعيم بها والمدّعي لها هو حقًّا رسولٌ من الله والمهيمن منه على عباده . فسبيلُ ذلك لمن هو في عصر الدعوه جدَدٌ لاحب بالمعجزة التي تقدّمنا اليك في تفاصيل الكلام عنها ولكن توسيع النظر وتسريح الفكر في فجاج البحث والتأمل ينتهي بنا الى طرزٍ آخر او آخر طرز من البيان . وذلك انك تعلم احسن العلم ان هذا البشر منذ كان ولا يزال على طبقاته وشتى اسناخه التي لا يحصيها العدّ ولا تقف عند حدّ ولكن يسعنا ان نجعله جميعًا ضمن دايرتين يُعبَّر عنهما في الشايع « عامة » وخاصه .ونوعز بالخاصه الى ذوي الالباب النافذه والخواطر الثاقبه والمدارك العاليه والقرايح القويه وما اشبه هذا من الجُمل الكثيره وموجزُهـا كلمةٌ واحده وهي انّ الخاصه من بلغ بحسب فطرته وفضل مساعيه ومعونة جدّه وجهده الى حقيقة الانسانيه فهو انسان كما ينبغي للانسان ان يكون . والعامة من لم يبلغ كيانه ووجوده الى حقيقة الانسانيه ولكنَّه في صراطها ومستعدٌّ لها فهو بذرةٌ من ذلك النوع ولمَّا يبلغ بعدُ اليه

(امَّا الخاصة) فهم بفضل ما عندهم من العلم والمعرفه وصحّةالحدس والفراسه . في غنىً عن تحرّي المعجزات والتماس خوارق العادات بل يمعنون نظرًا في شمايل ذلك المدّعي للرسالة ويغرقون نزعًا في تدبّر رسالته وماجاء به من عند مُرسله فان وجدوا على شمايله دلايل من مرسله وعلامات من مبتعثه وانّ رسالته طبق ما يُعلم من حال المليك الذي يدّعي الرسالة عنه وعلى وفق ضروريات الامة التي اُرسل فيها وقام بين ظهرانيَّها ودعاها الى اتّباعه. والعمل بما جاء به . ارتاحوا به وسكنوا اليه واغناهم ذلك عن الاعتضاد بمعجزه والاعتماد على مُدهشه. وكان لهم من نفس دعواه وجوهر مقالته اعدلُ شاهد على صدقها واقوى دليل على صحَّتها . وشتَّان مَن يستدل على النار بحرارة ضوئها ولمعانها ومن يستدل عليها بتصاعد دخانها . شتَّان طبيبٌ عرفته بمعالجة المرضى والمزمنين حتى ابلوا . وآخر عرفته بكثرة ما يحفظ ويسرد عليك من اسماء العقاقير والادويه . انّ مثل هؤلاء الخاصه من ذوي التمييز والمعرفه كمثل اطبّاء مَهره وعلاجيين جهابذه ولكن اصاب بلادهم اوبئةٌ غريبه عجزوا عن علاجها ومعرفة اسبابها فنبغ من بينهم رجل ومعه كتاب يعرّفهم العلل والاسباب . ويدلّهم على طرق العلاج لتلك الاوصاب . ويشرح لهم الداء والادواء وما يُقتلع به جراثيم ذلك الوباء. وما نظروا في كتابه حتى ادركوا بفضل ما عندهم من ذلك الفنّ ومزاولتهم ايَّاه طول اعمارهم انّه قد اصاب الحقيقه وبلغ الغايه وما عتموا ان عوَّلوا على الامتحان فوجدوا العيان ظهيرا للبيان . أفهل يلتمس منه احدهم بعد هذا ان يطير في الهواء او يمشي على الماء تصديقًا لدعواه وتثبيتًا لمقالته وحجة على معرفته . انّ الطبيب الذي عالجك وشفاك وابلَّك من دائك وعافاك لَأوْثقُ في نفسك وامكن

بضميرك ممن ادّعى معرفة دائك ودوائك . والقدرة على شفائك . ولو قلب لك الحجر نضارا . واستخرج من الماء نارا . —ولا اوعز بذلك الى الاستغناء عن المعجزات كليًّا . كلاّ فليس كل افراد الامه ولا جميع رجال الشعب ممن لهم قوة ذلك التمييز ومرتبة هاتيك المعرفه وانمَّا القصد انّ هناك مقام فوق مقام الاعجاز ومرتبة تسمو عن مراتب التحدّي . واماَّ الحاجةُ الى المعجزات وخوارق العادات في حقّ من عدا اولئك الخاصه والنفر القليل فهي ثابتة بالضروره

نعم انَّ من عدا اولئك الخاصه من عامة البشر تجدهم على حكم الغلبه لا يعدون ان يكونوا من الرجرجة الاتباع والهمج الرعاع اولئك الذين يتبعون في كل العادات والاعتقادات روءساءهم . ويقلّدون امّهاتهم وآبائهم . ولعلّ الغرض والنجاة يحصل لمثل هوءلاء بالاعتقاد التقليدي . اذا اصابوا الحق بتقليدهم . اماَّ في ضلالهم فتكون المواخذة في مضلَّتهم على من اضلُّوهم من كبرائهم وروءساءيهم الذين لا محالة قد تمَّت الحجةُ عليهم امّا هم فغير موءمنين كما انّهم لقصورهم غير معاقبين عقاب الجاحدين

والخلاصةُ واللباب . وزبدة المخض من هذا الوطاب . انّ الناس كافة على طبقات ثلاث «الاولى» الخاصة وهم لا يحتاجون في امر معرفة النبوه الى ازيد من النظر في احوال ذلك النبي وسيرته وامعان الفكرة في نواميس رسالته . وبفضل ما في غريزتهم . من قوة النفس وصحة الحدس . يعرفون الصحيح من السقيم . والطيِّب من الخبيث . والصادق من الكاذب . والرحمانية من الشيطانيه . وهذه الطبقة وان كانت قليلة العدد عند نسبتها الى غيرها ولكنَّها كثيرة في ذاتها ولعلّ منها جميع النجباء والنقباء من حواريّ المرسلين والانبياء

«الثانيه» العامة والاكثر . والسواد الاكبر . ومنتشر البشر . على سطح

هذا البسيط . المتقلِّص عن الغمرات من هذا المحيط . وهوءلاء يعجزون حتى عن طلب المعجزة بالعيان . فضلاً عن طلب الدليل والبرهان . ولا ازيدك عنهم ذكرا . بعد ان قتلتهم انت خبراً وخُبرا . وعرفت انّهم لا يحتاجون في عاداتهم وعباداتهم الى اكثر من اتّباع روءسائهم وتقليد امهاتهم وآبائهم وما نشأوا وشبّوا عليه من دعرعة الصبا ورفرفة الشباب . لا يحتاجون الى اكثر من ان ينظروا متبوعهم فيميلون حيثما مال . ويتفيّأون ما تفيّأ من ظلال هدىً اوضلال . فدع هوءلاء وما يختاره لهم روءساوءهم وكبراوءهم ومعلّموهم وعلماؤهم . فانّهم لهم المسوءولون ان كان ثمّة من سوءال . نعم ولعمرُ الله انّه لكائن

﴿الثالثه﴾ مِن الطبقات مَن ترّفع عن هذه الطبقه وانحطّ عن الاولى فليس له قوّة ذلك التمييز . ولا نقّاد تلك الفطنه . ولا صيرفيّ ذلك الفكر ومع ذلك فهو لا يتطامن لوضع نير التقليد في عنقه . ولا يرضى لنفسه دون ان يكون كمن يرى الحقيقة بعينه . وهذه اوسط الطبقات والاكثر من الطبقة الاولى . وطريقها الى معرفة صحيح النبوة في عصر الدعوه ليس الاّ المعجزة التي تقنعه وتتمّ عليه بها الحجه كما اوضحناه لك امّا مَن تأخّر عن زمان الدعوه فالخاصة طريقهم واحد في الحالين كما انّ العامه لا يزالون سوآء وعلى قروٍ واحد في جميع العصور والازمان يتشاكلون في التابعية والانقياد وان اختلفو في كلّ شيء امّا الطبقة الوسطى وهم الذين لا يسيرون في سبيل . الاّ على عكّازة البرهان والدليل . ولا يخضعون لمقالةٍ الاّ بعد النظر فيها وطلب الدليل عليها من غير ذاتها فطريقُ هوءلاء الى اثبات النبوه بل ثبوتها عليهم بعد زمان الدعوه وبعد بلوغ خبرها اليهم لا يعدو احدَ امورٍ ثلاثه لا احسب لها رابعا

(الاول) ان يبلغهم بالتواتر ان ذالك المدعي قد اتى في عصره بالمعجزات وتحدّى اهل زمانه بخوارق العادات . وانت على علم من ان المراد بالتواتر كما ذكروا . هو اخبار جماعة يمتنع تواطوءهم على الكذب عادة مع تساويهم بهذه الجهة في جميع الطبقات فيلزم ان يكون كل طبقة تخبر عن مثلها في امتناع تطرق الكذب فلو كان في بعض الطبقات من الوسط او الطرف الاعلى عدد محصور كثلاثة او عشرة او عشرين مثلا انحلّ التواتر وفشل ولو كان المخبرون في الطبقة الدنيا كلُّ من فيها

وللتواتر ثلاث صور (الاولى) ان يتفق المخبرون في جميع الطبقات على لفظ واحد وكيفية واحده وهذا نادر جدا ويعبّر عنه بالتواتر اللفظي (الثانيه) ان تتعدد الوقايع ويتعدد احاد المخبرين بها في الطبقات فتكون كل واقعة غير متواتره ولكن تشترك كل تلك الوقايع في لازم واحد ومعنىً مشترك فيكون هو المتواتر ويسمّى بالتواتر المعنوي لانهم جميعا كمخبرين بذلك اللازم الواحد ويمتنع تواطوءهم على الكذب فيه كشجاعة علي (ع) وزهده وزهد الخليفتين ابي بكر وعمر (رض) فانه مقطوع به من تعدد الوقايع المرويه التي ليس كل واحد منها في ذاته متواترا ولكن القدر المشترك منها يكون بصورة متواترٍ يمتنع التواطوء فيه على الكذب وعلى ذلك ساير الشهرات التي ذهبت مذهب الامثال وسارت سير الرياح كشجاعة عنتره وعدل كسرى . وجود حاتم . وما انعطف على هذ النسق . ليس السند فيها والسبب الاول لها الاّ هذا التواتر المعنوي (الثالثة) التواتر الاجمالي وهو ان يتعدد المخبرون بوقايع متعدده مع قطع النظر عن اشتراكها في لازم واحد ولكنها تكون بمثابة من الكثرة بحيث يمتنع عادةً في حكم العقل والضروره ان لا يكون في تلك الوقايع واحدةٌ — صادقه وعلى طبق الواقع . ويستحيل ان تكون كل تلك الاخبار قد وقعت على الصدفة والاتفاق كلها كاذبة فانّ ذلك وان كان ممكنا في حدّ ذاته ولكنّه مستحيلٌ حسب العاده مرجوحٌ بحسب الغلبه والسبر والاستقصاء . والوقفة عند تلك الاحتمالات الامكانيه مخلٌّ بنظام الكون مبطل لنواميس العمل فلو عملتَ الاحصاء فاحصاً وماحصاً لما تسمعه كل يوم من كل الاخبار لما وجدت يوماً يكون كل ماسمعته فيه لاشيء منه بصادق ولا خبرٌ واحد

فلو بلغتك اخبار كثيره بان المسيح له المجد قد ابرأ الاكمه والابرص واحيا الموتى في عدة وقايع كل واحد منها لايفيدك القطع ولكنك بمراجعة العقل وحكم الغلبه

تقطع بانّ واحدا من تلك الوقايع والاخبار لامحالة صادق ويستحيل عادة ان تكذب جميعا ، اذاً فقد ثبتت لك معجزة عيسى (ع) بذلك التواتر الاجمالي ولايلزم ان تكون تلك الواقعه بعينها معلومه بل نعلم بواحدة منها على الاجمال كما لا يلزم ان تكون كل واحدة بنفسها متواتره وعليه فالموسوي الذي ينكر نبوة المسيح له المجد والشرف محجوج ومفحم بهذا الدليل ٠ الذي لا يجد احد الى دفعه من سبيل ٠ امّا المسيحي مع المحمّدي فدعه وضميره ٠ وخلِّه ووجدانه ٠ فاني راغب الى الله جل شانه انلا يحيد عن جادة الانصاف ٠ ولايحيق به التعصب فيحيف اوينحرف عن منهج الصواب انشاء الله

(الثاني) من الطرق لثبوت النبوة على غير المعاصرين ٠ انيبلغهم باليقين اخبار مخبر صادق يعترفون بصدقه وتتمّ عليهم الحجّة من الله به ٠ من نبي اووصي اوولي يخبر عن نبوة مَن قبله كاخبار موسى بنبوة ابراهيم عليهما السلام او يخبر بنبوة من بعده كاخباره بنبوة المسيح سلام الله عليه او اخبار المسيح بنبوة من بعده ان نطقت وصدقت الاناجيل ٠ «الثالث» وهو اقواها ٠ وارسخها وارساها لدعامة النبوه ٠ وتوطيد الحجة البالغه ٠ وتثبيت اراكين الشريعة الابديه ٠ والنبوة العامه ٠ بل هو من الضروري في الحكمه ٠ واللازم في العنايه ٠ وهو ان تكون لذلك النبي معجزة تبقى لمن بعده من المكلفين ٠ وتستمر بصفتها آيةً على مرور الاحقاب والسنين ٠ ليحصل منها لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم واعصارهم واسناخهم وشعوبهم ماتتمّ به الحجه ويستبين منه لاحب المحجّه ٠ وتُؤدي به العناية وظيفتَها ٠ وتبلغ الحكمة بذلك غايتها ٠ وتكون لله على الناس الحجة البالغه ٠

نعم ولااعرف لملة من الملل ولا دين من الاديان ولا اجد سبيلا للعقل لاثبات نبوة اي نبي كان الاّ بواحد من تلك الطرق اوبامر اوامرين من هاتيك الامور ٠ ولكنها قد تعاضدت باجمعها على نبوة صاحب الشريعة الاسلاميه صلوات الله عليه بل اختصّ بها جمعاء ٠ من دون ساير الرسل والانبياء ٠ وسيتضح لك ذلك على اتمّ وجوهه واقصى غاياته من مطاوي مقالاتنا الضافيه ٠ ومباحثنا الآتية ٠ انشاء الله

﴿ النبوة المحمديه واعجاز القرآن ﴾

قد ثبتت التواترات القطعيه . وقامت الضرورة البتّيه . من جميع العالم . وبين نوع بني آدم . انّ صاحب الشريعة الاسلاميه . والملة الحنيفيه . منشأ ايجاد النشأتين . والمقرّب من الربّ قاب قوسين . علة إيجاد الكاينات واشرف المخلوقات . اكرم النبيين وسيد الاولين والآخرين شفيعَ الخلايق ومرآة الحقايق . الفاتق الراتق . اوّلَ الفكر آخر العمل . خاتمَ ما سبق وفاتحَ ما اقتبل . سيدنا وشفيعنا رسول الله

(محمد)

ابن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وعلى صحبه الطيبين قد ادّعى النبوّه . وتحدّى على قومه بالمعجزه (١) وطلب من اهل زمانه المعارضه . واتى بما هو الشايع في وقته . والمُتنافسُ عليه عند قومه . وما يتفاخرون بأتيانه . ويترفّعون بشأنه . من الكلام الفصيح . والقول البليغ وكانت بلدته املكَ البلدان لاساطين تلك الصنعه . واجمعها لمشاهير تلك البضاعة والسلعه . وزمانه ابهج الأزمنه بهرة الكلام . وقد اجتمع منهم في ايّامه وما قاربها ما لم يجتمع في غيرها من الازمنة والايام . ولمّا دعاهم الى تلك الدعوة المقدّسه طغوا وبغوا اشدّ البغي عليه . وشقّ ذلك عليهم غاية المشقه حتى تخاوصوا بجماليق الحنق اليه . وما دعاهم الاّ الى هُداهم

---

(١) شرعنا اوّلا في ذكر معجزة القرآن لانها هي المعجزة الباقية المخلده وهي اقوى المعجزات ومن التأمل في نواميسه يستفيد الخاصه واهل الادراك والتمييز صحة النبوه وصدق الرساله وبعد انتهاء كلامنا عن هذه المعجزه نعود الى باقي الطرق وساير المعجزات فانتظر والمعونة بالله

ومذ كذبوه تحداهم . وما تحداهم الاّ بالمألوف لهم . والمعتاد لديهم . المأخوذ عنهم والمسوق اليهم . الذي يمسون ويصبحون عليه . ويروحون ويغدون اليه . لا بأمرٍ لم يمارسوه . وحال لم يعرفوه . من علومٍ غامضه. واسرار خفيه طبيعية او رياضيه . ولم يزل (ص) يتقاضى منهم ذلك . ويلحّ عليهم فيما هنالك . بانحاءٍ شتى وطرق مُختلفه . وعبارات متفاوته . حتى اعترف بالعجز عرّيفهم . وتلدّد تليدهم وطريفهم . وصقع مصاقعهم واشاع شنايعهم . وكسّد بضايعهم. وعاد لبيدهم بليدا .وشيبتهم وليدا . وقايهم حصيدا . وعالمهم ابا جهل . وسهيلهم على السهل . وعتبتهم اعتاهم وابو لهبهم اخمدهم واخزاهم . وعبد شمسهم آفل . ونابغتهم خامل .وحيّ اخطبهم ميتا . وابن ابي معيطهم اخفضهم صوتا . وهشامهم مخزوما . ومخزومهم مهشوما . وسراتهم اسارى. وكبّارُهم من الصّغار صِغارا . قد وسموا جباههم بنار العار والعيار .ورسموا على محاسنهم وسم السوء بالذل والصغار . وجعلت كلماته في اعناقهم اغلالا فظلوا لها خاضعين . وطاشت البابهم فقالوا ما هذا الاّ سحر مبين . ثم قنع منهم بعشر سورٍ من سُوَره المنزله . ثم تنزّل معهم وهو الرفيع الى ادنى منزله . فقنع منهم بان يأتوا بعشر آيات . فاجمعوا امرهم وما كان عاقبة جمعهم الا الى الخيبة والشتات وحين بدت عليهم المفحمة البايده . رَضي منهم بسورةٍ واحده . فالتجأوا الي مفاوضة الحتوف . عن معارضة الحروف . وعقلوا الالسنة والعقول ، واعتقلوا الأسنّة والنصول ، ورضوا بكَلْم الجراح ، عن الكَلِم الفصاح وفرّوا الى سعة آجالهم ، من ضيق مجالهم ، وتنصّلوا بنصالهم ، ورأوا انّ ذلك اقوى لهم من اقوالهم ، حتى هلكت على ذلك طواغيتهم وفراعنُهم وتفانت فيه عفاريتهم وثعابنهم ، ودرجت وتحطّمت قرومهم وقرونهم ،

وباءت بالوباء والوبال عليهم اعوامهم وسنينهم ، وتبدّلوا بعزّ الملك ذلاّ ، وما انجلت غبرة الضلال عن جبهة الحق الاّ وهم باسرهم اسرى او قتلى الى ان عادت كلمة الله العليا وكلمة اعدائه السفلى ، كلّ ذلك فرارا عن المعارضه ، ونقضاً لحبال الردّ والمناقضه ، تشهد لك بذلك التواريخ والسير والآثار والعِبر ، من جميع الامم المليين وغير المليين لاخصوص المسلمين والمنتحلين ، كيف ولو كان لَبان ، ولو وُجد لحصَّله الوجدان ، ولتعيَّن ان يقع عليه العيان ، اِذ الدواعي مُتوفرةٌ على نقله اشد الوفور ، متوجّهة الى اذاعته ونشره من ذلك اليوم الى يوم النشور ، فانه صلوات الله عليه قد زاحم جميع ملوك الارض ، واستطالت دعوته في الطول والعرض ، وناطحت كِباشُ كتايبه جميع الامم ، من العرب والعجم ، وكاسر كسرى وقيصر ، وبلغ بريد مخبراته البرّ والبحر ، وانتصر بالله على اليهود والنصارى وحلّق نسر قهره حتى اصطاد الصقور والجبارى . وهو حفظ الله شريعته واعلى كلمته . في جميع ذلك يدعو الى كتابه . ويتحدّى بمعجز خطابه . فلو نُوقض او عورض لخفّت موءونته ولهانت بلواه . ولَبطلت وحاشا ساحته المقدسه دعواه ثم لم تزل تلك المعجزة الباهره . والآية القاهره . باقية على مرّ الدهور وخوالي الاعوام . ومواضي الحقب والايام . لا تزداد على طول المده . الاّ جدّه . وعلى شدايد الجاحدين والمنكرين الاّ شِدّه . ولا يزيدها التكرار والاستملاء . الاّ حسنا وبهاء . وما تصدّى في الازمنة المتأخرة عن زمان نزوله لمعارضته . الاّ مأفون الرأي مايق العقل . حتى انّ من الاعاجيب . وايّ شيء منه تقدَّست آياته ليس بعجيب . انَّك ترى الرجل في جميع المقامات من النظم والنثر والخطب كخطيبٍ مصقع . فارساً في كل حلبة ولدى كل موضع . فاذا تصدّى من اجل ضعفٍ في دينه او

خِوَر في عود يقينه . او زندقة في هواه . اووصم عِهاز في عصاه . الى مقاومة ذلك المقام . ومعارضةِ معجز ذلك النظام . افحم وتبلَّد . واُبكم وتلدَّد . هذا مسيلمه وسجاح وامثالهم من الاوّلين . والمتنبي والمعرّي واضرابهم من الآخرين كلٌّ بزعمه جاء بقرآن وبيّنات . وسُوَر وآيات . ولكن دونك فاضرب فكرك فيما يُحكى عنهم من تلك المزخرفات . فهل تجد الاّ ما يضحك الصبيانَ في مكاتبها . وتسخر ربَّات الحجال منه في مضاربها . ولَعمرُ الله وعمرُ الله قسمٌ عظيم . انَّ هذا الكتاب الكريم . والفرقان العظيم . لو ابدت عجايبه جميع الانام . بجميع الطروس والاقلام وابادت في ذكر معجزاته الدهور والاعوام . لما جُمع من عظيم قدره الاّ اقلُّ مقدار . ولا وقع صيرفيُّ المعرفة من نحو اعشاره الاّ على عشر معشار هذه العزّةُ والمنعه . والسموُّ والرفعه . والحمد والثناء . والمجد والبهاء . والعُجُب والعَجَب . والاطراء والطرب . والاِعجاز والغَلَب . وما يقصر عنه اللسان . ولا يحيط به البيان . ولا تصل اليه الاذهان . انمّا هو في احدى طوايله . وادنى فضايله . واول آياته . واسهل معجزاته . وهي معجزة الاسلوب والبيان . هي الصياغة والنظام . هي التركيب والانسجام هي الاقوال والكلمات . هي فرائد الالفاظ والمفردات . هي جهة التعبير بنفسه مع قطع النظر عن ساير الجهات . امّا لو صرفنا الافكار . وعطفنا الانظار . الى ما في تلك المباني من الاسرار والمعاني . والحقايق والدقايق والمعارف واللطايف . والاغراض والمقاصد . والمصادر والموارد . وما احاط به من الشأو المنيع . بنكات المعاني والبيان والبديع . فهناك تنقطع الاشارات . وتُحيا العِبرُ وتموت العبارات . هناك تحارُ العقول وتذهل النفوس . هناك تخضع الرقاب وتُطأطأ الرؤوس . هناك العظات والزواجر

والنواهي والاوامر . هناك هبّةُ الملكوت وهيبةُ الجبروت . ولوامع حظاير القدس . وطوالع محاضر الأنس . هناك الفزّةُ والهزّه . والعظمة والعزّه . والنفايس والبزّه . القرآنُ المجيد الفرقانُ الحميد . الوعد والوعيد . الترغيب والترهيب . التعليم والتأديب . التصفية والتهذيب . التبعيد والتقريب . الأمثال والحِكم . الحظوظ والقِسم . البلايا والنِّقم . النعيم والنعم . ووقايع الله في الأمم . وما اصابها من النكال والبلاء . في تكذيبها للانبياء . وما حلّ بالظالمين . من اهل السماوات والارضين .

حرّيةُ العقل والمعقولات . توسعة نطاق العلم والمعلومات . روابط عرى الأخوّة والمساواة . عواطف المروّة والمواساة . الشرايعُ الالٰهيَّه القوانين السياسيه . الفنون الطبيعيةُ والرياضيه . الحكمتان العامية والعمليه . دقايق اسرار التوحيد . حقايق انوار الثناء والتمجيد . الرُقى والعزايم . المغيَّبات والملاحم . التسخيرات والطلاسم . اخبار الصدق عن الغيب . انوار الحقّ بلا ريب . اسباب السعادة والنجاة . ابواب الدعاء والمناجاة علوم الاديان والابدان . حقايق المعرفة والايمان . الجفر والرمل وامثالها من اسرار طبايع الحروف . الى غير ذلك ممّا لا يحصيه للراء من عيون الرجال الوف . فكم ثمّ من معادن وكنوز . تحت اشارات ورموز . كلّ ذلك في كلامٍ يدلّ بنفسه على نفاسة قايله . وجلالة جاعله . وملاءة مُمليه ونفوذ مشيّة منشيه . ويميح اليقين ويزيح الشكوك . بانّه كلامُ قاهرٍ قادر هو سلطان السلاطين وملك الملوك . فجاء مِلءَ اِهاب الهيبة والفخامه وحشو ثياب العظمة والكرامه . يعرف ذلك من له ادنى معرفةٍ بعلوم العربيه والفنون الادبيه ، فيامن ذاق منها ولو جُرعه . واستضاء منها ولو بلمعه . اقصد بندائي . واخصّ بدعائي . علماء المسيحيه . واحبار النصرانيه . الذين

فجّروا اليوم من العربية جداول وانهارا . وجلَوا من خرايدها ثيّباتٍ وابكارا . واجروا المحيط باقرب الموارد من قاموس لغاتها . وجاءوا بالوسيط والبسيط في مجمع البحرين من حريريّ مقاماتها . الى غير ذلك ممَّا ينيف على الألوف في العربية من موءلفاتها * . وانا ملتمسٌ سائل . ولكلّ واحدٍ منهم قائل — اَلابذّمة الأنصاف عليك . اَلابما اسدى الحقّ والحقيقة من الفضايل اليك . اَلا بحرمة شرف الانسانيه . اَلا بِذمّة دين النصرانيه . الا بالمروّة والتكرُّم . اَلا بشرف العلم والتعلُّم . الا بحقوق البشريّه . الا بالجامعة العصريه . الا بعلاقة الادبيه . الا بروابط عرى العربيه . الا بوحدة السنخيه . الا بجدة الجنسيه . الا بالجامعة الكتابية الا بالعرفان واليقين . الا بالتمدن والدين . الا ببيت اللحم المعظَّم . الا بروح القدس ومريم . الا بكل الاقانيم . الا بالعلم والتعاليم . الا بيوحنا وبولس الابالمسجد المقدس . الا بكل الاناجيل اقسمتُ عليك الاّ ماطالعتَ وتطلّعت . وراجعت مااستطعت . ورفعت عصابة العصبية عن عين بصيرتك . واحضرت الانصاف وطلب الحق في طويتك راغبا في اصابة الحق لك كان او عليك . واضعًا في التأمل رأسك بين ركبتيك . متوسّعًا في الفكر والتدبر مجالا . ناظرًا في قوله تعالى (وقيل ياارضُ أبلعي مائك وياسماءُ اقلعي وغيض الماء واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين) انظرها وهي في مقامها . واختبرها في عقد نظامها . ثم استقصها اثرا . وتعرّفها خُبرًا وخَبرا . ثم انظر ماذا تسمع وما ذا ترى . امّا هذا الضعيف الذي لا يُذكر . والطفيف الذي هو احقر من ان يُستحقر . على مافي الذهن من الخمود . وما بالقريحة من الجمود . أَجدني عند ذلك وكأني قد امتلأتُ نورا . واوشكت ان اتجافى عن الارض خفَّة وسرورا . ولربَّما

تنوبني الفزّه ويصيبني مثل الرعشة والهزّه. واحسّ من نفسي معنىً لا استطيع عنه تعبيرا. وحرّية حالٍ تسترقّني فلا املك لها تحريرا. ولو ذهبت الى ما في خصوص هذه الآية الباهره. ومظهر القدرة القاهره. من الايجاز والاعجاز وشرف المعاني والمباني وبلاغة التفريع والترتيب. وفصاحة النظم والتركيب وما اشتملت عليه من انواع البديع وغرايب الاساليب. لما اجزتني الجزوات بل احتجت الى مجلَّدات. وقد قامت عنا مهرَة الصناعة وحملة تلك البضاعه بكثيرٍ هو منها قليل. وحقير بالاضافة اليها وان كان في نفسه جليل. ولا تحسبنّ انّ هذه الآية الكريمه عديمة النظاير والاضراب. في ذلك الكتاب ضع نظرك انى شئت من بيّناته. وسرّح فكرك في اية آيةٍ اردت من محكماته تجدْها لتلك شقيقه. ان لم تكن بالتقدّم حقيقه (وما نريهم من آية الا وهي اكبر من اختها) او حاكية في الاعجاز عنها. و(ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها.) وما هي بواحدة ولا اثنين ولا ولا. هناك انظر في قوله عزّ من قايلٍ وعلا (يا ايها الناسُ ضُربَ مثلٌ فاستمعوا له انّ الذين تدعُون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعُفَ الطالب والمطلوب ما قدروا الله حقّ قدره انّ الله لَقوي عزيز) الله اكبر وسبحان الله الفًا الفا. عندما انزل الله حرفًا حرفا. ما ادري ماذا اجرى قلم القدره. وماذا انشأ لسان القوّه وماذا حوى وحمل لوح العظمة والسطوه. بينا أُفيض هذه الشآبيب. ومُبدع تلك التراكيب. ومُعجز هاتيك الاساليب ما ادري كيف اسبغها واساغها. وفي ايّ قالب صبّها وصاغها. والى ايّ حدّ من البلاغة انهى بلاغها. تاهت العقول. وتاهت الالباب. وعجزتِ الافهام. وحُجزت الاوهام. وكلّت الالسن. واعشت الاعين. وانقطعت العبارات وامتنعت

الأشارات . فنكصًا على الاعقاب . وحصًا لأجنحة الالباب . ياهل ترى كيف ابتدأ براعةَ استهلالها بعموم النداء ومفاجئة الدعاء وعقّبه بطلب الأصغاء والانصات . والاستماع والالتفات . اشعارا في صدر الكلام وقبل الشروع في المرام . انّ ما هناك شيء عجيب . وشأن غريب . هو بمثابه . من العجب والغرابه . واماوعيش ابيك انّ ذلك لكذلك أفليس امرًا عجيبا يذر الولدان شيبا . اَن ترى من ذوي العقل جماعه . يخصّون بالعبادة وينقادون بالطاعه . لِمخلوقٍ مثلهم قطعا . لايملك لنفسه فكيف لغيره ضرًا او نفعا . وهو من الضعف والعجز في حالٍ يعجز عن صنع مثل اصغر الحيوانات . بل اخسّ الهوام والحشرات . وانظر الى تلك التتمّه بل التكملة المهمّة . وهي قوله تعالى (ولو اجتمعوا له) فانه بمحلّ ومكان لايأتي عليه الحسن ولا الاستحسان . ثم انظر الى ما وراء ذلك من الترّقي والمبالغه زيادةً في التشنيع . والتقريع لهم والتفظيع . في عبادة ذلك الخلق الوضيع . وهو قوله تعالي (وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) فانَه الغاية في إهانتهم . والكشف عن عجزهم ومهانتهم . وما هو من المبالغة والاغراق الذي هو فوق الواقع . بل ترقٍّ في تصريف المعاني على نحوٍ من البيان بديع بارع . ثمّ انظر كيف عقّب ذلك بما يزيد الحال في الشناعة والفظاعه . واعطى فذلكة المقام فالخّص واجمل . في كلمةٍ ضرَبها ضربَ المثل فقال عزّ شأنه (ضعفَ الطالبُ والمطلوب) ثمّ بعد استيفاء الغرض من تصوير تلك الحالة الهائله . والكشف عن غاية قبحها وشناعتها وانّها معبودات باطله . اوصلَ القول بذكر المعبود بالحق وجهلهم به وتقصيرهم في طاعته وقصورهم عن تعظيمه ومعرفته كما هو واجب حقه . وعلى ما ينبغي من عظيم شأنه . فقال جلّت عظمته . وعلت

كلمته . (وما قدروا الله حقَّ قدره) ونظراً الى الصاقها بالكلام الأول وشدّة ارتباطها به لم يفصل بينها وبينه حتى بحرف العطف لِتظهر المقابله وتبين المباينه . ويتّضح الفرق . ويتجلّى الحق . وحيث كان الشان . والغرض المقصود بالبيان . هو اظهار عجز تلك المعبودات من دونه تعالى وضعفها وضِعتها ناسب ان يجعل ختام الكلام بذكر تاكيد القوّة والعزّة له واختصاصها به لتجمع بين حسن الابتداء وحسن الختام فقال عزّت عظمته وعظمت عزّته (انّ الله لقويٌّ عزيز) عزّتِ اللهم آلاوءك وعظمت نعماوءك أُثني عليك ممجِّدا . وامجِّدك مُوحِدا . واوحِّدك بالعبوديّه . واعبدك بالوحدانيَّه . وانا وما انا بل جميع الفصحاء والبلغاء وائمة الكلام . جباهنا في السجود لآياتك موضع الاقدام . اعترافا واذعانا . وايمانا وايقانا . الى غير ذلك من عظيم مزاياها . وعلى ما ذكرناه فقس ماسواها . وقد اعجزنا استيفاء خواصها ولطايفها . ومعجز بلاغتها وفصاحتها ، وذاك يا ابن وديّ ما لعلَّك سمعته من الامر الذي هو فوق طوق البشر ووراء طور العقل وما اكثر امثال هذه الآية من معجز آياته . وزُبر بيناته . ممَّا لا يتَّسع لِعدّه وسعي وفراغي . ولا يبلغ ادناه اقصى جهدي وبلاغي ' لا واستغفر الله واستعفيه . واتوب اليه واستكفيه . من كلّ حمدي وثنائي . وجميع مدحي واِطرائي . وما جمعتُ واوعيت . وكدحت وسعيت . فقد تقحمتِ ياخراشةُ على منيع سور (١) وتهجّمتِ يافراشةُ على بركان نور . فما اجراك يا هذا على ان تخترق . وما احراك بان تحترق . ومن اين وانّى ' وكيف لي ان اتسنَّم

(١) الخراشه الذباب والفراشه واحد الفراش الذي يتهافت على السراج (ق) جئنا بهما بالافراد والتأنيث تحقيراً لانّ المقام مقام ذلك والبركان كما هو معروف وادٍ اوغار او آبار تقذف بالنار

او اتسنى لصعود تلك المزالق . ورقي هاتيك الشواهق والوصول الى تلك الرقايق والحقايق . من بيان عظمة القرآن وما فيه وإعجازه في مبانيه ومعانيه . وذكر علومه وتعاليمه . وشرف مناطيقه ومفاهيمه .

﴿ القرآن وثناؤه على نفسه ﴾

ان نعت كل شيء من كل ناعت تابع لقدر العلم به . وفرع عن زنة الحظ من معرفة حقيقته . والاطلاع على كنه ذاته . وحيث ان كلامه تعالى شان جلاله . صفة من صفاته او فعل من افعاله . على الخلاف في حدوثه وقدمه مما لسنا بصدد تحقيقه ، ولا من خطتنا في هذه الوجيزة سلوك طريقه ومن الجلي الواضح انه عز شأنه هو المنفرد بالعلم بذاته والاعلم بكنه صفاته . بل حق التحقيق والافاده . ان ما هناك مشاركة ولا زياده . والممكن عن معرفة كنه ذاته عازب . فكيف يحيط معاذالله بمعرفة الواجب اوَ بعد اعتراف سيد الكاينات واشرف الممكنات بالعجز والقصور . يبقى للطمع في الخواطر خطور . وعليه فاكمل ناعتٍ للقرآن نفس القرآن فما من حديثٍ اصدق عنه من حديثه وآياته . ولا دليل ادل عليه من ذاته ولا قول احق بالبيان عنه من قوله . ولا حول اقوى على الكشف عن احواله من حوله . ولا احدَ اعرف بكمال قدسه من نفسه . دونك فاستجلِ صحاف صحايفه . واليك فقف على اعراف معارفه . وانظر كيف تصرف في نعوته وشؤونه . وبماذا اعرب عنه من تصاريف القول وافانينه . تجده مشحونًا باوصاف الكمال ، ونعوت العظمة والجلال ، فبما انه مشتمل على اسباب الهداية وسبل النجاة ومعالم الدين فهو ﴿ ذلك الكتاب لا ريبَ فيه هُدىً للمتَّقين ﴾ وحيث ان فيه الدلايل المحكمه ، والبراهين المتقنه ، التى يُستنار بها في ظلم الظلالات ، وشُبه الجهالات ، فهو برهان

يقين ، ونور مبين ، ﴿ يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبينا قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة ﴾ الى قوله تعالى ﴿ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون ﴾ ولاشتماله على العظات البالغه ، والحجج الدامغه ، وشموس الهداية البازغه ، وينابيع الرحمة السايغه ، كان شفاء وموعظه ، وهدى ورحمه ، ﴿ يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ وحيث كانت فيه البشرى والهدى للمسلمين ، وتفصيل كل شيء لأولياء الله المتدبرين ، قال جل شانه ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ وحيث تضمن الدواء لكل داء ، وتصريف الحكم والامثال والقصص والانباء ، فلا جرم كان للمؤمنين رحمة وشفاء ، وللكافرين خسران وشقاء ، ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا ﴾ وابان عن عظيم منزلته ببيان منزله ومن نزل به ومن انزل عليه ولسانه الذي انزل به ﴿ انه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الأولين ﴾ وحيث تشابهت في البلاغة والاعجاز والبراعة والايجاز ، جل جمله ، وساير سوره ، فمن ذا يحسن القول فيه والحديث عنه ﴿ والله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر

منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد ﴾ ومذ جرت الامور فيه على مجاريها ، وذكرت الاشياء به على مصب واقعها ، وكان من العزة والصيانه ، والقوة والرصانه ، بالمحل الذي يستحيل ان يعارض ، ويمتنع ان ينقض او يتناقض ، ﴿وانهُ لكتابٌ عزيز لا يأتيهِ الباطلُ من بين يديهِ ولا من خلفهِ تنزيل من حكيم حميد﴾ ﴿ولو جعلناه قرآنا اعجمياً لقالوا لولا فُصلت آياتهُ ءاعجميٌ وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ﴾ ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرٌ وهوَ عليهم عمىً اولئك يُنادون من مكانٍ بعيد ﴾ عزت عظمته ، عظمت عزته ، علت سماؤه سمى علاؤه ، عز سلطانه ، تعالى شانه ، بهرَ برهانه ، ما انفكَّ على هذه الشاكله ، على هذه الوتيره ، على تلك العزيمه ، على تلك المثابره حتى وعز اليه الكشفَ عن حقيقة امره ، عن جلية جوهره ، عن كنه كيانه ، عن خبره عن عيانه ، فضرب عنه للناس مثلا صحيحا ، وقولاً صريحا ، حيث جعله جل شانه من لدنه روحا ، لعمرُ الله لعمر الملائك ، ان ذلك لكذلك هو نصاب الصواب ، هو لُبّ اللباب ، هو نفس الامر وعين الواقع ، هو القول الفصل والكلام الجامع ، أفليست هذه الاشباح القائمه ، والاجسام المطرحه ، والهيا كل المنتصبه ، بغير الروح موات ، لاحسّ لا حركة لا حياة ، أتراك تقول نعم ام تقول لا كلاّ بل اقول لعمر التدبر والانصاف ، إن هي الاّ كهذا الحيوان المنتصب الناصب ، الذي هو تارة كالاسطوانة المُلقاة واخرى كمنارة الراهب ، المتسمي بالانسان وما هو بهِ لا حياة له لا روح لا سعادة ، لا شرف لا فضيلة لا زياده ، لا عِلم لا افادة لا استفاده ، لا دين لا آخرة لا دنيا ، لا اخلاق لا رقيّ لا عليا

الاّ بهذا الكتاب الكريم، والقرآن الحكيم ، بالاستضاءة بنوره ، بالاعتراف من بحوره ، بالاخذ بنواميسه ، بالاستشراق بشموسه ، بالتخلق باخلاقه ، بالتأدب بآدابه ، بالرجوع الى تعاليمه ، بالوقوف على اقانيمه ، كيف لا يكون روحًا وانىّ ،ولم لا يستتبّ له شرف الحياة ويتسنىّ ، وقد وضعه بل رفعه ﴿ رفيعُ الدرجاتِ ذو العرشِ يلقي الروح على مَن يشاءُ من عِباده لِينذرَ يوم التلاق يومَ هم بارزُونَ لا يَخفى على الله منهم شيءٌ لِمن الملك اليومَ لِله الواحدُ القهّار ﴾ والأصرحُ فيما ذكرناه من انّ هذا الكتاب هو الرُّوح وبهِ الحياة لهذه الاجسام الحيَّة الموات قوله تعالى وتعظَّم لنبيّه الاكرم ، ﴿ وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكِتابُ ولا الايمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به مَن نشاءُ من عبادنا وانّك لتهدي الى صراطٍ مستقيم ﴾ الى كثير من امثال هذه النعوت الفرقانيه، والتجليات الربانيه ، ممَّا يقف عليها السعيد بقراءته ، الحظيُّ بتلاوتهِ المتدبر في اسراره ، المستشرق بانواره ، وبذلك القدر قد اكتفينا ، لا اننا قد احطنا واستوفينا ، واحلناك في الغير ، على ما يسعك من السبر والسير فخذ حظَّك منها بقدر حماسك واجتهادك ، وعلى حسب فطانتك واستعدادك فانّ هذا الوحي المبين ﴿ ماءٌ انزله الله من السماء فسالت اودية بقدرها ﴾ فكلٌّ يحمل من معين مائهِ ، بقدر ما يتَّسع لهُ من ظرفهِ وانائهِ ، وهنا اسرار وحقايق ،بل كشف استار ورقايق ،هي بغير هذا العلم اشبه ،فليُعلم وليتنبَّه . هذا سدَّدك الله ما اردنا تنبيهك عليه من نعوت القرآن على نفسهِ ودلالته على ذاته

(القرآن وثناء المرسل بهِ وخلفائهِ عليهِ)

وممَّا عادا وكادان يكون قريبا منهُ لا حقا بهِ متفرعا عليهِ كلامُ الصادع به المنزل على لسانه وقلبه وهو كثير . فمنه قوله صلوات الله عليه وعلى امناء الوحي من آلهِ وخلفائه

كما رواه ثقة الاسلام شيخنا المحدّث الكليني رضوان الله عليهِ في كتابهِ المتقدم الذكر الشهير بالكافي عن الاربعة عن الصادق ابي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلوات الله عليهم انكم في دار هدنه ' وانتم على ظهر سفر ' والسير بكم سريع ' وقد رأيتم الليل والنهار يبليان كل جديد ' ويقرّبان كلّ بعيد ' ويأتيان بكل موعود ' فاعدّوا الجهاز لبعد المجاز ' قال فقام المقداد فقال يا رسول الله وما دار الهدنه ' فقال دار بلاغ وانقطاع فاذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفّع ' وماحل (١) مصدّق ' من جعلهُ امامهُ قاده الى الجنه ' ومن جعله خلفه ساقهُ الى النار وهو الدليل على خير سبيل ' وهو كتاب فيه تفصيل ' وبيان وتحصيل ' وهو الفصل ليس بالهزل ' ولهُ ظهر وبطن ' فظاهره حُكم ' وباطنهُ علم ظاهره انيق ' وباطنهُ عميق ' لهُ تخوم وعلى تخومه تخوم لا تحصى عجايبه ولا تبلى غرايبه ' فيهِ مصابيح الهدى ' ومنار الحكمه ' ودليل على المعرفه لمن عرف الصفه ' فليجل جالٍ بصره ' وليبلغ الصفة نظره ' ينجُ من عطب ' ويخلص من نشب ' فانّ التفكر حياة قلب البصير ' كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور ' فعليكم بحسن التخلص ' وقلة التربص '

وقد ورد في صحيح الاثر ان الله تعالى قال لمحمد صلوات الله عليه وآله – انيّ منزلٌ عليك توراةً حديثه تفتح بها اعينا عميا ' وآذانا صمّاً ' وقلوبا غُلفا ' فيها ينابيع العلم ' وفهم الحكمه ' وربيع القلوب ' وقال رسول الله صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم : انّ الله انزل القرآن آمرًا وزاجرا

(١) في النهايه • القرآن شافع مشفع وماحل مصدّق اي خصم مجادل مصدّق وقيل ساع مصدق من قولهم محل بفلان اذا سعى به الى السلطان يعني من اتبعه وعمل بما فيه فانه شافع له مقبول الشفاعة ومصدق عليه فيما يرفع من مساويه اذا ترك العمل به انتهى

وسنَّة خاليه ، ومثلا مضروبا ، فيهِ نبأوُكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ مابعدكم ، وحُكم ما بينكم لايخلقهُ طول الرد ، ولا تنقضي عجايبهُ هو الحق ليس بالهزل ، مَن قال بهِ صدق ، ومن حكم بهِ عدل ، ومن خاصم بهِ فلج ، ومن قسم بهِ اقسط ، ومن عمل بهِ اُجر ، ومن تمسك بهِ هُدي الى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره اضلَّهُ الله ، ومن حكم بغيره قصمهُ الله ، هو الذكر الحكيم ، والنور المبين ، والصراط المستقيم وحبل الله المتين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك بهِ ، ونجاة لمن اتّبعه لايعوّج فيقوَّم ، ولايزيغ فيستعتب ، ولا تنقضي عجايبه ولايخلق على كثرة الرّد ويضاهيه ما رواه في اعجاز القرآن بعديد اسانيد عن الحارث الاعور عن عليّ (ع) قال قيل يارسول الله ان امتك ستفتن بعدك فسأل او سُئل ما المخرج من ذلك فقال بكتاب الله العزيز الذي لايأتيهِ الباطل من بين يديهِ ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، من ابتغى العلم في غيره اضلَّهُ الله ومن ولي هذا من جبَّار فحكم بغيره قصمهُ الله وهو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم ، فيهِ خبر من قبلكم ، وتبيان من بعدكم ، وهو فصلٌ ليس بالهزل ، وهو الذي سمعتهُ الجن فقالوا انّا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدي الى الرشد فآمنَّا بهِ ، لا يخلق على طول الرّد ولاتنقضي عبرُه ولاتفنى عجايبهُ

امَّا الخلفاء والتابعون وكبراء المسلمين وعيون الرجال ومدارُه الفصاحة والبلاغه ، قديما وحديثا ، فلا اسطيع في مقامي هذا جمعَ الكثير من كلماتهم في نعت القرآن فضلا عن الاكثر اوالكل منها . ومن اراد استقصاء ذلك وتدوينهِ امكنهُ بسهوله ، ان يجمع منهُ كتابا ضخما ، وموءلّفًا فخمًا وانَّما اُورد في هذا السفر مايحضر في خزانة خاطري ومذكِّرة ذاكرتي وماقرُب مني وسهُل اخذه عليَّ من شذورٍ علقت بالذهن عند المرور بها والعبور عليها عفوا ،

ولم استوسعها طلبا ، ولا اوقفت عليهـا وقتا ، ولا جعلت لها من العناية قسطا ، لأنّ موضوع كتابنا بالاصالة ليس ذلك وان كان لصيقًا به عريقًا فيه بيد انّا نخشى من التوسع ان يفوت جوهر الغرض ، ولكنّا نذكر شيئا من تلك الشذور شبه النموذج والعنوان ، قال الخليفة ابو بكر (رض) من خطبة لهُ : اعلموا عباد الله انّ الله قد ارتهن بحقهِ انفسكم ، واخذ على ذلك مواثيقكم ، وعوّضكم بالقليل الفاني ، الكثير الباقي ، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجايبهُ ، ولا يطفأ نوره ، فثقوا بقوله ، وانتصحوا كتابه واستبصروا فيهِ ليوم الظلمه ، فانهُ خلقكم لعبادته ، ووكّل بكم الكرام الكاتبين ، ايّها الناس تعلّموا القرآن واعملوا بهِ تكونوا من اهلهِ ، اِنّهُ لم يبلغ من حق مخلوق ان يطاع في معصية الخالق ، والقضم دون الخضم

﴿ القرآن وثناء الائمة المعصومين عليه ﴾

حقًّا . انّما يعرفُ القرآن من خُوطب به ، ومن نزل على فؤاده وقلبه . الذي علّمه منشيه علوم عجايبه . والهمه تفاسير غرايبه ، الذي جعله خازناً له واميناً ، وشرّفه عليه حيث جعله كتابًا ناطقًا مبينا ، او من اودعهم ذلك الخازن الامين ماعندَه ، وجعلهم الاوصياء والخلفاء بعده ، هم خاصة اهل بيته الذين نزل القرآن في منازلهم واعربَ عن شطرٍ من احوالهم وفضايلهم وهم اعرفُ بعمومه وخصوصه ، وظواهره ونصوصه ، ومنسوخه وناسخه ، وعاليه وشامخه ، ومُحكمه ومأوّله . ومتشابهه ومجمله ، وجميع تفاصيله وشؤون نزوله ، وانوار بركاته . وخواصه وخيراته ، ورموزه واشاراته وحدّ اعجازه ومقدار ايجازه ، وحلّ الغازه ، وشرف قدره وعظيم مقداره كيف لا وهم والكتاب

كلٌّ كتاب الله لكن صامتٌ هذا وهـذا ناطق ومبـين

فهما الثقلان اكبر واصغر ، والكتابان صامت يحتاج الى التفسير وناطق مُفسَّر ، والقرينان اللذان لا يفترقان حتى يردا على النبي الحوض ، وهم سفينة النجاة وهو بحر المعارف الذي لا يسوغ بدونها لا حدٍ فيهِ الخوض.
فلا نجاة مفيده ، الاّ بالتمسك بهما والاخذ عنهما ، ولا حياة سعيده ، الاّ بالرجوع اِليهما والجمع بينهما ، فهم لأسرار حكمته خزنه ، ولمشاعر كعبتهِ مفاتيح وسدنه ، وهم باب مدينة علمه ، وحُجَّاب سرادق عزايمهِ وعزمه ، وحيث انَّ كلاًّ منهما للآخر صاحبٌ وقرين ، وما كلٌّ الاّ كتابٌ مبين ، فاذا اردتَ ان تعرفَ شان كلّ واحد منهما فاعرفهُ من اخيه ، وتحمّ في جزارة عرفانك ، واعرف من اين تُؤتى الكتف وخذ الماء من مجاريه ، دونك هذا نهج البلاغه ، وما اسبغهُ في ذلك واساغه ، فتصفَّح صحايفه ، وتعرَّف معارفه ، واقصد مقاصده ، وقِف مواقفه ، وانظر ما ابان من علوّ الشأن لهذا القرآن ، وكيف ابهر فيما اظهر ، واغرب فيما اعرب ، من عظيم المنزلة لهُ والمكان ، وقد تكثَّر ذلك فيهِ وتوفَّر ، بحيث تعذّر احصاوءه هنا او تعسَّر ، ولكني حرصًا على استنارة جبهات هذه الاوراق ، وبِداراً الى اِبدار الحقّ في بروجها بعد المحاق ، لا صبرَ لي عن ذكر شيءٍ من لئالىء لُجّه ، ودرر نهجه ، وان كنت احتار فيما اختار ، ولا اجد في كلامهِ (ع) الاّ ما هو في منتهى الحسن والاختيار ، فهاكَ واحدةً من آحاد ، تنبيكَ فرايدُها عن بقيَّة الأفراد ، وهي قولهُ (ع) بعد ذكر النبي (ص) والاسلام وما لهما من عظيم الزلفى والمنزله ، ثم انزل عليهِ الكتابَ نوراً لا تُطفى مصابيحه ، وسراجًا لا يخبو توقّده ، وبحراً لا يُدرك قعره ، ومنهاجا لا يضلّ نهجه ، وشعاعا لا يظلم ضوؤه ، وفرقانا لا يُخمد برهانه ، وتبيانا لا تُهدم اركانه ، وشفاءً لا تخشى اسقامه ، وعزاًّ لا تُهزم انصاره ،

وحقاً لاتخذل اعوانه ؛ فهو معدن الايمان وبحبوحته ؛ وينابيع العلم وبحوره ورياض العدل وغدرانه ؛ واثافيّ الاسلام وبنيانه ؛ واودية الحق وغيطانه ؛ وبحرٌ لا ينزفهُ المنتزفون ؛ وعين لا ينضبها الماتحون ؛ ومناهلُ لا يغيضها الواردون ؛ ومنازل لا يضلّ نهجها المسافرون ؛ واعلام لا يعمى عنها السايرون ؛ وآكامٌ لا يجوز عنها القاصدون . جعلهُ الله ريّاً لعطش العلماء ؛ وربيعاً لقلوب الفقهاء ؛ ومحاجّ لطرُق الصلحاء ؛ ودواءً ليس بعده داء ؛ ونوراً ليس معهُ ظلمه ؛ وحبلاً وثيقاعروته ؛ ومعقلاً منيعاً ذروته ؛ وعزاً لمن تولاّه ؛ وسلماً لِمن دخله ؛ وهدى لمن ائتمّ به ؛ وعذراً لمن انتحله ؛ وبرهاناً لمن تكلّم به ؛ وفالجا لمن حاجّ به ؛ وحاملا لمن حمله ؛ وآيةً لمن توسّم . وجُنةً لمن استلأم . وعلماً لمن وعى . وحديثا لمن روى . وحكماً لمن قضى . واعلموا انّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يَغشّ . والهادي الذي لا يضلّ والمحدّث الذي لا يُكذب . وما جالسَ هذا القرآن احدٌ الاّ قامَ عنه بزيادةٍ او نقصان . زيادة في هدى . او نقصان من عمى واعلموا انّه ليس على احد بعد القرآن من فاقه . ولا لِأحدقبل القرآن من غنًى . فاستشفوه من ادوائكم . واستعينوا بهِ على لأوائكم فانّ فيهِ شفاءً من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق . والغيّ والضلال فاسألوا الله به . وتوجّهوا اليهِ بحبّه . ولا تسألوا بهِ خلقه انّه ما توجّه العباد الى الله بمثله . انّه شافعٌ ومشفَّع وقايل ومصدّق . الى امثال هذه من كلماته النورانيه . التي نحن مع شدّة الحاجة اليهافي غنىً عن نقل جميعها لِاشتهارها وشيوعها . ولكل واحدمن سلالتهِ المعصومين وعترته الطاهرين مثل ما له صلوات الله عليه وعليهم في ساير مقاماتهم من خطبهم واحاديثهم وادعيتهم ومناجاتهم هذا سليله وسميّه . ووليّ الله وصفيّه . رابع ائمتنا

الاثني عشر (زين العابدين وسيد الساجدين) «عليّ بن الحسين» بن عليّ بن ابي طالب «ع» وما ادري هل لاحظتك السعادة بالفوز بصحيفتهِ السجاديه المعروفة عند اهل البيت بزبور آل محمد (ص) التي هي ثانية ذلك النهج بل الوحيدة النسج. التي يوشك ان لا تجد نظيرها في كلام المخلوق بعلوّ مضامينها. وشرف اساليبها وافانينها. ولا يكاد يقاربها او يساويهـا. الاّ ما كان من شجرة معاليها ومعدن لئاليها. وما قد تولّد من بيت اُمها وابيها. وقد فاتت حدّ العجب والاعجاب. بما اشتملت عليهِ من اعالي البلاغة في بيان كنه العبودية واسرار ربوبية ربّ الارباب. وبالجملة فلسان النظر فيها والرجوع اليها. ادلُّ على رفيع مقامها من لسان مدحي وثنائي عليها. وقد نشرتهـا ايدي المطابع نشراً ذريعا. وشرحتها العلماء بانحـاء من الشروح بيدَ انهم لم يؤدوا حقَّها جميعا. راجع الثـاني والاربعين وهو من بعض ما دَعا بهِ (على ذكره السلام) عند ختمه للقرآن وانظر كيف نعت به كتاب الله الكريم بتلك النعوت العاليه. واين انزلهُ في الشرف والشأن. والى اين بلغ به من المقامات الساميه. فمن شريف عقوده. وطريف بنوده. قوله (ع) اللهمَّ صل على محمد وآل محمد واجعل القرآن لنا في ظُلم الليالي مؤنسا ومن نزغات الشيطان وخطرات الوساوس حارسا. ولِأقدامنا عن نقلها الى المعاصي حابسا. ولألسنتنا عن الخوض في الباطل من غير ما آفةٍ مخرسا. ولجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجرا. ولمـا طوتِ الغفلة عنّا من تصفُّح الاِعتبار ناشرا، حتى توصل الى قلوبنا فهم عجايبه، وزواجر امثاله. التي ضَعُفتِ الجبال الرواسي على صلابتها عن احتماله. — الى امثال ذلك ممَّا رَشح من ينابيع الحكمه. وشعَّ من انوار الرحمه. الذين هم حملته. وعنـدهم تفاصيله وجملته، كما قال هو (ع) في صدر دعائه هذا وغيره وِفقاً لمـا

تكرّر في كلمات جدّه امير المؤمنين كما يشهدلك به نهج البلاغة وغيره من خطبه قال زين العابدين (ع) اللهمّ انّك انزلته على نبيّك محمد (ص) مجملاً والهمته علم عجايبه مكمّلا ، وورثتنا علمه مفسّرا ، وفضّلتنا على من جهل علمه ، وقوّيتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله ، اللهمّ فكما جعلت قلوبنا له حمله ، وعرّفتنا شرفهُ وفضله ، فصلّ على محمد الخطيب به وعلى آله الخزّان له ، واجعلنا ممن يعترف بانه من عندك حتى لايعارضنا الشكّ في تصديقه ولا يختلجنا الزيغ عن قصد طريقه . انتهى ما اردنا نقلهُ من ذلك الدعاء الشريف وانت اصلحك الله وان كنت لاتعترف على اليقين بامامتهم ، ولا ترى من الدين وجوب عصمتهم الاّ انيّ ما اظنّك بعد الاسلام الاّ مستسلما لامرهم . مذعنا بعظيم شرفهم وخطير قدرهم ، عارفاً بانّ ثناءهم على ذواتهم الشريفه ليس الاّ دلالةً للناس على مابه نجاتهم السعيده ، وحياتهم الرغيده ، ومقاصدهم السديده كما قال حفيده امامنا الصادق في نشر علوم آبائه سلام الله عليه وعليهم انّ بلاءنا بالناس عظيم اِن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا ، وان هديناهم لم يقبلوا منّا ، ولعل عين الفاظه واسلوبه ، ذهب عن حفظي ولكن هو بهذا المضمون نعم لا ارتاب في انّ جهابذة الاسلام يعلمون انّ تلك الشجرة الطيبة النبويّه ما كانوا لِيزكّوا انفسهم باطلا وزورا ، كيف وهم يعترفون انّهم اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرّجس وطهرّهم تطهيرا ، فلم يبق الاّ التعلل بان تقول انّ الشان في اثبات انّ ماحكيناه ونحكيه عنهم . هو على اليقين صادرٌ منهم ، وهذا امرٌ نصيحتي لك فيه ان لاتجعله من فنّك ، ولا تكدّر به صفاء ذهنك ، والاّ عَسُر عليك اثبات شيءٍ من المؤلّفات عن اربابها ، وحُجرَ اشدّ الحجر دونك ان تنسب مافيها الى اصحابها بيدَ انك سدّدك الله تعلم انّ كلّ طايفة جمعتها وحدةٌ دينيّه او فنيه ، او صناعةٌ

علمية او عمليه ، الى غير ذلك من الروابط الاتحاديه ، عقلية او ملية او عاديه ، هم اعرف بمقالات زعماء طريقتهم ، ورؤساء نحلتهم او صناعتهم فالنحاة مثلا اخبر باقوال اكابر ذلك الفن واعرف بموء لفاتهم ولحن كلماتهم وهم مصدقون في ان هذا قول سيبويه او كتابه ، وذاك لحن الكسائي اوخطابه ، الا ان يقع النزاع فيهم ويثبت الخلاف بينهم ، اما لو اتفقوا فاتفاقهم حجة على من عداهم ، ولا يضر فيه ولا يساويه انكار من سواهم ، الا ان يكون ضاربا معهم في عرق ، وقرينا لهم في ربق ، بحيث يُعد من تلك العده ، وتجمعه واياهم تلك الوحده ، وان كان جامعا معها سواها ، وداخلا فيما عداها وهذا اصل مطرد ساري ، وقول في المقامات كلها جاري ، ونرجع الى استيفاء ما كنا فيه ونعيد النظر فيما نقلناه من تلك الكلمات والفقر التي هي من بعض ما ورد عن النبي واهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم = والجميع وان كان الغاية من البلاغه ، واصابة شاكلة الفصاحه . ولكنها لا تنتظم في صف فصاحة القرآن وبلاغته . ومعجز نظمه وبديع اسلوبه . وان حامت حول تلك الانوار . واقتبست من تلك الاشعه . نعم هي ادل آية على اعجاز تلك الآيات . فان ذلك الكلام واشباهه من جوامع الكلم النبويه الذي هو من النمط الأعلى . والطراز الاول في البلاغة والبراعه . اذا قرنته اوضممته الى كلام الله تعالى شانه اظلم ذاك الشعاع في نوره ، واندك ذاك اليفاع في طوره ، ولمع كلام الله بينها لمعان الذهب بين شذوره

يحسن هنا نقل كلام لسيدنا الشريف الرضي الموسوي ساق الله نجب الرضوان اليه . بل سلام الله على آبائه وعليه . قال في تفسيره المسمى بحقايق التأويل . ودقايق التنزيل . لدى تحقيق ان القرآن غير مشتمل

على الحروف الزائده . وان جميع ما يُتوهم من ذلك فلا يخلو المعنى به من فائده . غير ما يقولون من التقوِّي والتاكيد وامثالها ممَّا لا يرجع الى كثير طايل . ومعنىً فاضل . قال رضوان الله عليه من كلامٍ اقتطعنا منه ما به الغرض والشاهد لما كنَّا فيه : فامَّا اذا كان الكلام محلول العقال . مخلوع العذار . ممكنًا من الجري في مضماره . غير محجور بينه وبين غاياته . فان شاء صاحبه ارسل عنانه فخرج جامحا . وان شاء قذع لجامه فوقف جانحا لا يحصره امد دون امد . ولا يقف به حدّ دون حد . فلا تكون الزيادات الواقعة فيه الا عياً واستراحه . وتغوُّثًا وإلاحه . وهذه منزلة يترفّع عنها كلام الله سبحانه الذي هو المتعذّر المُعوز . والممتنع المعجز . وكلُّ كلام انمَّاهو مصلٍّ خلف سبقه وقاصر عن ادنى بلوغ غاياته . بل قد يرتفع عن بلوغ هذه المنزله كلام الفصحاء المقدَّمين والبلغاء المحذقين . فضلاً عما هو اعلى طبقات الكلام . وابعد عن مقدورات الانام . واني لأقول ابدا انّه لو كان كلامٌ يلحق بغباره . او يجري في مضماره . بعد كلام رسول الله (ص) لكان ذلك كلام امير المؤمنين (ع) اذ كان منفردا بطريقة الفصاحه لا تزاحمه عليها المناكب . ولا يلحق بعقوه فيها الكادح الجاهد . ومن اراد ان يعلم برهان ما اشرنا اليه من ذلك فلينعم النظر في كتابنا الذي ألّفناه وسمناه بنهج البلاغه وجعلناه يشتمل على مختار جميع الواقع الينا من كلام امير المؤمنين (ع) في جميع الانحاء والاغراض والاجناس والانواع من خطب وكتب ومواعظ وحكم وبوّبناه ابوابا ثلاثه تشتمل على هذه الاقسام مميّزة مفصَّله وقد عظم الانتفاع به وكثر الطالبون له لعظيم قدر ما ضمَنه من عجايب الفصاحه وبدايعها . وشرايف الكلم ونفايسها وجواهر الفقر وفرايدها . وكلامه (ع) مع ما ذكرنا من علو طبقته . وخلو طريقه

وانفراد طريقته . فانه اذا حوّل ليلحق غاية من ادنى غايات القرآن وُجد ناكصا متقاعسا . و مُقهقرا راجعا . وواقفا بليدا . وواقعا بعيدا . على انه الكلام الذي وصفناه بسبق المجارين . والعلوّ على المسامين . فما ظنُّك بدون ذلك من كلام الفصحاء . وبلاغات البلغاء . الذي يكون بالقياس اليه هباء منثورا وسرابا غرورا . وهذا الذي ذكرناه ايضا من معجزات القرآن اذا تأمّله المتأمِّل . وفكرٌ فيه المفكِّر . اذ كان الكلام المتناهي الفصاحه . العالي الذروه . البعيد المرمى والغايه . اذا قيس اليه . وقُرن به شالَ في ميزانه وقصُر عن رهانه . وصار بالاضافة اليه قالصا بعد السبوغ . وقاصرا بعد البلوغ . ليصدق فيه قول اصدق القايلين سبحانه اذ يقول ﴿ وانّه لكتابٌ عزيز لا يأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد ﴾ انتهى ما اردنا نقله من هذا الديباج الخسرواني . والنسج البديع فما النسج اليماني . ولئن كان لغير امناء الوحي من البشر حظٌّ من معرفة عظيم شان القرآن والوقوف على اعجازه ورصفه . ومساغ نعته ووصفه . فهو حقٌ مثل هؤلاء من مَهرَة العربيه وسحرة البيان . واعيان الرجال ورجال الاعيان الفحول المتظلعين . والجهابذة البارعين . من النمرقة العليا والطراز الاول

﴿ ما هي الفصاحة والبلاغة . وما الطريق لمعرفة الاعجاز بهما ﴾

الفصاحةُ والبلاغه بلّغك الله مراقيها انما هي من الصفات المعنويه التي تحسُّ وتدرك . ولا تمسُّ ولا تمسك . وتعرفها الطباع السليمه بغرايزها واذواقها . لا انها مما تشهدها العيون باحداقها . وذاك الذوق وتلك الغريزه امّا منحة في الجبلّه . وموهبة في الذات بحسب الفطره . كما هي في العرب الاوّلين المتفاوتين في ملكاتها وكمالاتها بتفاوت ذواتهم المشرقة المضيئه . بمقتضى ما سبق لهم من العناية والمشيئه . وامّا حصوليه كسبيه ومهنةٌ

تعليميه . يزرعها التعلّم والتعليم . في باحة الطبع المستقيم ، فلا تثمر الاّ بعد الجدّ والتعب ، والكدِ والطاب ، كما في ساير اساطين هذه الصناعه ، من ذوي التقدّم والبراعه . من الشعراء وغيرهم فالناس حرسك الله اذاً صنفان لا ثالث لهما اماً ذو حظّ وتمييز من معرفة العربيه قليل امرها او كثيره جليله اوحقيره . بالطبع والمنحه . وعلى اصل الاستقامة والصحه او بالكسب والتحصيل . او بالتعلم بعد الجهد الطويل . كما في ساير الناس منذ الازمنة المتأخره من ساير طبقات الامم . لا اخصّ العرب والعجم . فانّ الناس من ايّة امةٍ تُفرض واي قوم . منذ زمان متقادم الى اليوم . قد تلاشت عنهم تلك الصفه . وانسلخت عن السنتهم واذواقهم تلك المعرفه ونُسخت من طباعهم تلك الغريزه . وصار الرجل لا ينال من العربية ومعرفة البلاغة حظاً . لا معنى ولا لفظا الاّ بالكسب والطاب . وبعد التعب والنَّصب . عربيّ الجلدة كان او غيرها على اختلافٍ في صعوبة الامر ولينه . وسهولته وحزونه . بين الامم وآحادها وكلّ امة وافرادها . فمن ساعده استعدادُه . ولُطف قريحتِه ، وصفاء جوهره . براقدة كدّه وكدحه . وطلبه وسعيه . دخل في زمرة اهلها على اختلاف طبقاتهم . وتفاوت منازلهم . من مبتدئ تالي . او متوسط اومتعالي والاّ كان من الصنف الثاني وهو الاملس الجلده . العاري البشره . العادم التمييز ، الفاقد المعرفه ، الصفر الوِطاب ، الخالي العياب ، من قليل هذا الامر وكثيره ، وايسره وخطيره . فالقسمةُ الحاصره هنا بين النفي والاثبات انّ الناس في معرفة البلاغه ، امّا عارف مجتهد ، او جاهل مقلّد ، ذاك من لم يجعل الله له هذه الحاسه ، ولا اكتسب تلك القوّه ، ولا مارس هذه الصنعه ، ولا ذاق طعم تلك الجرعه ، فهو عند الغاية اجارك الله وعافاك كالاكمه والاصمّ الذي ليس له حاسة ادراك الصور المعجبه ، وسماع النغمات

المطربه ، وحيث استبان لديك انّ الناس في معرفـة هذا الامر لا تعدو هذين الصنفين فنحن بفضل الله تعالى نُسجّل الحجّةَ على كلٍ منهما ، ونُبين له سبيل الوصول الى هـذه الغاية ، وندلّه على اسباب حصول اليقـين والدرايه ، حتى ننتهي به الى منتهى الطمأنينة والثبات ، ومنقطع الشكوك والشبهـات ، ان كان ممن نزع روح العصبية من جثمانه ، ووضع في يد الأنصاف وطلب الفضيلة فضل عنانه ، امّا من تقمّص بالتعصُّب وتردّى ولو هوى وتردّى ، وجدّ في ان لايفارق ماوجد عليه قومه اباً وجدّا ، فذاك ليس هو المعنيُّ بكتابنا ، ولا المقصود بخطابنا ، ونحن لسنا معه في هذه المعركه ، وامرُنا واياّه على المُهادنة اليوم والمتاركة ، حتى يبعث لنا او له سايق التوفيق . ويجمعنا على الحق في سواء الطريق . والاّ فالموعد بيننا وبينهُ يوم آخر تجتمع فيه الخلايق . وتتمحَّص به الحقايق . وليرَ منا الساعة ما اراد من حسنة او فحشاء . فهو اليوم وماشاء . ولنتراجع الى الغرض قبل فوته فنقول لمن هو من الصنف الاوّل الذي عرف للبلاغة معنى ووقف على ذلك المعنى وحصلت له تلك الحاسّه . وقامت فيه تلك القوّة . ونال حظّاً منها ولو يسيراً او اصاب من انصبائها قليلاً او كثيراً . وصار يحسُّ بها اذا وجدها احساساً وجدانياً . ويعلم بها في مظانها ومواضعها علماً يقينياً . ياهذا اللهَ ثم اللهَ عليك فانّك بين يديه وهذا القرآن بين يديك . اِجمع جمعك . واسع وُسعك واجهد جهدك . واحشد حشدك . واعقد عندك محتفلاً وجنه . واجمع فيه من تراه من المهَرة في البلاغة وذوي المهنه . فانّهم بين عينيـك . وما كان ليخفى مقامهم عليك . فانّ الصناعة الواحده داعية التعارف . وواسطة التواصل والتكاتُف . ثم اجمع امرك . وخذ معهم حذرك . واستقبلوا من القرآن ايّة خطةٍ شئتم . وايّ مقامٍ اردتم . مقام الدعوة الى التوحيد . مقام الوعد

والوعيد . مقام التشويق الى الجنان . مقام التحذير من النيران . مقام القصص والانباء . . مقام دعوة الانبياء . مقام تهذيب النفس الانسانيه مقام نشوها ونموّها من الجماديه الى الحيوانيه . الى غير ذلك من الموجودات السمائية والارضيه . مما يتعلق بالعلوم الطبيعيه او الرياضيه . كالسحاب والمطر والرعد والبرق والبرد والصواعق والزلازل وغيرها من كاينات الجوّ . اعطيك نموذجًا في القول . وعنوانًا من البيان . تقيس عليه ما شئت من غيره . خذ من اوايل سورة القصص الى عشرين او ثلاثين آيه مثلا وانظر فيما اقتصّ جلّ شأنه من نبأ موسى وتفاصيل احواله وما جرى له من حين ارتضاعه وايام صباه . الى الوقت الذي كلّمهُ الله فيه واجتباه مفتتحًا بقوله جلّ من قايل ﴿ نتلو عليك من نبإِ موسى وفرعون بالحق لقومٍ يومنون ان فرعونَ علا في الارض وجعل اهلها شيعًا يستضعف طايفةً منهم يُذبّح ابناءهم ويستحيي نساءهم انهُ كان من المفسدين ﴾ الى قوله تعالى بعد ما اقتصّ من زواج كليمه ببنت شعيب بثماني حجج قال سبحانه ﴿ ولمّا قضى موسى الأجلَ وسار باهله آنس من جانب الطورِ نارًا قال لأهله امكثوا اني آنستُ نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلمّا أتاها نُودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ان ياموسى انيّ انا اللهُ ربُّ العالمين وان الق عصاك فلمّا رآها تهتزّ كأنها جانٌّ ولّى مدبرا ولم يعقِّب ياموسى أقبلْ ولا تخفْ انك من الآمنين ﴾ ثم اقتصّ جلّ شانه خبر ارساله الى فرعون وتفرعنه بقوله ﴿ يا ايها الملأُ ما علمتُ لكم من إِله غيري فاوقدْ لي ياهامانُ على الطين فاجعلْ لي صرحا لعلّي أطّلعُ الى إِله موسى واني لاظنّهُ من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون

فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمّ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾
الى منتهى القصه وهو قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد
ما اهلكنا القرون الأولى بَصائرَ للناس وهدىً ورحمة لعلَّهم يذكَّرون ﴾
هذه قصةٌ من قصصه . وخبر من اخباره . ولمعة من انواره . لا اخصُّها لك
بعينها . ولا اعيّنهـا عليك بخصوصها . بل اشرت لك بهـا الى الغرض
وصيَّرتها منهجًا . وذكرتها مثالا ونموذجا . خذ ايًّا شئتَ من نبأ آدم وابليسه
وابراهيم ونمروده ولوط وقومه وصالح وثموده وهود وعاده ويوسف
واخوته وشعيب ومدينه وداود وجالوته وسليمان وبلقيسه وزكريًّا وامّته
ويحيي ورهبانيته وعيسى وروحانيته ومحمد (ص) ونبوته . خذ ممَّا عددناه
وما استوفيناه ولا احصيناه ايّ قصص شئت . وعلى اي بابٍ وقفت
ثم تدبَّره جيدا . ورجِّع النظرة والفكرة مردّدا ثم اجمع اهـل ثقتك
وطمأنينتك ممن تعترف لهم بالفصاحه . وتذعن لهم بشأو البلاغه . وقـل
يا هؤلاء انَّا نريد ان نسبك هذه القصه على غير ما جاء بها هذا الكتاب
من سبكها . ونبدّل هذه الدرر بامثالها وننظمها في غير ما وجدناه هناك من
سلكها . فاعينوني بقوّه . واسعدوني بسطوه . ثم اضمم اليهم حواسك . وثقِّف
معهم جرأتك وحماسك . واحبس عليك افكارك . واقض في الخـوض
معهم ليلك ونهارك . بل ايَّامك بل اعوامك . بل عمرك بل دهرك ثم خذ
لك مني وعدَ صدقٍ وعلى الله انجازه . ان ستعرف هنـاك حقيقة العجز
ويستبين لك ما بلاغة القرآن وما اعجازه . هناك لا تجد الافكار الاّ راجعةً
متقهقره . والالبـاب الاّ واقفةً متحيّره . هناك يهزّك الفزع . ويأخذك
الهلع هناك تنصدع صَفاتك . وتخفّ حصاتك . وتطيش اناتك . هنـاك
ينقطع احتجاجك . هناك يخضع لجاجك . هناك يعتدل اعوجاجك . هناك

يبدو لك عذر من كان قبلك في ترك المعارضه ممن هو اشدّ منك في البلاغة باساً ، واقوى منك معاناةً لها ومراسا . ممن بعد فيها فوته ، وارتفع بهاصيته وصوته . هناك تحسّ وجدانا . وتجدُ عيانا . وتعود مضطلعا خبيرا ، بصحة قوله تعالى ﴿ قل لو اجتمعت الجنّ والأنسُ على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ ثم لو غلبت عليك القحّه . وسلبت العصبية من طبعك الاعتدال والصحّه ، فجمَّعتَ وفرّقت ، وزوّقتَ ونمّقت ، وجئت بما زيّنهُ لك الجهل واللجاج ، فحسبتَ انه بذلك السبيل وعلى ذلك المنهاج ، وظني وانا به ضمين ، وما هو الظن بل اليقين ، انّ الامر لا يبلغ الى هذه المنزله ، والحال لا يكاد يشتبهُ عليك بحيث يصل الى تلك المجهله ، ان كنت ممن لهُ في العربية ادنى مِساس ، وقيست لك معرفة البلاغة ولو باقصر مقياس ، ولكن على الفرض والتقدير ، وتنزّل المحال الى عالم التصوير ، لو تحمّلت وتمحّلت ، وحسبت وتخيلت ، وسوّلت لك نفسك ، وخانك حسّك وحدسك ، فالحكم بعد عدل الانصاف وشاهد الوجدان ان كان ، من يقع التسالم بيننا وبينك على انهم من مَهرة العربية واهل اللسان ، من ايّ ملة كانوا ، وفي اي صقع وُجدوا ، وزبدة المخض ، والحقّ المحض ، انّ اقامة الحجة والبيان في اثبات اعجاز القرآن على خصوص هذا الصنف انمّا هي بالمراجعة والامتحان ، وعند الامتحان يُكرم الرجل او يهان ، لا وايمُ الله وعظمة جلاله ، انّ طلبتنا هذه منهم معاياة لهم ، وجور عليهم ، وما ذاك من المجامله ، ولا هو من السيرة الفاضله ، فنحن الساعة معهم نتساهل ، ونجاملهم ونتنازل ، ولا نحملهم على الشقّه ، ولا نكلّفهم المشقّه ، ولا نطالب بمعارضة قصةٍ او سوره ، بل ولا بمقابلة آية من آياته الشهيره ، ونرضى منهم بمثل كلمة مفردة من كلماته ،

وجملة واحدة من جمله، مثل قوله تعالى شانه ﴿ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيًّا ﴾ وقوله عز من قايل ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ وقوله عظم سلطانه (فلما رأينهُ اكبرنهُ) وقوله بهر برهانه ﴿ وهم يحسبون انهم يُحسنون صنعا ﴾ وقوله صدع تبيانه ﴿ يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ﴾ وقوله تقدّست آياته ﴿ كلّ حزب بما لديهم فرحون ﴾ وقوله تعالت كلماته ﴿ ربّ انّي وَهن العظم منيّ واشتعل الرأس شيبا ﴾ وقولهُ جلتْ عظمته ﴿ ازفت الآزفه ليس لها من دون الله كاشفه ﴾ وقوله عز فرقانه ﴿ إن يتبعون الاّ الظنّ وان الظن لا يغني من الحقّ شيئا ﴾ وقوله جلّ قرآنه ﴿ وعُرِضوا على ربّك صفًّا لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اوّل مرّة ﴾ وقولهُ ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا ﴾ وقوله عزّ سلطانه ﴿ ما اغنى عنيّ ماليه هالك عني سلطانيه ﴾ وقوله احاط بكل شيء علمه ﴿ ام يحسبون انّا لا نسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ اعاذك الله من البلاء تدبّر موضع هذا الاضراب وبليغ موقعه وانظر ما اشرفه واعلاه، وما اشعّ نوره وسناه، وما ذا حوى من جليل المعنى، وما ذا طوى من لطيف الأشارة والمعزى، واعظم منه واسنى، ويساويه او يرجح في الشرف وزنا، قوله تعالى في دعاء الملائكه ﴿ ربّنا وسعتَ كلّ شيء رحمةً وعلما ﴾ انظر حسن مناسبة سعة الرحمه لما بعدها وهي قوله ﴿ فاغفر للذين تابوا واتّبعوا سبيلك وقهم عذابَ الجحيم ﴾ وقوله عزت عظمة قوله ﴿ ولا يحيق المكر السيّء الاّ باهله ﴾ وقوله تعالى في طوله ﴿ انمّا امرُنا لشيء إذا اردناه ان نقول له كن فيكون ﴾ هاك فخذ ما اتلوه عليك ﴿ واحسن كما احسن الله اليك ﴾ ﴿ واقض ما انت قاض ﴾ ﴿ ولا تمش في الارض مرحًا انّك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ﴾

(كأن لم تغنَ بالأمس) (فاصبحوا لا يُرى الاّ مساكنهم) (نحن أُولو قوة وأُولو بأس شديد والامر اليك) (فكان كل فِرق كالطود العظيم) (ماهذا بشرٌ اِن هذ الاّ ملك كريم) (فذلك الذي لمتنّني فيه) (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلبٍ ينقلبون) (فقُطع دابر القوم الذين ظلموا والحمدلله رب العالمين) الى كثير من امثالها ، وغزيرٍ من المنسوج على منوالها ، وما قصدتُ الحصر والأحصاء ، ولا تعمّدتُ السبرَ والاستقصاء ، ولا فتحتُ القرآنَ فانتقدتُ ماأردت ، ولا ردّدتُ النظر فيما اوردت ، بل اوردت بعض ما كان على حفظي ، وسردتُ ماجرى به قلمي على قدر نصيبي من المعرفة وحظِّي ، من دون اعداد واستعداد ، ولا اختيار وانتقاد ، ولا سبقَ فكرة وروِيّه ، ولا عظيم دُربة ودريّه ، هذا ماحضرني من الفرايد من كل فريدة هي جامعة المحامد ، لابل واسطة القلايد ، لابل زينة الخرايد ممّا بلغتْ من البلاغة الغايه ، على أنها ما بلغتْ قدر آيه ، كل واحدة لو رآها الانسانُ في رسالة كانت عينها ، او في خطبة كانت وجهها ، او قصيدة كانت قلادة جيدها ، لابل بيت قصيدها ، لابل شمس سعودها ، اذا وقعت في كلامٍ وشّحته ، واذا ضُمِّنت في نظام زيّنته ، واذا اعترضت في خطاب امتازت عنه ، وانحازت بجمالها منه ، وهناك جملٌ وفرايد ، اِن افردتها بهرت ، وان ضممتها في عقدها اعجزت وقهرت ، فهي على شدّة اِلفها باخواتها ، وارتباطها بلِداتها ، تامة بنفسها قائمة بذاتها ، هاكَ قوله تعالى في تهويل يوم القيامة وتشديدا لامر فيه حيث يقول جلّ من قائل ، (ياأيُّها الناس اتقوا ربّكم اِنّ زلزلةَ الساعةِ شيءٌ عظيم . يومَ ترونَها تذهل كل مرضعة عمّا ارضعت وتضع كلُّ ذات حملٍ حملها . وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد) . اشتملت هذه الكريمة على

ثلاثة عقود او اربعة كل واحد منها اعز من الكبريت الأحمر . واسطع من اشراق الشمس على معادن الجوهر ، وكل واحدة من الجمل لو انفردت قامت بنفسها ودلّت على عظيم هول الامر بذاتها ، واذا نُظمت مع امثالها وضُمَّت الى اشكالها ، صوَّرت ذلك اليوم على حقيقته وجاءت به على واقعه وشاكلته ، وانت اصلحك الله تعلم ان البيان والقول انمّا هو ضرب من التصوير ، يصوّر في الخارج مايقع في الضمير ، حكمةً من لدن حكيم خبير ، وقد ذكروا ان الحاذق الماهر في صناعة الرسم والتصوير ، هو الذي يصوّر الضاحك والباكي والحزين والشاكي ، يصوّر الضاحك المتباكي على حاله ، والباكي المتضاحك على هيئتهِ والباكي الحزين على مقدار حزنه ، والفرح الجذلان على قدر جذلهِ وسروره وهكذا بحيث لا يفوتك في الصورة شيء من المصوَّر ، حتى كأنك تشاهده بعينه وبحقيقته لا اقلّ ولا اكثر ، وتصوير الكلام للمعاني ينبغي ان يكون على هذا القياس ، وفي هذه الجهة تتفاوت طبقات الكلام ودرجاته تفاوتا ادقّ من الشعر ، واخفى من السحر ، وتتعالى مقاماته الى منتهى الدرجات واسمى المقامات ، كما في تلك الآيه فانك اذا صرفت اليها التأمل وحبست عليها الفكر ، هوّلتْ عليك الامر ، وصوّرت لك الحال ، بحيث كانك تشاهده عيانا فترى هذا يسحب بالسلاسل ، وذاك يضرب بالمقامع والمعاول ، وذاك يصبّ على رأسه الحميم ، وذاك يُقاد الى الجحيم ، والصحف تتناشر ، والكتب تتطاير ، والموازين منصوبه ، والعذاب نازل ، والحال هايل ، والضجّة عظيمه والناس في شغل شاغل ، كلٌّ ينتظر ما يجري عليه ، ويرتقب ايّ حين يصل البلآء اليه ، الى امثال ذلك من طلايع الفزع ، وهول المطّلع ، فان مثل هذه الاحوال والاهوال هي التي تذهل المرضعة عن رضيعها ، وتقضي لذات الحمل ان تضع حملها ، وتعيد

الناس من الدهشة حيارى ، ومن الذهول سكارى وما هم بسكارى
ومن العجب انّ لمولانا امير المؤمنين على صلوات الله عليه مقامات
حافله ، ومقالات طايله . وكلمات وخطب ، تفوت حدّ العجب في
النهج وغيره وقد اتى فيها سلام الله عليه على جميع اهوال يوم القيامه
وصوّر فيها عامة احوال تلك الطامه ، من زفيرها وسعيرها ، واغلالها
وسلاسلها ، ولهب نيرانها ، ومقامع خزّانها ، وساير ما يذهل العقول ،
ويصوّر فزع ذلك اليوم المهول ، من كل غريبة الشكل ، مذهلة العقل ،
تذر الولدان شيبا ، وتجري لها القلوب دمعا صبيبا ، ولم يأت احد بما اتى
به صلوات الله عليه في هذا المقام كاكثر مقاماته ، ولكن على انّ كلامه فيها
على الحال التي وصفنا والمقام الذي ذكرنا لا يبلغ جميعه شأو هذه الآية وحدها
فانك تجد فيها من التهويل والتفظيع وعظيم الفزع والاخافه ما يحيط بجميع
ما ذكره كل واعظ ، وما اجهد فكره فيه كل متقن حافظ ، مع ما في
كل واحدة من كلماتها من السلاسة والمتانه ، والنفاسة والرصانه ، بحيث
لا ترى فيها لفظة ركيكه ، ولا كلمة مبذوله ، ولا وحشية غريبه ، ولا
متنافرة كريهه ، أترى ان احدًا من الناس بل جميع البشر ، تقدر على هذه
القوة او تقوى على هذا القدر ، تعالى الله عما يقول الظالمون ، وسبحان ربك
رب العزة عمّا يصفون ، وقد عرّفناك مرةً بعد اخرى ان ليس هذا الذي
ذكرناه يختصّ بآية دون آيه او حديث دون حديث او باب دون آخر او
قصّة دون اختها او خطة دون ما سواها فقد انبأتك اني اورد ما يفاجيء
قلمي ، ويبادر على الفور ذهني ، وما يسنح على خاطري وفكري ، هاك قوله
جل شانه (فالق الأصباح وجاعل الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانا ذلك
تقدير العزيز العليم) هذا من المؤتلف اشدّ الائتلاف وهي اربع كلمات

كلٌّ واحدة بنفسها درّه ، وفي جبين البلاغة غُرّه ، ان ضممتها الى اخواتها سطعت ، وان افردتها لذاتها ابرعت . فاذا أُلِّفت زادت حسنا واحسانا ، واذا أُفردت شعّت بنفسها اشراقا ولمعانا ، في اسلوب يُريك انه يصدر عن علوّ الامر ، ونفاذ القهر ، ومتناهي الفخر ، متجل ببهجة القدره ، متحل بخالص العزه ، يجمع السلاسة الى الرصانه ، والسلامة الى المتانه ، والرونق الصافي ، والبهاء الضافي ، لا اريد انه شمل الطباق المليح ، والايجاز الصحيح والتعديل والتمثيل ، والتقريب والتشكيل ، فانهُ وان جمع ذلك واكثر لكن العجب ما ذكرنا من انفراد كل كلمة بنفسها ، وتعاليها في اوج سماء قُدسها ، حتى حسن ان تكون عين رسالة او خطبه . وصدر مناجات او ندبه وعنوان رسالة او كتاب ، وفاتحة مقالة او خطاب ، ، أتحسب انها في القرآن آيات معدوده ، وكلمات محدوده ، خذ الحواميم والطواسيم والمسبّحات ويٰس وما شئت من السور الطوال والقصار وتصفَّحها سورة سوره ، وتدبرها آية آيه ، واستقصها فصلا فصلا ، وتوخاها كلمة كلمه ، هاك ماخطر الساعة على فكري ، وحضر هجوماً على ذكري ، وذاك قوله عزت آياته وعلت كلماته (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الاّ هو اليه المصير) انت الى غايتك هذه ويومك هذا كم حفظت من اسماء الله تعالى ووعيت ، وكم سمعت من تعدادها اورايت ، افهل وجدتَ لاحدٍ من البشر نظمَ مثل هذه الكلمات الغرر ، وهل وقفت لبارع من اوائل البلغاء والثواني . على مايجمع شيئاً مماّ جمعته هذه الآية الشريفه من منيف الالفاظ وشريف المعاني ، وكلما تجد شيئاً من هذه الفقرات النيّرات في ديباجة او خطبه اودعاء او ندبه او مناجات او غير ذلك فاربابُها لايعدون ان يكونوا منها اقتبسوا ،

واليها انسوا ، ولها بعدُ سابقة الاختراع ، وفضيلة الابداع ، وانت من كثير تكرار هذه الفقر ، اعني غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب وتواليها على سمعك في كلام آخذيها من معدنها ، ومنتهزيها من مأمنها ، صرتَ لا تلتفت الى غور معناها ، ورفيع شأوها وبليغ اعجازها ، وهذا هو الشان في اكثر فرايد القرآن وآياته ، وباهر اعجازه ومعجزاته ، ولكن الداخل في هذا الصنف الواجد لهذا الانس . الذائق شيئًا من طعوم البلاغة واساليب العربيه لم يكن ليفوته كلّما تُلي عليهِ او تلاه . بهجته وبهاه وروعه ورواه ، ورونقه وريّقه ، وان غفل عن تفاصيل دقايقهِ ، وتماثيل حقايقه ، وما ادري ما اصف من معجزاتهِ وماذا اقول ، وماذا اعدّ من آياته التى اشرق بها شرق الارض وغربها وتطاولت حتى اخذت في العرض والطول ، أتحسب انّ تلك البلاغه ، والاعجاز والبراعه ، في باب دون باب ، او مقام دون مقام اوجهة دون جهة ، لا وشيَّة منشيه ، لا وملاءة مُمليه ، لا وعزّة من اعزّه وعزّزه ، لا وصولة من صانه من كل وصمةٍ وحرزه ، لا وحراسة من حفظه وحرسه ، لا وقداسة من كرّمه وقدّسه ، لا وعظمة من من شرّفه وعظَّمه ، لا ورفعة من رفعه على كل كتاب وقدّمه ، ما هو من طور كلام البشر ، الذي تختلف احواله في مقام دون مقام او اثر دون اثر ، ولا هو بالذي تقوى على تبديل جملة واحدة من جمله القُوى والقُدر ها انت رعاك الله ترى من شاع من الشعراء ذكره ، وتعرف من عُرف بالبلاغة امره ، من الجاهلية والمخضرمين ، والمولّدين والمتقدمين ، تجد هذا يجيد في المدح دون النسيب ، وذاك يحسن الغزل والتشبيب ، دون العتاب والتأنيب ، كلٌّ لهُ شأو عُرف به ومقام نسب اليه ، وميدان انفرد به ، ورهان سبق اليهِ وحازه ، واخذ في مزايدة البلغاء امتيازه ، فبعضٌ في

المدح والثناء ، وآخر في الهجاء او الرثاء ، وواحد في افانين النسيب ، وغيره في التأبين والتأنيب ، احوالُهم في البلاغة تختلف ، ومقاماتهم بحسب الشؤون لا تأتلف ، فامرء القيس اذا ركب ، والنابغة اذا رهب ، والاعشى اذا طرب ، وزهير اذا رغب ، ولولا خوف الخروج عن الخطة كثيرا ، لسردتُ لك من ذلك مبلغا خطيرا ، ولجسّمت الامر بيانا ، حتى تراه عيانا لكن حديثُ هذا القديم ، والفرقان العظيم ، كلّه على نهج واحد ، متقارب في نفسه ، وعن غيره متباعد ، حديثا متشابها ، وقولا متعاليا ، واسلوبا متساويا بلاغته في القصص والاخبار ، مثلها في الاعذار والانذار ، ومقامه في الاحتجاج على نفي الشريك وتسجيل التوحيد ، مقامه في الترغيب والترهيب والوعد والوعيد ، وحاله في ساير اساليب الكلام ، حاله في بيان الشرايع والاحكام ، وتفاصيل الحلال والحرام ، التي هي مظنة لانحلال الكلام وفوت مزاياه ، وانحطاط رتبته وحاشاه ، انظر اِحكام نظامه في اَحكامه ، وبيان حلاله وحرامه . مثل قوله نفذ امره ، وعلا قهره ، ﴿يسألونك ما ذا أُحلّ لهم قل احلّ لكم الطيّبات وما علّمتم من الجوارح مكلِّبين تعلِّمونهن ممّا علّمكم الله فكلوا ممّا امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتّقوا الله ان الله سريع الحساب﴾ بعد ان فصّل المحرّمات من اللحوم والذبايح بقولِهِ تعالى ﴿حُرّمتْ عليكم الميتةُ والدّم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله بِهِ والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وما اكل السبع﴾ الى قوله ﴿فمن اضطرّ في مخمصةٍ غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم﴾ وقوله عز طوله (والبدن جعلناها لكم من شعاير الله لكم فيها خير فكلوا منها واطعموا القانع والمعترّ) الى قوله (لن ينال الله لحومُها ولا دماؤها ولكن ينالهُ التقوى منكم كذلك سخّرها لكم لتكبّروا الله على ما هداكم وبشّر

المحسنين) الى كثير من امثال ذلك في تحليله وتحريمه ، وتقديسه وتعظيمه وارشاده وتعليمه ، وتقريعه وتأبينه . وحججه وبراهينه ، وقد طال ويطول علينا التعداد ، على اننا ما استوفينا الغرض ولا بلغنا المراد ،

صميمُ البغية ولبُّ القصد ان نوقفك على معرفة تفاضل الكلام وتمييز مزاياه حتى ترى ذلك عيانا ، وتمتلىء بهِ عرفانا ، وجهُ الوقوف على شرف الكلام وعلاه ، واعجازه ونهاه ، ورونقه ورواه ، وميمه وبهاه ، ان تقدم على مثل قوله تعالى (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) ثم تنظر هل تجد فيها حشوا ، او ترى بها حرفا لغوا ، او تحسّ في صوغها تكلّفا يقلق به الكلام ولا يكون مجيء الكلمات به عفوا ، ثم انظر في كل كلمة منها وسر في طلب اخواتها ، وسبر مرادفاتها ، وتوخّ مبلغ جهدك في ان تعثر على كلمة تساوي رديفتها التي اشتملت عليها تلك الآيه ، فضلا عن ان تفضل عليها او تفوقها في جزالة اللفظ والدلالة على الغرض صراحةً او كنايه ، تصفَّحها كلمة كلمه ولفظا لفظا وحرفا حرفا واجعل نظرك عليها وقفا ، وانقدها انقدا واصرفها صرفا ، اترى ماذا تقدِّم على مثل قوله (وقدمنا) ممَّا يساوقها في جوهر المعنى ، ويساويها في اصل الغرض ، وان فاتت بعض المزايا التي يحسُّها الذوق والوجدان ، ويقصر عنها البيان ، أتقدّم مثل اتينا ام نحونا او قصدنا او توجهنا وانظرْ انت فأُحص باقيها ، واحصر ما يساويها على قدر سعة باعك ، وعيار تتبعك في اللغة واضطلاعك ، وانظر أتجد لفظة تقوم مقامها ، وتحلُّ محلَّها ، وتؤدي تمام مزاياها ، على كثرة ما تحسب انه يرادفها ويساوي معناها ، أترى وانت من ذوي الفطانة والنباهه ، يخفى عليك ما يدخل من الركاكة والفهاهه ، لو قلت واتينا الى ما عملوا من عمل فجعلناه (كذا) او يذهب عليك مع حسن مذهبك في العربيه ما في

(قدمنا) من علوّ المأخذ وشدّة الشكيمه ، وفخامة الكلام ، والاشعار بما للمتكلم من العظمة وسموّ المقام ، كذلك فاعتبر رصانته وخلوّه عن الحشو الزايد ، والفضلة التي ليست صلات الفضل بها عوائد ، تجد اقرب مافيها للأسقاط والحذف ، ماوقع في وسط الآية من الظرف . وهو قوله (من عمل) ومع ذلك فلو حذفتهُ (وقلت وقدمنا الى ما عملوا فجعلناه هباء منثورا) كيف تجد الكلام معه قلق الوضين . مبتور الظهر مقطوع الوتين ، لايتلاقى طرفاه . ولا يتساند ركناه

وجهُ الوقوف على شرف الكلام وفضله ان تأخذ بمثل قوله ﴿ كذّبت قبلهم قومُ نوحٍ والأحزابُ مِن بعدهم وهمَّت كلُّ امةٍ برسولهم لِيأخذوه وجادَلوا بالباطلِ لِيُدحضوا به الحقّ فاخذتُهم فكيف كان عقاب ﴾ موضع الدلالة ان تتأمل في قوله (ليأخذوه) وتنظر هل تقع موقعها كلمه . وهل تقوم مقامها لفظه . وهل تسدّ مسدّها في الجزالة نكته . وهل تغني عنها في جزالة المعنى وجلالة اللفظ جمله . أترى لو وُضع موضعها (ليرجموه) او (لِيقتلوه) او (ليهلكوه) او (ليملكوه) او (لينفوه) او (ليطردوه) وامثالها مما لايبعد عليك . ولاينأى عنك . هل تجد ذلك الاّ بعيدا . وهل تراه الاّ سمجا مردودا . وكانّ تلك الفريده . قد وفّت وضمنت لك بمعاني جميع هذه الكلمات العديده . مع منتهى الجلالة والفخامه . ومنيع العزة والكرامه ومن حسن موقعها وجميل اثرها وصنعها تكرّر التعبير بها في ذلك الكتاب الكريم وهي من فرائده ومبتكراته . من ذلك قوله ﴿ وكذلك اَخذُ ربّك اذا اَخذَ القرى وهي ظالمةٌ انّ اخذه لأَليمٌ شديد ﴾ راجع ايام العرب وتواريخهم وانظر هل تجد استعمال هذه اللفظه بهذا المعنى البارع . القريب الشاسع امّا بعد الاسلام وانتشار انواره . فقد شاع اخذها . كساير ما اقتبسهُ البلغاء

من فرايد كلماته . وشاع وشعّ من انوار بركاته . فانتقد موضع هذه الكلمه واغتنمها . وتعرّفْ بهاما تذهب اليه وترومهُ من نُخب الكلام وجميل الالفاظ . وجليل المعاني . ومعجز القول . وبليغ المنطق . فان فطنتَ فذاك . وان كان ما عددناه لك . وتلوناه عليك . ممَّا لا يقف بك على الغرض . ولا تهتدي به السبيل الى القصد . فافزع الى التقليد . واكف نِفسك موءنة هذا العمل الجهيد . وانتظر فسيجيء معك الكلام في الصنف الثاني ان شاء الله اذ لست يامدَّعي البراعه . والزاعم انَّك من اهل هذه الصناعه . مع قصورك بعد هذا كله الاَّ دخيل النسب فيها . هجين الاصل منها . نسبتك اليها نسبة بنات الماء . الى خشفان الظباء . لا من صميمها ولا عواليها ، ولا احلافها ولا مواليها ، فان كنت ترى انّك منها على شيء ، وتزعم ان ماقدّمناه من الآيات ومعجز الفقرات ، كلام بشري ، وقول انسي ، غير طالعٍ من المطالع الالهيه ، ولا ساطع من الانوار القدسيه ، وترى انه مما تقدر عليه القوى البشريه ، وتحوم حوله الافكار الانسيه ، ويدخل مثله تحت الطاقة والقدره ، وتنفع فيه المساعدة والنصره ، فارجع الى اهل ثقتك وطمأنينتك ، وهدوك وسكينتك ، وجئنا منهم بآيه او بدّل لنا من القرآن جمله ، او عوّضنا عن مكان كلمة منه كلمه ، وعمرُ الله وعمرُ الله قسمٌ عظيم ، وانا بما اقول لك زعيم ، انّك لو رمت ذلك لرايت عيانا على التحقيق ، انّك لو تخرُّ من السماء فتخطفك الطير او تهوي بك الريح في مكان سحيق ، اهون عليك من وضع قدم واحد في ذلك الطريق ، ياهذاء القومُ الذين عاياهم القرآن وعاداهم ، وحادَّهم وتحدَّاهم ، وعاصروا نزوله ، وادركوا ظهوره ، وشاهدوا نوره ، وعاب آلهتهم وسفَّه احلامهم ، ونكَّس اعلامهم ، وكسر اصنامهم ، وفعل بهم الافاعيل وجاءهم بالاهاويل ، ورماهم بالصلادم ،

والشجى في الحلاقم . كانوا اسعد منك في البلاغة جدًّا ، واورى في العربية زندا ، واشدّ لها معاناة ومراسا ، وامتن اسبابا واقوى امراسا ، وهم أصلها الأصيل ولهم مجدها الاثيل ، ثمّ لماّ صعد به بينهم على اليفاع ، وصدع بهِ منهم الاسماع ، وناداهم فاسمع ، وبلّغهم اجمع ، طاشت البابهم ، وتقطعت اسبابهم ، ورأوا ان معلقاتهم التي عجبوا بها ممخرقات ، فمزّقوا تلك المعلقات ولشدّة مهارتهم ومعرفتهم بمقامات البلاغه ومبالغ حدود البشر فيها ، ومنتهى قوى الرجال منها ، ايسوا من حينهم عن المعارضه ، واذعنوا اول ماسمعوه بالعجز عن المراجعة والمفاوضه ، الكتُب والتواريخ ضبطت لك خبرهم ودفعت اليك سِيرهم ، واحصت قليل امرهم والكثير ، والفتيل والنقير فهل روي لك عنهم ، او بلغك ان واحدا منهم ، او جماعة من ذوي شرفهم وعلاهم ، وهم كما تعلم ماهم ، جاء الى ذلك المتحدّي بهِ ، والناهض بعبئه ، فقال لهُ يا فتى نحن كبراء قومك ، واشياخ عشيرتك ، وفصحاء عصرك ، وقد اكثرت علينا التبجح ، واطلت التحدي بقرآنك والتبذخ ، فاكفف فهذه كلمات من جنس ما جئت بهِ واتيته ، ومن سنخ ما قرأته وابديته ، وقد عارضنا بها قرآنك ، وابطلنا بجمعها معاذ الله فرقانك . لا وعزة جلال الله كأنّ ذلك ما خطر لهم على خيال ، ولا اتّسع لأحدهم فيهِ مجال بل ظلّوا في الحيرة صرعى سبات ، يتعلّلون بالاباطيل والترهات ، يقولون لهُ تارة انك لمجنون ولو تدبر اللبيب في امرهم لايقن انهم كانوا هم المجانين ، ويقولون انك لساحر والحقّ ماهو الاّ انّ ماردالعصبية قد جعلهم من المسحورين ، حتى تطامنوا للحروب المبيده ، والمواقف المهلكه ، وتجاروا على مُماناة المنايا ، ومعاناة الرزايا ، زمان عشرين سنه او اكثر أكانت المعارضه ممكنة لهم وتركوها ، او فعلوها ولم يبلّغها الينا ناقلوها

قل لنا باي الامرين يحكم عقلك ، أيهما يرتضيهِ وجدانك ، ايهما يقضي بهِ انصافك، اتقضي الحقيقة بصحّة شيء منها كلاّ ما هو الاّ انهم وجدوه امرا مستحيلا ، وابصروه ممتنعا منيعا ، الحتوف اطيب منهُ مطعما ، وحدّ السيوف الين منه مركبا ، فاختاروا اهون الأمرين عليهم ، والين الحالين لديهم ، هذا والقرآن ملء اسماعهم وافكارهم ، ونصب عيونهم وابصارهم يرونهُ يعيد القصة الشارده ، والقضية الواحده ، بافانين من البيان، واساليب من الكلام ، وبدايع من القول، وروايع من الطول ، من دون ان ينحطّ شأوه في البلاغه ، او يختلف حاله في البراعه ، على اختلاف الاساليب وشتات التراكيب ، انظر مثلا ما اقتص من امر فرعون وعتوّه واستكباره وما اخذه الله بهِ من النكال ، ورماه به من البوار والوبال ، حيث اغرقهُ وجنوده ، واستنقذ منهُ عبيده ، هذه القصه ذكرها هذا الكتاب الكريم في اغلب سوره من الطوال والمثاني ، والمئين والثواني ، والمفصَّل طوالهِ وقصاره ، واوساطه وصغاره ، هاك مثلا من ذالك ونموذجا مما هنالك ، قال في سورة يونس من السور الطوال ﴿ وقال موسى ربّنا انّك آتيتَ موسى وملأه زينةً واموالاً في الحياة الدنيا ربّنا لِيضلُّوا عن سبيلك ربَّنا اُطمسْ على اموالهم واَشدُد على قُلوبهم فلا يُؤمنوا حتى يَروُا العذابَ الأَليم ﴾ الى قوله ﴿ وجاوَزنا ببني إسرائيلَ البحرَ فأَتبعهم فرعونُ وجنودُه بَغيا وعدوًا حتىّ اذا أدركه الغرقُ قال آمنتُ انَّه لا إِلَه الاّ الذي آمنت به بنو إسرائيلَ وانا مِن المسلمين ﴾ وقال في سورة القصص من الثوانى ﴿ وقال فرعونُ يا ايُّها الملأُ ماعلمتُ لكم من آلهٍ غيري فأَوقد لي ياهامانُ على الطين فاجعل لي صرحاً لعلّي اَطَّلعَ الى إِلَه موسى واني لأَظنُّه من الكاذبين واستكبرَ هو وجنودُه في الارضِ بغير الحقّ وظنُّوا انّهم الينا

لا يرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ وفي سورة المؤمن من طوال المفصَّل ﴿ وقالَ فرعونُ ياهامانُ ابن لي صرحاً لعلى أبلغ الأسباب اسباب السموات فاطّلعَ الى اله موسى واني لأظنه كاذبا وكذالك زُيّنَ لِفرعون سوءُ عمله وصدّ عن السبيل وما كيدُ فرعون الاّ في تباب ﴾ وفي الزخرف منها ايضا ﴿ ونادى فرعونُ في قومه قالَ ياقومِ اليسَ لي ملكُ مصر وهذه الأنهارُ تجري من تحتي افلا تبصرون ام انا خيرٌ من هذا الّذي هو مَهين ولا يكادُ يبين ﴾ الى قوله ﴿ فلماّ آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴾ وفي النازعات من قصار المفصل يقول جل شأنه مجملا لِتلك التفاصيل ، مختصرا تلك الواقعة على مافيها من الشؤون والتهاويل ﴿ هل اتاك حديثُ موسى اذ ناداه ربُّه بالوادي المقدّس طُوى إذهب الى فرعونَ انّه طغى فقل له هل لك الى ان تزكى واهديكَ الى ربك فتخشى فاراه الآية الكبرى فكذّب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربُّكم الأعلى فاخذَه الله نكالَ الآخرة والأولى انّ في ذالك لعبرةً لمن يخشى ﴾ هذه قصة من قصصه ونبأ من انبائه ، انظر كيف جاء بها في طرق مختلفه ، وانحاء متفاوته ، واساليب متباينه ، وتراكيب متشعبه ، كل واحد اذا رأيتهُ قلتَ هو الغايه ، واذا انتهيت اليهِ حسبته النهايه ، وعلى مثل ذلك ساير احاديثهِ واقاصيصه ، وحججهِ وبراهينه ، وشرايعهِ واحكامه ، وحلالهِ وحرامه ، كل هذا اظهارا لعظيم القدره ، وتبيانا لمعجز القوة ، وباهر السطوه وانه مرتبة الهيه ، ومنزلة الهاميه ، تعجز عنها البشر ، وتضعف دونها القوى والقُدر ، ومنهُ تعرف وجه هذا التكرار ، وسرّ ذلك الاستمرار ، وهذا باب عظيم من معجزاتهِ ، وسر جليل من اسرار بلاغاته ، فتدبّره بعون الله

وفضله ٬ واغتنمهُ ان كنت من اهله ٬ وقف على مثل سورة يوسف ويونس وابراهيم وترجمته لحياة عيسى ويحيي وموسى واقض العجب هنالك ٬ وعلى الأخص في قصة يوسف واخوته على طولها فانك تجدها وحدها قرآنا معجزا ٬ وحديثا عجبا ٬ وجهات اعجازه وابواب بلاغته كثيره واسعة يضيق وسعنا عن احصائها ٬ وتفصيل انبائها ٬ والقدر الذي ذكرناه انما جاء على عفو الطبع ٬ وترسّل الخاطر ٬ وسماحة القلم . فلذلك لم يأتِ مبوّبا ٬ ولا محررًا ولا مرتبا ٬ ولو جئنا ذلك توّا ٬ وقصدناه بدوا ٬ لاحتجنا الى إفراد بالتأليف ٬ وانعقاد ابواب تستقل بالتصنيف ٬ انّ من ابواب اعجازه وبلاغته ٬ وبلوغ اسرار براعته ٬ الذي يوقفك على ماتتوخاه من هذه البُغيه ٬ وترومه من هذه المنيه ٬ الذي يريك الأعجاز شهودا ٬ الذي يشهدك منتهى حدّ البلاغة معيَّنا محدودا ٬ الذي يحقق لك الحقيقه ٬ الذي يسلك بك في واضح الطريقه ٬ ذاك ان تنظر في تشبيهاتِهِ البديعه ٬ وتمثيلاتِهِ المنيعه ٬ وتضرب اقصى مبالغ الفكره ٬ وتدأب في مراجعة النظره ٬ وترى هل تجد مساغا ٬ وتدرك بلاغا . الى ابلغ منه تمثيلا ٬ واحسن تشبيها ٬ واسمى مقاما ٬ واسنى محلا ٬ وهل تقدر على ان تزيد فيه ٬ او تعلو على معاليه ٬ او تنظمه في اقوى من سلكه ٬ او ترفعهُ الى ماهو اعلى من سمكه ٬ خذ مستقصيا في النظر من اوّل تشبيهاته ٬ مستوقف الفكر على كل واحد من تمثيلاته ٬ ذاك مثل قولهِ في وصف حال المنافقين وتجسيم حقيقتهم في العيان ٬ وتحديد ملكاتهم الخبيثه في حيث تشهدها الأذهان ٬ يقول جلّ شأنه ﴿ مَثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلمَّا اضائت ماحوله ذَهبَ الله بنورهم وتركهم في ظلماتٍ لايبصرُون او كصيّبٍ من السماء فيهِ رعدٌ وبرقٌ ﴾ الآيه الى نهاية المثل في قوله ﴿ يكادُ البرق يخطفُ ابصارَهم كلما اضاء لهم مشوا

فيه واذا اظلم عليهم قاموا﴾ ولو ذهبنا الى بيان دقايق هذا المثل واسراره وتطبيقه على خواص الممثَّل لطال المقام وفات الغرض وكتب التفاسير قد وفتْ بشطر من ذلك وان لم تستوفه ، وتكفلت به وان لم تبلغ الفلسفة فيه ولم تستقصه ، ما الغرض هنا سوى الاشارة والتنبيه ، لا تمام الخوض فيه ، ثمّ سر حتى تنتهي الى قوله تعالى في بني اسرائيل (ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة اواشدُّ قسوةً وانَّ من الحجارة لما يتفجَّر منه الانهار) « الآيه » وهلمَّ جرّا . جاريا على هذا المجرى ، حتى تصل الى قوله في الكشف عن حال الدنيا وغرور متاعها وزوال زينتها وسوء عاقبتها وذاك حيث يقول جلَّ شأنه (انَّما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض ممَّا تأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازّينت وظنَّ اهلها انهم قادرون عليها أتاها امرنا ليلاً اونهارا فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالامس كذلك نفصّل الآيات لقومٍ يتفكرون) وفي هذه الآيه من اسرار العلوم ودقايق الفلسفة الطبيعيَّه ما لا يذهب بعضه او كله ، عمَّن هو اهله . ثم انظر تفنُّنه وضروبه . وانحاءه واساليبه في تشبيهه للشيء الواحد بتشبيهات مختلفه في مقامات متعدّده من ذلك قولهُ عزَّ طوله في ضرب المثل لغاية عمل الكافر وسوء عاقبته (مثلُ الذين كفروا بربّهم اعمالهم كرمادٍ اشتدَّت به الريحُ في يومٍ عاصف لا يقدرون ممَّا كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد) ثم بسط المقال وفصَّل الاجمال ومثَّل واقع الامر في المثال بقوله تعالى في سورة النور التي هي بعد سورة ابراهيم بكثير قال متعالي العز والجلال . عن الندّ والمثال . (والذين كفروا اعمالهم كسرابٍ بقيعة يحسبهُ الظمآن ماءً حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابهُ والله سريع الحساب او كظلماتٍ في بحر لجيّ يغشاه

موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحابٌ ظلماتٌ بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومَن لم يجعل اللهُ لهُ نورا فمالهُ مِن نور) انارَ الله سريرتك واحسن في خطَّة المعارف سيرتك . وصفَّى في درك اللطائف بصرك وبصيرتك أتجد للزيادة في هذا المثل من موضع . او تهتدي الى تشبيه يقع ابلغَ من هذا الموقع . او ترى ولو اجهدت افكارك . وجمعت اعوانك وانصارك انّك تحسن ان تأتي باحسن منهُ صياغه . واقوى مبالغة وبلاغه . وهو من المبالغة في الكشف عن الحق وتصوير الواقع لا من المبالغات الشعريه والمعاني الخياليه . وبعدُ فما ذا يبلغ من معجز بلاغتها بياني . وما ذا يسعهُ من احصاء خواصها قلمي او لساني . وهل بعد هذا الا ان اقول .

توهّمتُها في قدسها فكأنّما توهّمتُ شيئاً ليس يدركهُ العقل
فما يرتقي التكييف فيها الى مدى تحدُّ بهِ الاّ ومن قبله قبلُ

وتعرّف النكتة في عدم الاقتناع بتمثيل اعمالهم بالسراب حتى اردفهُ بالتشبيه بالبحر اللجيّ على ذلك الوجه المخصوص نظرا الى اختلاف اعمال الكافر وانّ منها ما يتَّكل عليه . ويعتدّ بهِ . ويتخذه سببا لنجاته . وزادا لمعاده . وهذا هو السراب الذي اذا جاءه لم يجده شيئا وهذا النوعَ من العمل هو المصرَّح به في قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ومنها الاعمال الهمجيه . العادية العدوانيه . التي هي لا عن قانون شرع . ولا نظام عقل . ولا مرآة مروّه . ولا فتوى فتوّه . وعليهِ فيجتمع عنده ظلام الكفر وظلام الظلم وظلمات الجهل فتتراكم عليهِ الظلمات . وترتبك عليهِ الجهالات بعضها فوق بعض . وهذا دون الواقع بكثير . فانّ الجهل معاذ الله مثار الظلمات . ومدار الظلامات . وهو طبقات فوق طبقات . ودركات تحت دركات . هنالك اجارك الله يعمى بصر البصيره . ويرخي الباطل على الحق

ستوره . وتنكسف شموس العقل المستنيره . بحيث اذا اخرج يده لم يكد يراها . واذا اشرقت شموس الهداية لم يستضيء بسناها . فمن اين يُرجى له النظر في العاقبه . ودرك الامور المغيَّبه . ومعرفة مبدئه ومعاده . وما يلزم عليهِ من اعداد راحلته وزاده . وهل الايمان الاّ ذلك . وهل الكفر سوي جحودها وهو الظلم بل الظلام الحالك . وعلى مثل هذا فليتدبَّر في امثال الله جلَّ شانه . وبمثله فليعتبر كلامه . وتُفهم آياته . وتُنظر بيناته . وتُعرف زواجر امثاله . واسرار حكمه واقواله . ومن هذا المجاز . فليتوصل السالك الى معرفة حقيقة الاعجاز . وبديع الايجاز . وهذا مقام شاسع . وباب واسع . وما هو من البطون وخلاف الظاهر . كما لا يخفى على الفطن الماهر . واني لأرزء لاكثر التفاسير حيث صفرت عيابها عن قرضه . واعجب كيف استطابت الجماهير وِطابها دون مخضه . بيد انَّك اِن اردت التوسُّع في العرفان . والتوصُّل الى عجايب رموز هذا الفرقان . فخذ مثلا من اوّل مفتتح الكلام . ومبدء الفصل في هذا المقام . لِترى العجايب تترى والبيان سحرا . والمعاني منيعه . والالفاظ بديعه . تجد المعجزةَ باهره . والقدرة قاهره والامثال سايره . هناك سواطع انوار جلاله . هناك مواقع حِكمه وامثاله . هناك لوامع آياته . وجوامع ضرب المثل الاعلى لذاته وصفاته . (ولقد انزلنا اليكم آياتٍ مبيّنات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظةً للمتقين . اللهُ نور السموات والأرض مثل نوره كمشكوة فيها مصباحٌ المصباحُ في زجاجة . الزجاجةُ كأنَّها كوكبٌ دريٌّ . يُوقدُ من شجرةٍ مباركة زيتونه . لا شرقية ولا غربيَّه . يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسهُ نار . نورٌ على نور . يَهدي اللهُ لِنوره مَن يشاء . ويضربُ اللهُ الأمثال للنَّاس والله بكلّ شيء عليم .) انَّ مَن يقول في بعض كلمات نهج البلاغه معاياةً للبلغاء عن

معارضتها (ملمًا بالظايم والاّ فالتخويه) ما ادري ماذا يقول لهم في هذه الآيه امّا هذا الضعيف الضارع . والعبد الخاشع . فلا اجدني أُحسن فيها الآن اقول

ليغتدي كلُّ بليغ على | موطىء نعليه لها ساجدا
عزايم الله وانوارها | تحرق من جاء لها جاحدا
فايّ حر الفكر من بعدها | لم يعنُ كالعبد لها عابدا
بلاغة اعجازها قد غدا | على تعالي شانها شاهدا
والعقل انّى يرتقي شامخا | لم يلفَ الاّ شأوها شاردا
يرتدُّ عن اصغرها صاغرا | وان تسامى في النهى صاعدا
فليخسَ عن ادراكها دون ان | تؤتيه من انوارها قائدا

انت ايّها العارف بلطايف اساليب الكلام ، والناقد لما في تصاريف التراكيب من بديع السبك ومعجز النظام ، انت يامدَّعي البراعه ، في هذه الصناعه ، انت ايُّها الزاعم حمل الوية الفضل فيها والزماعه ، بحرمة نصيحتي لك وخدمتي اليك ، وجهادي في ذات الله لك لا عليك ، لا بل قسمي عليك بجلال الله العظيم ، الاّ ما اخذت هذا الكتاب الكريم ، فان وُفّقت فرتّل هذه الآية وما بعدها ترتيلا ، وميّزها عند القراءة جملة جمله وفصِّلها تفصيلا ، وامعن فكرك فيها على حسب مايتهيَّأ لك عند التلاوة ولو قليلا ، ثم انظر كيف وَقْع هذا النور من آيته في قلبك ، وكيف استيلائه على شراشر لبِّك وكيف سريانه في حسِّك ، ونفوذه في عروقك ، وامتلائك ببهجته ، وانتعاشك برونقه ، ام هل تجد الرعب كيف يأخذمنك مأخذه من وَجه ، والهزّة كيف تعمل في جوانبك من لون ، والأريحية كيف تستولي عليك من باب ، وهل تجد الطرب كيف يستفزُّك للطيف مااحسستَه ، والسرور كيف يهزُّك لعجيب مافطنت له وادركته ، الا تجد في نفسك من المعرفة

التي احدثت لك عزّه ' الا تحس في اعطافك من سحر ذلك البيان ارتياحاً وهزّه ' ألا ترى لك في الفضل تقدّماً وتبريزا ' وفي اليقين سبقاً وتحقيقا ' أولست ترى مطارح الجهال تحت اقدام الغفله ' ومهاويهم في متاهة المهانة والذلّه . واقدارهم بالعين التي يجب ان تلحظ بها مراتبهم من الازدراء والقلّه . أولست تجد ما يأخذك عند تلاوتها من الوجد والشغف . وما يصيبك في تدبّرها والتملّي بها من الامتلاء بالمجد والشرف . ألا يهزّك الطرب . الا يستفزك العجب . ألا تتمايل اعطافك . الا تتمايد اطرافك . (كلا) بل اخشى ان تكون عصابة العصبيه قد غطّت على عينيك وداء الجهل ران على قلبك وقبض على يديك . فنظرتَ بعين السخط وهي العمياء وفكرت بمدركة الحقد وهي العوجاء . فقلبك كالحجارة او اشد ' وعينك عين ذي العاير الارمد ' فمن اين تنالك ياهذا تلك الفزّه ' او تؤثّر فيك تلك اللطايف والمعارف شيئاً من الهزّه . وانت مَن هو للحق كيف كان معاند . لا بل الرجل الجاحد . لا بل الحجر الجامد . والتوفيق ليس اليّ ولا اليك . فهوناً ايها العارف المتّقد من الاسف فما عليّ ولا عليك

هذا كله في شأن حسن الكلام وبديع نظامه . في عجيب رصفه وإحكامه في نضده وسبكه ' في نظمه بسلكه ' في شأنه وشأوه ' في زهره وزهوه في حظّه بلفظه ' في سلاسته ونفاسته ' في شرفه وبسالته ' امّا لو جئتَ الى ما انبسط في العالم من بركات معانيه واسراره . وما شعّ في الآفاق من لمعات انواره ' وما انطوى فيه من اصول المعارف الالهيه ' وما استطرد في ذلك المثل من التعاليم العمليه ' والفنون الصناعيه ' ودقايق العلوم الطبيعيه ورموزها الخفيَّه ' حيث اشار الى خاصة تاثير الزجاج في تلطيف النور وصفائه ' وتلألأ اضوائه ' ورمز الى ما استخرجه في مناهز اعصارنا

الفلاسفة الصناعيون ٬ وما اغرب وارىي باستكشافه الغربيون الأوربائيون ٬ من القوة الكهربائيه ٬ التى وصلوا اليها بعد الجهد الجهيد ٬ والسعي الشديد والزمان المتطاول ٬ والمعاونة والمعامل ٬ كما هو الشان في ساير مكتشفاتهم ٬ وجميع مخترعاتهم ٬ وهذا المعجز المحمدي اشار اليها قبل ماينيف على ثلاثة عشر قرن ولكن باوجز عباره ٬ والطف اشاره ٬ مستطردا ذلك بقوله (يَكادُ زيتها يُضيء ولو لَمْ تمسسه نار) كما رمز الى اكثر تلك المخترعات بجني الرموز والاشارات . والسرّ في توخّيهِ هذا النحو من البيان على وجه الرمز والخفاء انما هو عدّة اشياء ٬ منها المحافظة على رصانة الكلام ورصافته . واعجازه وبلاغته . ومنها قصور المخاطبين به عن درك تفاصيل تلك الامور وعدم رغبتهم فيها واجفال طباعهم عنها فقضت العناية العاطفه . والحكمة المتقنه . إتمامًا للحجة واظهارا لعظيم القدره ٬ لمن سبق في علمه انه من اهل تلك اللطايف ٬ وانهُ ممن يرغب الى المعاني ولا تتم الحجة عليه الا بالمعارف . فأُستودعتْ تلك العلوم والحقايق إستيداع البذور المستكنة في الاراضي الطيّبة المطمئنه . لِتُغرس في امثالها من العقول المستقيمه . والنفوس السليمه . التي دأب الفكر والتأمل في حرثها . وبحثها . هنالك تستعد لأن تُسقى بماء الرحمة المتقاطر ٬ ويصيبها منهُ بقدر استعدادها وما يسَّر وقدَّر لها المبدع الفاطر ٬ فتنمو اصول هاتيك العلوم والمعارف نماء بيّنا ٬ وتنبت بذورها باذن الله نباتا حسنا ٬ ويكون ذلك شاهدًا وشارحا ٬ ومفسِّرا وموضحا ٬ لقولهِ تعالى (مافرّطنا في الكتاب من شيء) الى امثالها من الكرايم الالهيه ٬ والعلايم الربّانيه (انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها) فارجع اليها في سورة الرعد فانها من امثاله الباهره ٬ وآياته القاهره ٬ وليس الغرض المهم هنا اثبات هذا الشان ٬ وانّ جميع العلوم

والمعارف مودعة فى القرآن ، وانما استطردناه في الذكر كما هو في الآيه على تقديره كذلك * ماجوهر الغرض في عرض هذا البحث وطوله ، وجرجرته وتطويله ، الآن ان ندلك على حقيقة الأعجاز وجوهر البلاغه ، بحيث ترى ذلك رأي العين ، ويحصل لك من اليقين به مالا يبقى لك معهُ شكٌ ولا مين ، وجه الدلالة على ذلك من هذه الآيه كما اسلفناه الك في غيرها ان تعمد الى اي جملة شئت من مفردات جملها مثل قوله تعالى (مثَلُ نوره كمشكاة فيها مصباح) وقوله (المصباح في زجاجة) وقوله (الزجاجة كأنها كوكب دُرّي) وهكذا الى حيث اردت منها وانظر في مفردات كل واحدة من هذه الجمل هل تجد لفظة تقوم مقامها ، او فريدة تحل محلها ، او تسدّ مسدها ، خذ المشكاة او المصباح واستضئ بالف واحد منهُ وانظر هل تهتدي الى احسن منها ممَّا يرادفها ، قل مثل نوره كـكوة او كروزنة او كزاوية وامثال ذلك ممَّا يوافقه بالصراحة او الالتزام وكذا فانقل المصباح الى مثله وقل كمشكاة فيها سراج اومشعل او قنديل او نبراس اومقباس هل تجد شيئا منها يقرب من هاتيك الفرايد اويشقُّ غبارها اويوازن عيارها فان المشعل وان كان اكبر من المصباح السراج الذي هو الضخم الثاقب وهو اكبر من النبراس والقنديل ونحوها ولكن في لفظ المشعل من الفجاجه والفهاهه والعامية المرذوله ما لا يخفى على من له ادنى ذوق ثم انظر الى حسن خاتمة المثل وجميل عاقبته بقوله (نورٌ على نور يهدي الله لنوره من يشاء) اشار جلّ شانه بالفقرة الاولى الى كون ذلك النور المضروب مثلا لجلاله متضاعف الأضائه والاشراق بتناصر المشكاة فيه والمصباح والزجاجة والزيت حتى لم يبق بقية ممَّا يقوّي النور ويزيده اشراقا الاّ وهي فيه فكأنّ هذه الكلمه هي فذلكة المقام وخلاصة المثل وهي بنفسها درّة فريدة تتلألأ نورا .

وتشعُّ اشراقا وتتعالى بهجة وسناء . وتتسامى رفعة وعلاء . سارت مسير الامثال . وعزّت عن الانداد والامثال . ووقفت في المقام الذي لايدرك ولا ينال . واستغنت بشهامتها عن اخواتها . واستقامت عن ذواتهابذاتها فهي ان اتّصلت بمقامها عزّت فيهِ وجلَّت . وان انفصلت اشرقت وحدها وتجلَّت . وهي من الفرايد التي ابتكرهاهذا الكتاب . ومنهُ سرت مثلا في السنة العوام فضلاعن الخطباء والكتّاب . ككثير من فرايد مخترعاته وابكار بلاغاته مما مرّ عليك كثير منهُ وما قصرنا عنه اكثر

اني لا ارتاب في معرفتك بشأن الكلام من خطبه وشعره ونثره واراجيزه وساير انواعه ترى ان الخطبة الوحيده . اوالقصيدة الفريده . او المقامة الساميه في شأو البلاغه اذا كرّرتها على السمع ثلاثا او اربعا مجّها . واذا أُمليت على الطبع ملَّها واستسمجها . حتى قيل ان الطبع مُوكّل بمعادات المعادات . واستكراه المكرّرات . وهذا الفرقان الحميد . والقرآن المجيد . كلَّما كرّرته تعالى وتعاظم . وتفاخر وتفاخم . يُتلى على جميع الالسنة في غضون هذه القرون المتطاوله . في عموم الامم المتداوله . و كلَّما تلوته وجدته غضًّا جديداً . ومهما بلوته لم تبل الاّ حميدا . واذا وازنت بهِ كلاما شال في ميزانه . وعنى لعنوانه . وخفّ في عياره . وبخس لديهِ قدره وان غاليت بمقداره . وللعلماء في آية النور ولاسيما علماء الاماميه عناءٌ عظيم . ولها عندهم مقام كريم . ولهم عليها تعاليق ورسايل . وتحقيقات دلايل . وتفاسير شجون من ظهور وبطون . ولكنهم اغفلوا جهة فصاحتها ومعجز بلاغتها . كما هو الشأن في اكثر المفسرين والموءاخذة بذلك آتيةٌ على جلّ المبرّزين من اساطين العلماء الاسلاميين الاّ افراد تنزر في العدد . وآحاد يعدّها كلّ احد ممن عني بهذا الشأن فوقف على حواشيه . وحام حول الغرض ولم يقع

فيه . ولكنه جدّ فاجاد . وكدّ فكاد . والحقُّ ما يقال من ان القرآن . ما فسِّر الى الآن . وعلى العلاّت فعذرهم واضح لدينا . والانصاف فريضة علينا . فان الخطر خطير . والمورد لجٌّ غزير . متلاطم الامواج . متسع الفجاج متشعِّب المنهاج . يخر عبابه الزاخر . ويخور به الخريت الماهر وانى تدرك هذه الحواس الماديه . حقايقَ الاشياء المجرّده كما هي . وكيف تحيط هذه العقول المتناهيه بكلام ذلك الكمال الغير المتناهي . وكيف يبلغ المخلوق الى معاني كلام الخلايق وتمام مظهر قدرته فيه وكلامه وِجهةُ صفاته . وصفاته مرآة ذاته . والعقول القادسه دون ادنى ذلك معقوله . وارواح الروحانيين على الباب طايشة مذهوله . (فسبحان ربك رب العزة عمَّا يصفون) امَّا بعض الضعفاء من عباده فاذاهمَّ بخياله . او خطر على باله . التصدّي لتفسير سورة من متوسطاته . فضلاً عن مطولاته . او التعرض لتمام فصل من فصوله او عدة من آياته وشهير مقاماته . على خطة الخوض في جميع شوءونها . وجمّ افانينها . واستيفاء جميع جهاتها ٬ ممَّا يتعلق بمعانيها وعباراتها ٬ فلا اجدني عند ارادة ذلك والفكرة فيه الاّ كالحم على وضم او كالمرميّ بهِ من حالق الى حيثُ لامقرَّ لقدم ٬ نعم نحن بفضل الله لانبخس الناس حقَّهم ٬ ولا ننكر عرفهم ٬ ولا نخفي فضلهم ٬ ولا نجحد اياديهم ولا نطمس مساعيهم ٬ فانّ جملة من اساطين العربية الاوائل البارعين فيها وفي غيرها من الفضايل ٬ قد كانت لهم النهضة والنايره ٬ والصولة الثايره ٬ والحماس الشديد والمثابره ٬ في الدلالة على اعجاز القرآن ٬ والعناء بهذا الشان واقامة الحجة البالغة عليهِ والبرهان ٬ الا وهم السيدان الشريفان الرضي والمرتضى والشيخان الجليلان الشيخ الجرجاني والقاضي الباقلاني والفاضلان النيقدان الزمخشري والسكّاكي وتلاهم في ذلك جملة ممن تأخّر عنهم ٬

واخذ منهم ، واجتدى جدواهم ، وما اغنى غناهم ، ولا بلغ مداهم ، ولعلّ هناك فيمن تقدّم اوتأخر مَن بخل الزمان علينا بنُتَفه ، ولم يسعفنا بتصفّح صُحفه ، فياما اكثر ما أُخذ من ايدينا ، من تصانيف آبائنا واهلينا ، وكتب اعلامنا ، ومآثر اسلامنا ، ما لو هلك كل امرء مسلم من الحسرة عليها مألوما ، لما كان عندي ملوما ، ولكن عناية من الله بدينه ، واتماما لحجته ، وحفظا لنواميسه ، قد ابقى منها ما يفي بالغرض ، وينهج بهِ القصد ، وينقطع بهِ العذر ، وتقوم فيهِ على العبدلله الحجَّه ، انت ياذا الذي تزعم انّ لك في العربية رتبه ، وفي مطالعة الكتب والصحف دُربه . وانك من اهل ذلك اللحن واللسان ، ولك معرفة باساليب الخطابة والبيان ، راجع تفاريق كتب اولئك الاعلام ، وما ابقت بايدينا من تصانيفهم غوابر الايّام ، تجد فيها من تلك البغيه شيئًا شافيا ، ومن اسرار البلاغة ودلايل الاعجاز واعجاز القرآن(١) شرحا وافيا ، اما الاستيعاب والاستقصاء ، والحصر والاحصاء ، فذلك مقام في كتاب الله لا يُنال ، وامرٌ عاد او كاد ان يكون من المحال وجميع ما ذكرناه وفصَّلناه على طيَّاتهِ وطوله ، وما حرّروه وحبرّوه على تفاصيله ، ممَّا لهم فيهِ الهمة القعساء ، والعزمة الملساء ، ولكن ما كلّ ذلك بالقياس الى ما حصروا عنهُ واقصروا ، وانحطُّوا دونهُ وتأخروا . الاّ كنسبة القبس من الشمس ، والقدم من الرأس ، والبلّ من الوبل ، والفرع من الاصل ، يدلُّك على بعض ما نقول انّ اكثر ما قدّمناه ودللنا عليه من تلك الآيات الباهرات ، والمعجزات القاهرات ، التي اشرنا بذروٍ من القول ، وبروٍ من الكلام ، وحثالة من البيان ، الى وجوه اعجازها ، وعيون بلاغتها ، هي من الآيات التي لم يتعرضوا لها ، ولا خاضوا فيها ،

(١) اشارة الى الكتب الثلاثه الجليله في هذا الموضوع الاولان للجرجاني والثالث للباقلاني

ولا اشاروا اليها كآية النور وكثير مما تقدمها وهذا مما يدلك على عظيم الشأن لهذا القرآن ، وانهُ بحر عجّاج ، متلاطم الامواج ، لا يُدرك لُجّه ، ولا يقطع فجّهُ ، ولا يُسلك نهجهُ ، ولا تنفد لئاليه ، ولا تمدّ معاليه ، ولا تُجمع غرره ، ولا تُحصى درره ، ولا تنقضي عجايبه ، ولا تزال تشرق لك ولا تغرب عنك غرايبه ، أنّى وردتَ وردتَ حياضا ، وانّى اردت ردتَ رياضا ، وحيث توجّهت وجدت للبلاغة ربيعا ، وانّى استقبلت بلوت من الاعجاز امرا بديعا ، فانت عن الانتقاد في غُنيه ، وعن الارتياد في فسحه ومن الاختيار في خيار ، خُذ منهُ ما وقع عليهِ بغتةً نظرك ، وما اصابتهُ وهلة يدك ، وهذا وادٍ فسيح ، ومنزل وسيع ، يأتي علينا ولا نأتي عليه ، ولا يسعنا ان نثبت عنده او نقف لديه ، وحيث قد انجرّ بنا الكلام ، الى ذكر اولئك الاعلام ، من زعماء العربيه بل زعماء الاسلام ، فلنكتف من الاطالة بالحواله ، ومن استيفاء الادلة بالارشاد اليهم والدلاله ، فانك تجد من الحجة في كلماتهم مقنعا ، ومن بلج الحق لسدفة الباطل مَدفعا ، ولتدبُّر ما بهِ البالغة الى بلاغة القرآن واعجازه مجالا متَّسِعا

ثم بعد هذا كله لااجد اوسع لي · واحرى بي · من الاعتراف والاصحار بالحقيقة التي ينتهي اليها في هذه المباحث كل موجز ومسهب · ومقصر ومطنب · تلك هي الاذعان بالقصور والعجز عن ضبط انواع اعجازه واحصاء ابواب فصاحته · وحصر عناوين بلاغته · دون ان يسنح على الخطور استيفاء خواص كل آيه · ونكات كل كلمه · نعم قد عقد القاضي في « الشفا » فصلا للبحث عن وجوه اعجاز القرآن وجعل تحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه ونحن نستخلص لك صفوة ماذكر ومصاص ماسطر · بتسوية وتشذيب · وانتخاب وتاطيف · وقد عثرت عليه بعد الفراغ من هذا الجزء فرأيته يرتبط كثيرا بكلامنا الآنف فنقلنا منه مايلي وألحقناه بهذا المقام قال : (اولها) حسن تاليفه والتئام كلمه وفصاحته وايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشأن وفرسان الكلام قدخصوا من البلاغة والحكم ·

مالم يخص به غيرهم من الامم . واوتوا من ذرابـة اللسان . مالم يوءت انسان . ومن فصل الخطاب . مايقيد الالباب . جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقه . وفيهم غريزة وقوة . منهم البدوي ذو اللفظ الجزل . والقول الفصل . والكلام الفخم . والطبع الجوهري . والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعـه . والالفاظ الناصعه . والكلمات الجامعه . والطبع السهل . والتصرف في القول القليل الكلفه . الكثير الرونق . الرقيق الحاشيه . ولكليهما في البلاغة الحجة البالغه والقوة الدامغه والقدح الفالج والمهيع الناهج لايشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغـة ملك قيادهم . قدحووا فنونها . واستنبطوا عيونها . فقالوا في الخطير والمهين . وتفنّنوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر . وتساجلوا في النظم والنثر . فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . احكمت آياته وفصلت كلماته . تبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجـالا . واشهر في الخطابة رجالا . واكثر في السجع والشعر سجالا . واوسع في الغريب واللغة مقالا . بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون . صارخا بهم في كل حين ومقرّعا لهم على روءوس الملا اجمعين : ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين : وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا فلم يزل يقرّعهم اشد التقريـع ويوبّخهم غاية التوبيخ ويسفّه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم . وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته يخـادعون انفسهم بالتكذيب بالتشغيب والاغراء بالافتراء . وقـولهم ان هـذا الاسحر يوءثر . وسحر مستمر . وافك افتراه . واساطير الاولين . والمباهتة والرضا بالدنيّه كقولهم قلوبنا غلف وفي اكِنّة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجابٌ . ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون . وبالادعاء مع العجز بقولهم لو نشآء لقلنا مثل هذا . وقد قال لهم الله (ولن تفعلوا) فما فعلوا ولا قدروا . ومن تعاطى ذلـك من سخفائهم كمسيلمه كشف عواره لجميعهم وسلبه الله ما الفوه من فصيح كلامهم والّا فلم يخف على اهل الميز انّه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولّوا عنه مدبرين واتوا مذعنين . من بين مهتد وبين مفتون . ولهذا لما سمع الوليد بن المغيره

من النبي صلوات الله عليه (ان الله يامر بالعدل والاحسان) قال والله ان له لحلاوه وان عليه لطلاوه . وان اسفله لمغدق . وان اعلاه لمثمر . وانه ليعلو ولا يعلى عليه . ولا يقول هذا بشر . وذكر ابو عبيده ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ (فاصدع بما تؤمر) فسجد وقال سجدت لفصاحته . وسمع آخر رجلا يقرأ (فلما استياسوا منه خلصوا نَجيًّا) قال اشهد ان مخلوقا لايقدر على مثل هذا الكلام . وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ماافصحك فقالت اَوَيعدُّ هذا فصاحه بعد قول الله تعالى (واوحينا الى امّ موسى ان ارضعيه) (الآيه) فجمع في آية واحده بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين . فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته . غير مضاف الى غيره . وانت اذا تاملت قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) وقوله (ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب) وقوله) ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم) وقوله (وقيل ياأرض ابلعي مائك ويا سماء اقلعي) وقوله (فكلًّا اخذنا بذنبه) واشباهها من الآي بل اكثر القرآن . حققت مابينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها . وتلاوءم كلمها . وانّ تحت كل لفظة منها جملا كثيره وفصولا جمّه . وعلوما زواخر ملأت الدواوين من بعض مااستُفيد منها . وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها . ثم اذا ترددتْ قصصه اختلفت العبارات عنها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها . ولا نفور للنفوس من ترديدها . ولا معاداة لمعادها

﴿ الوجه الثاني ﴾

من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها ولم يوجد قبله ولا بعده نظير ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلَّهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر اونظم اوسجع او رجز اوشعر ولمّا سمع الوليد بن المغيره القرآن رقّ فجاءه ابوجهل منكرا عليه فقال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول

شيئا من الشعر . واجتمعت قريش قبل حضور الموسم وقالت انّ وفود العرب سوف ترد فاجمعوا رايكم في ما تقولون عن محمد ولا يكذّب فيه بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن فقال الوليد والله ما هو بكاهن . ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا فنقول مجنون قال ماهو بمجنون ولا بخنقه ووسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه ومبسوطه ومقبوضه قالوا فساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما تقولون شيئا من هذا الآ وانا اعرف انه باطل وانّ اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق به بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذّرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد (ذرني وَمَنْ خلقتُ وحيدا) الى قوله تعالى (انّهُ فـكّرَ وقدّر) وعلى ايٍّ فعجز العرب عنه ثابت . واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون مقدورهم وتحديهم بان يأتوا بمثله قاطع . وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل والصغار والذل وكانوا من شموخ الانف واباء الضيم بحيث لا يوءثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا ومامنهم الآ من جهد جهده واستنفذ ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم . مع طول الامد وكثرة العدد . وتظاهر الوالد وما ولد . بل ابلسوا فانبسوا ومنعوا فانقطعوا

﴿ الوجه الثالث ﴾

من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات مما لم يكن فكان كما قال . ووقع كما اخبر كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وقوله تعالى (وهم من بعد غلبهم سيغلبون) وقوله (ليظهره على الدين كله) وقوله (وعد الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) وقوله (اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله) فكان جميع هذا كما ذكره تعالى . غلبت الروم فارس في بضع سنين . ودخل الناس في الاسلام افواجا حتى لم يبق في جزيرة العرب موضع لم يدخله الاسلام في حياته صلوات الله عليه . واستخلف الله المؤمنين في الارض ومكّن لهم دينهم وملّكهم ايّاها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال صلوات الله عليه زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي مازوي لي منها . وقوله تعالى (سيهزم الجمع ويولّون الدُبر) وقوله (لن يضرّوكم الآ اذى)

وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) فكان كل ذلك . هذا مع ما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم على ذلك كقوله تعالى (يقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) وقوله (يخفونَ في انفسهم ما لا يُبدون لكَ) وقوله (من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه) ونظاير لهذا كثيره في خصوص شان اليهود . وابدى ما ودَّه المسلمون يوم بدر بقوله تعالى (واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انَّها لكم وتودُّون انَّ غير ذات الشوكة تكون لكم) وقوله تعالى (انّا كفيناك المستهزئين) وهم نفر بمكه كانوا ينفِّرون عنه الناس ويوذونه فاهلكهم الله جميعا وقوله (والله يعصمك من الناس) فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك صحيحة معروفه * يقول موءلف هذه الدعوه . انّ الكتاب الكريم والسنة النبويه قد اشتملا على شيء كثير من الاخبار بالغيب صراحة وتلويحا ويحسن ان يفرد هذا العنوان بالتأليف ولا سيَّما اذا ضُمَّ الى ذلك اخبار امير الموءمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بالملاحم كما في النهج وغيره فانه يجيء كاكبر كتاب واعظم آية ومعجزة للاسلام فعسى ان ينهض لهذه الصنيعة بعض افاضل المسلمين وربما نذكر كثيرا من ذلك في ثنايا دعوتنا هذه وما يتلو من اجزائها التابعه لهذا الجزء ان شاء الله نعم وهذه الجهة اعني الاخبار بالغيب وان لم يكن من الاعجاز من جهة بلاغة البيان ولكن جهات الاعجاز لا تنحصر بذلك وان من اعظم ما يعجز البشر ويخرج عن طوق قدرهم الاخبار بوقايع مستقبلهم حيث يكون عن غير علوم آلية ولا صناعات عمليه من كهانة او فراسة او جفر او رمل او ما اشبه ذلك ومن المعلوم ان اخبارات القرآن بالغيب لم يكن شيء منها بهاتيك الصفه . ولا على واحد منها تلك السمه . فاين قوله (وهم من بعد غلبهم سيغلبون) من تسجيعات الكهنه وتهجساتهم وزمازمهم وكذلك الاخبارات الغيبيه من الحضرة النبويه وسيتضح بعض ذلك فيما سيجيء ان شاء الله

﴿ الوجه الرابع ﴾

ما انبأ من اخبار القرون السالفه والامم البايده والشرايع الداثره مما كان لا يعلم منه القصة الواحده الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلوات الله عليه على وجهه . ويأتي به على نصه . فيعترف العالم منهم بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم . وقد علموا انه صلى الله عليه وآله اميٌّ لا يقرأ

ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسه ولا مثاقبه . ولم يغب عنهم . ولا جهل حاله احد منهم . وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسألونه صلوات الله عليه فينزل من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانبياء وبدء الخلق وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى ممّا صدّقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذ عنوا لذلك فمن موفّق آمن بما سيق له من خير ومن شقيّ حاسد ضلّ عن القصد ومع هذا لم يحكَ عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سوءالهم له (ص) وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومضمنات كتبهم كسوءالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرّم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام وغير ذلك من امورهم اجابهم صلوات الله عليه واله عن كل ذلك بوحي من القرآن وما انكره عليه احد منهم بل اكثرهم صرح بصحة نبوته واعترف بعناده وحسده كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت بعض المباهته قيل له (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فقرع ووبّخ ودعا الى احضار امر ممكن فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على كتابه يده ولم يوءثر ان واحدا منهم اظهر ما هو بخلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا او سقيما من صحفه . قال سبحانه (ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً ممَّا كنتم تُخفون من الكتاب ويعفو عن كثير (الآيتين) انتهى ما اردنا انتخابه لك من الشفا وفي الحق انه قد وصف فاحسن . ورصف فاتقن . وهو وان اطال . ووجد مجال القول ذاسعة فقال . ولكنه دون الوصول الى تمام الحقيقه بكثير

نعم هنا امور ثلاثة يروق التنبيه عليها . ويجدر البحث فيها . ﴿الاوّل﴾ ان كل ذي نظرة في جمهرة احوال العرب وشوءونهم ولو بالنظرة الطفيفه واللحظة الخفيفه يعرف توسعهم في اساليب البيان واستبحارهم في الفصاحة والبلاغة ويعلم ما لذلك عندهم من الشان وعظيم المنزلة وعلـو الرتبه . نعم قـد بلغ البيان وحسن المنطق منهم في نفوذ التأثير وامتلاك التبديل والتغيير وتحوير صفات المجتمع او افراده مالم يبلغه عند امة من الامم ولا شعب من الشعوب . فكان الشعر وحسن البيـان عندهم

كانه هو الذي يذل العزيز · ويعز الذليل · ويشجّع الجبان · ويسخّي البخيل · ويحلّم السفيه ويسفّه الحليم · ويثير رهج الحروب · ويطفي لهب الخطوب · ويتصرف في القلوب بما لاتتصرف فيه ابنة الكرم ولا رسيس الغرام · وشواهد ذلك اكثرمن ان تحصى اويحيط بها الاستطراد ولو اردنا ان نجمع امثال قصة الاعشى مع المحلق (وبات على النار الندى والمُحلّق) وقول الآخر

قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يساوي بانف الناقة الذنبا

فصاروا يفتخرون بهذا اللقب بعدان كانوا يرونه سبّة عليهم · وقول لبيد في مجلس النعمان (مهلا ابيت اللعن لاتاكل معه) في قصة مشهوره وكثير من نسق هذا ونمطه · لواردنا جمعه او الخوض فيه لاندفعنا الى اودية فيحاء متسعة الارجاء · لاناتي على اطرافها ولا نقف على تخومها · وهذا امر لامرية فيه وشهرته تغني عن ذكره · فقد قام في الجاهلية سوق للشعر كان يباع الرخيص منه باغلى الاثمان وينزل السافل فضلا عن العالي منه اعزّ منزلة ومكان · ومن الجلي ان العمل ايًّا كان صنعة اومهنة اوحرفة او غير ذلك اذا انصرفت اليه الرغبات وتوجه نحوه الطلب وقامت له اسواق ومدت اليه الاعناق وكثر انفاقه وقلّ اخفاقه · لامحالة اتسع نطاقه · وامتدرواقه واحكمت اسبابه وتكاثر الداخلون فيه وتهاجمت الناس على طلبه والاستبحار في استحكامه والتنوق فيه والتغالب في اشواطه باجادة العمل ولباقة الصنعة ومهارة التفنُّن فيه والتنوع منه هذا ناموس من نواميس الخليقه · لا يختص بعصر دون عصر ولابامة دون امة ولا بصنعة دون اخرى كما تشهد وترى * اما الشعر فكانه في اخريات عصور الجاهليه قد بلغ اوج سمائه ونزل في اقصى برج من ارتقائه وكانه وصل الى الغاية التي ماوراءها مفسح · ولا لحائل بعدها مسرح وكأن البلاغة فيه وقفت على حدودها المقدورة للبشر · واشرفت على العبور الى ما وراء القوى والقُدر · حتى اذا اشرقت في العالم لمعات هـذا القرآن الكريم والفرقـان الحكيم سرت في الكون روح من البلاغه وَي كانّهـا غـير تلـك الروح · وهبّ في الوجـود روح من البيـان · وَي كانه ما كان في الحسبان ولاسنح على خاطر انسان * افصحُ لـك عن طرف من ذلك واحيل اليك تمام ما احاول من هذه المقايسة والموازنه · ان العرب الـذين تعلم انت احسن العلم بما للبيان والبلاغة عندهم من الشأو والشان والمكانـة والرفعه والزلفى والمنزله · قد كانت آية فصاحتهم وعنوان بلاغتهم وطراز ديباجتهم وبيت

قصيدهم وقلادة جيدهم . واكبر ما عندهم لمن بعدهم . واحسن ما لديهم للمتطفل عليهم . هي تلك المعلقات السبع . التي خرقت كل سمع . وطرقت كل جمع . فكانت كانجيل بلاغة ذاك الجيل . ومعجز قرآن ذلك القبيل . وحقًّا انها قد اخذت حظا من الفصاحه وتبوءت مقاما من الابداع . تليق ان تعلَّق به على الواح الخواطر والاسماع . لاوسط البيوت المقدسه والهياكل الشريفه فقط . وانت اذا منحتها النظرة الاولى وجدت لاكثرها رونقا من حسن . ومسحة من لطف . ولكنك اذا اتبعتها الثانيه وامعنت بها تدبرا . ومحصتها اعتبارا . وجدتها اسلاكا وقلايد قد نظمت الدرّة والبعره . والذهب والمخشلب . والحصى والجمان والحصباء والمرجان . خذ اليك كلمة امرء القيس التي هي طليعة السبع وانظر فيها تجدك بينا تسير في رياض دمثه وسهول ملبده وعيون ماء منفجره . واذا بك في حرَّة سوداء وحجارة خشناء . ووعور تحفى بها النياق وتتقطع قبل قطعها النياط . بينا يمرح في اوايلها بامثال قوله

افاطم مهلا بعض هذا التدلل وان كنت قد ازمعت صرما فاجملي
اغرَّك مني انّ حبَّك قاتلي وانك مهما تأمري القلب يفعل

اذا هو يرزح في اوساطها تحت اعباء قوله

فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل

ثم بينا يقول بعد ذلك

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل
هصرت بفودي راسها فتمايلت عليَّ هضيم الكشح ريًّا المخلخل

واذا هو يقول في اواخرها

فاضحى يسح الماء حول كتيفة يكب على الاذقان دوح الكنهبل او قوله

كان السباع فيه غرقى عشية بارجائه القصوى انابيش عنصل

ثم استطرفْ اذا شئت قصيدة (طرفة) وقفْ على قوله

وفي الحيّ احوى ينفض المردشادن مظاهر سمطي لوءلوء وزبرجد

ثم اندفعَ في وصف ناقته بامثال قوله

امون كالواح الاران نصأتها على لاحب كانه ظهر برجد(١)

وسار عليها كانما ينقلع من اوحال او ينحت من جبال . نعم واسرعهم بديهه

(١) الاران التابوت العظيم ونصأتها زجرتها والبرجد كساء مخطط

وارقّهم ديباجـه واملكهم لاعنة الترسل والجرى انّى شاء من اودية الكلام وشعاب القول هو عمرو بن كلثوم الذي يقول في نتاج فكرته وابنة ساعته

وثديا مثل حق العاج رخصا   حصانا من اكف اللامسينا

ويقول في حماسها

كأن سيوفنا منا ومنهم   مخاريق بايدي لاعبينا
كان ثيابنـا منـا ومنهم   خضبن بارجوان او طلينـا
بشبان يرون القتل مجـدا   وشيب في الحروب مجربينـا
برأس من بني جشم بن بـكر   ندق به السهولـة والحزونا
الا لايجهلن احـد علينـا   فنجهل فوق جهل الجـاهلينا

وكلُّها واكثرها على هذا النمط والاسلوب من القوة والسلاسه ورقة الحاشيه وقوة السرد والنسج والسلامة من الوحشية والغرابه ولكنه مع كل ذلك ماسلم من ان يقول يصف قناته

اذا عضّ الثقاف بها اشمأزت   وولته عشوزنةً زبونا (١)

ويقول في حماسها

ونحن الجالسون بذي اراطى   تسف الجلة الخور الدرينا(٢)

فان فيه من التعقيد وعدم وفاء اللفظ باداء المعنى مع الغرابة وقلق الالفـاظ مالا يخفى على الراجع . واذا كان هذا حال غرة بلاغة العرب وصحيفة فصاحتهم واقصى ماعندهم ان بعدهم . فما ظنُّك بساير اشعارهم ومنشئاتهم من خطب ورسايل واراجيز وغيرها وما زالوا والبيان الذي هم ارقى الامم به واعرقهم فضلا فيه لايحول عن تلك الحال والصفه من السهولة تارة والوعورة اخرى والنعومة مرة والخشونة اخرى فتاتيك القطعة الواحده كانها من عصرين متباعدين او لشاعرين مختلفين في التربة والتربية والنزعه * حتى اذ اسطعت انوار هذا الفرقان الحميد وصدعت بالحق كلماته واشرقت على العالم شموس آياته . نهج للناس منهجا من الفصاحة ما كانوا ليهتدوا اليه ولا ليصيبوه ولو اجهدوا انفسهم دهورا واحقابا . عرّف هذا الكتاب الكريم كيف ينبغي ان يُصاغ القول وتُسبك الالفاظ وكيف تجعل قوالبا للمعاني لايزيد شيء منهـا على الاخر ولا

(١) الثقاف الحديد التي يثقف ويعدل بها الرمح والعشوزنة الصلبه والزبون الدافعه ومنه زبانية جهنم
(٢) السف الأكل والجلة الخور الابل الكثيرة الالبان والدرينا النبات الاسود القديم يريد اننا حبسنا بذى الاراطى لاغاثة قومنا حتى اكلت الابل النبات الاسود القديم

ينقص او يتقلّص عنه. القرآن هو الذي علّم الناس كيف يبلغ البيان من التصرُّف في العقول والتمكن من النفوس والتملك على الخواطر. القران هو الذي علّم عبد الحميد. كيف ينبغي ان يكتب فيجيد. ودفع ابنَ المقفع الى الطريق المهيع. وصيَّر الجاحظ اقدر كاتب ولافظ. القرآن هو الذي علّم ابن الرومي والحسن ابن هاني وابي تمام والبحتري ونظرائهم — ان ياتوك بالقصايد والمقاطيع — كل واحدة كانها ماوية صقيلة. او صفيحة عاج. او قطعة ديباج. قد حيكت على نول واحد. او صُبَّت في قالب سوآء. فلا تجد فيها لفظة عن اخواتها ناتية. ولا كلمة عن صفِّها نافرة. ولا جملة في موضعها غير جميله. فكأنّها العصب اليماني. او الديباج الخسرواني. متناسب الحسن. متناسق الصنعه. متوازن العيار. متوازي النجار. ولو سردتُ لك شيئــا من قصيدهم او مقاطيعهم. لِلأدلّك على باهر الصنعه. وجوهر البلاغه. لخشيت ان اخرج عن البحث في صناعة معرفة الاعجاز الى صناعة معرفة الشعر — الذي ليس هو من دعوتنا هذه في شيء — نعم قد عوّدتُك ان ادلّك على الطريق. وانهج لك الدرب وافتح امامك الباب. وادع السلوك الك. والسير بحسب وسعك اليك. — يخطر على ذهني الساعةَ — الابياتُ الشهيره التي اعجب بها الشريف المرتضى في اماليه وهي من حسنات الحسن بن هاني. وقال انها لم تبلغ العشرين ، وقد نسب في اولّهـا ثم وصف الناقة احسن وصف ثم مــدح واقتضى حاجته ، كل ذلك بطبع يتدفق ، ورونق يترقرق ، وسهولة وجزاله (وكلمتي) غبَّ كلام الشريف : ان كل واحد من ذوي المعلقات قد نسب وشبَّب ، ووصف وامتدح ، وجاء بما يناهز المائة او اكثر ولكن ضع هذه الاشلاخ الضخمه ، والاسناخ الفخمه ، الى جنب تلك القطعة الصغرى والجمانة الغرا ، وانظر ايّهما اقوى على تحريك اريحيتك ، واعمل في اِثارة عواطفك وانارة مشاعرك ، وايّهما اقدر على هزتك ونشاطك ، وفرحك وانبساطك ، أمن يأتيك بمثل قوله

يادار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دارعبلة واسلمي الى ان يقول

ماراعني الا حمولة اهلها وسط الديار تسفحبّ الخمخم

ام من يُحيّيك بمثل قوله

يامنّة اِمتنَّهـا السكـرُ ماينقـضي مني لهـا الشكـر

يثني اليك بهـا سـوالفـه رشأ صنـاعـة عينـه السحـر

ظلت حميا الكاس تبسطنا حتى تهتك بيننا الستر
في مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلّت الخمر

الى ان يقول في الناقه

واقد تجوب بي الفلاة اذا صام النهار وقالت العفر
شدنيّة رعت الحمى فأتت مِلء الحبال كانها قصر

إستوقفني هذا التشبيه البديع ، والتمثيل البارع ، والسبك الانيق والمعنى الجزل واللفظ الفحل ، فقلت لله درّه ، انّى اهتدى له ومن اين اُوحي اليه ، وممن اقتبسه وعمن اخذه فان العبسيّ وان قال في اوّل معلقته

فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدن لاقضي حاجة المتلوم

ولكن هيهات اين هذا من ذاك ، اين (الفدن) من (القصر) واين (ناقتي) من (شدنية) اين (ملء الحبال) واين (رعت الحمى) وكل هذه مما زاد المعنى فخامه واللفظ حلاوه فصارت كل كلمة تعتنق اختها وكل جملة ترتبط اشد الربط بما بعدها وكم ترى من التفاوت بين (رعت الحمى فاتت ملء الحبال) وبين قوله (وقفت فيها ناقتي وكانها فدن) ما اشدّ الربط بين تينك الجملتين . وما اشد البتل والقلق بين هاتين وهب أن ابن هاني اخذ تشبيه الناقه بالفدن اي (القصر) من العبسي ولكن من اين اخذ حسن السبك وانتخاب تلك الالفاظ التي هي على ما فيها من الجزالة والنفاسه اخذت بأعنة السهولة والسلاسه ، نعم وبينا الفكرة في فسحة هذه السانحه · غادية ورايحه · اِذ بهاجسٍ خلف الشغاف · يهتف بي من وراء سجاف تاليا من الوحي الكريم والفرقان العظيم · قوله جل شأنه (وله الجواري المنشئات في البحر كالاعلام) فهدء بالي وانقطع تعجبي وسوء الي · وعلمت انها هي تلك الروح من البلاغة التي بعثتها قداسة الانفاس المحمديه في الامة العربيه · واستنزلتها من شعف الهضاب الى ريف الوهاد واخرجتها من اشواك القتاد وحسك الغيلان · الى نضرة النسرين ونفحة العَلَجان · اذاً فللفرقان (ابّد الله احكامه) اليد البيضا والمنة العظمى والصنيعة الكبرى على كل ناطق بالضاد من عربي ومتعرب وهجين وهجان وصميم ودخيل ولولاه لكُنّا الى يومنا هذا كاعجم طمطم · او كالبهم نرعى وسط البلاد حب الخمخم · بادين ننتشق ريّا القرنفل · بين الدخول فحومل — هذا ما اردنا بيانه من حسن اثر البلاغه القرآنيه وعظيم فضلها وجميل صنيعها على اهل هذا اللسان بما لاينكره الّا مكابر ، اوجاهل

قاصر ، والله المستعان على كليهما وهو وليُّ التوفيق لهما ان شاء الله

﴿ الامر الثاني ﴾ اننا · ايُّها المتكرم بالنظر الى دعوتنا هذه · قد اكثرنا عليك من كلمات — اعجاز — فصاحه — بلاغه واحسبك تقول حبذا لو ابدلتنا عن تكرير الفاظها بتفسير معانيها · وشرح حقايقها وملاكاتها · وانا اريد في موقفي هذا ان المع الى ذلك ولكني لااريد ان اسرد عليك مصطلحات اهل المعاني والبيان ومجادلات التفتازاني وشريف جرجان · ولا اقول لك قال (السكاكي) في مفتاحه والشيرازي في شرحه وفلان في ايضاحه والآخر في تلخيصه (كلا) وان كنت (والفضل لله) اعرف لحنهم واعلم فنّهم وصرفت لجين ماذهب من ايامي فيه وانما احاول ان نعود في فهم هذه الحروف الى اوّل عهودها وقبل طرو هذه الاصطلاحات عليها ومجاذبات الافكار فيها · نريد ان نفهمها كما كان يفهمها اباؤنا العرب الاولون يوم كان العلم غريزة فيهم · وطباعا في صدورهم لافي سطورهم · مكتبتُهم الفكر ومدرستهم الذكر · واعلمُ اني ان سلكت من هذا الطريق كان احدى فوايد ذلك اني انتهي بك الى الغايه من اقرب الطرق واسهل المسالك وان تجاوزتها الى غيرها كنت قد اجهدتك ولا اعلم بعد الجهد هل ظفرت بشيء طايل ام لا — اما الاعجاز فلا احسبك بعد الوقوف على جميع ماقدمناه الا متمليا منه مضطلعا بعرفانه واقفا على كنه حقيقته · فاذا اردت الايجاز عن حقيقة الاعجاز · فقل هو الكلام الذي يعجز عامة اهل اللسان عن الاتيان بمثله او الاتيان بما هو من سنخه وعلى طرزه واسلوبه · كهذا الاعجاز المحمدي فانه وراء اعجازه اهل اللسان عن مباراته — ادهشهم واعجزهم عن معرفة نزعته وجنسيته فلم يعرفوا (والى الآن) انه من قبيل الشعرا والخطب او الرسايل او الرَجز او الهزج او غير ذلك من انواع الكلام وأمّهات ابوابه نعم ماعرفوا سوى انه خارج عن كل تلك الانواع غير داخل في شيء من هاتيك الابواب · مااصابوا من حقيقته سوى انهم مااصابوها · وما عرفوا غير انها غريبة ماعرفوها — فهذا ايجاز الكلام عن الاعجاز ، امّا الفصاحة فهي سواء في الكلمة او الكلام او المتكلم لاتعدو ان تكون وجهاً واحدا ومعنى فذاً · تلتقي وتجتمع عنده بعد القاء خصوصيات المحال المختلفه والظروف المتغايره ثم اذا رجعنا الى معاجم اللغويين لم نجد الفصاحة اكثر من الابانة والايضاح والكشف وماقارب ذلك من الالفاظ المتفقه المداليل الواضحة المفاهيم التي تعرّف الاشياء بجامعها العام وقدرها المشترك فتحكي الحقيقة من وجه وتغمُّ عنها من وجوه امّا كلمات الفصحاء

والبلغاء عنها فكلٌّ يشير الى وجهة . وينظر الى ناحيه . وقلّ من اصاب الثغره ودل على النقطة المركزيه وانبأ عن الحقيقة التي هي حجر الاساس وزيت النبراس — والكلام فيها كالكلام في رديفتها وشقيقتها (البلاغه) التي تتحد معها في الجوهر ويقع الميز بينهما ببعض الملاحظات ومما يشجيني ويحزنني اني احسُّ لكل من البلاغة والفصاحة معنى احسبه هو تمام حقيقتهما وجوهر معناهما ولكن لا ابلغ الى قول يكشف بايجاز تمام الكشف عنه ويحكي تمام الحقيقة منه . اريد الفاظا تجسمه للعيان . وتبرزه مشاهدا الى الحس . حتى يهمّ السامع ان يمسكه بيده ويقبض عليه بكفه ويحسب آن سماعه باذنه . انه قد نظر اليه بعينه ورآه بشخصه . اريد مثل هذه الدوال . والتمس ما يكون بتلك الصفة من الاقوال . نعم وبالاسف اريدها . ولا اجدها . والتمسها ولا احسُّها . وذلك لاني لم أُوهب تلك المنحه . ولم أُدفع الى تلك الفسحه . ولا اوتيت من البلاغة ما استطيع الكشف عنها على تلك الصفه . ولكن نظرا لما قيل (لا تمتنع من بذل القليل فان العدم اقلُّ منه) نبدي كلمتنا الوجيزه في ذلك بلغتْ ذلك المبلغ الذي نرومه من تصوير البلاغة ام لا . كشفتْ عن تمام الحقيقة ام لا : وانت فتح الله لك كنوز العلم . تعلم انه ليس كل من كشف عن مراده . وابان عمّا في ضميره . واوضح عن كمين مقاصده ، يعدُّ في الناس من ذوي الفصاحة واولي البيان ، ولا كل من بلّغ السامع كلاما يشتمل على معنى من المعاني يليق ان ينظم في صف البلغاء وارباب اللسان ، كما تعلم احسن العلم ان البلاغة والفصاحة ليست من الصفات التي اختصّها الله باللسان العربي وحجرها على ساير الامم ، وخوّلها لابناء اسماعيل وحرّمها على ساير ولد آدم (كلا) فانها من المواهب لنوع الانسان ولجميع الامم وان توهم الاختصاص بعض القاصرين ، ومن ذا يجهل ان لكل امة ولسان نوع من البلاغة والبيان هو في الحقيقة واللب عين ذلك النوع العام ونفس تلك الصفة الساريه وان تعددت الطرق والسبل واختلفت الكيفيات والبواعث والمقتضيات ، — الفصاحة والبلاغة بلّغك الله امانيك اذا حللتها بما يسمّى اليوم بالتحليل الكيماوي . لم تجدها سواء في فصاحة الكلمه او بلاغة الكلام او المتكلم الّا تلك الحروف والمقاطيع الملفوظه او المرسومه التي اذا سمعها اهل ذلك اللسان كشفت لهم عن المراد كشفا يتصرف بعناصرة المعنى واللفظ معا تصرفا جثمانيا في البابهم ومشاعرهم بل في كل كيانهم لا اقول تصرُّف ابنة الراح في الارواح التي تحتجب عندها العقول او تزول

كلاّ بل يحدث فيهم سماع تلك الالفاظ هزة واريحيَّة ونشاطا في العقول ، وخفَّة في الارواح ، ولطفا في الضمير ، كما يحدث مثل ذلك عند استماع نغمات الاوتار وتناسب وقع الحان الموسيقى ورنات المثالث والمثاني لاريحيّ الطبع الخفيف الروح اللطيف الجوهر (واجلى بيانا) ان الكلام البليغ هو الذي يحدث في ارباب العرفان من اهل اللسان حالة هي كالتي تحدث فيك عند الفرح والسرور والطرب والنشاط والجذل والانبساط الكلام البليغ هو الذي يتصرف في الارواح والاجسام تصرفا روحيًّا طبيعيا اريد انه يعمل في الروح وفي الطبيعه وفي العقل والماده كلٌّ على حسبه ومن سنخ ما يليق به ولذلك تجده عند كل امة وفي كل لسان ولكنه ذو عرض عريض ومقامات لعلّها لا تتناهى كعدم تناهي مراتب تاثيره في النفوس وتصرفه في الالباب والعقول شدة وضعفا على حسب حظه من البلاغه ومنزلته من معارجها المتراميه وابراجها الساميه وحظّ المستمع من عرفان ذلك ، ثم لم يبق عندي بعدُ لزيادة الايضاح عن هذا المعنى ولا استعين عليه الا بضرب الامثال له وسرد شيء من الشواهد عليه ، ايٌّ اريحيّ الطبع طاهر الذوق طيب الجوهر صافي اديم النفس صقيل مرآة الفكر يستمع لقوله تعالى (وعبادُ الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً واذا خاطبَهم الجاهلون قالوا سلاما) شرّف سمعك وبصرك بتلاوة هذه الآيات الى اخر السوره ، اقرأها بتدبر ، وتدبَّرها بتفهُّم وانظر هل تجد لها لوعة في قلبك ، وروعة في لبك ، وهزة في سوادك ، وفزة في فوادك انظر هل تنتفض اعضاؤك ، وتختلج عروقك وتتكهرب بالانتعاش شرايينك ومفاصلك ثم خذ صَعَدا في القرآن او صببا ، ويمينا منه او شمالا ، فرتّل شيئا من سورة يوسف فان وقع بصرك على قوله تعالى (وراودْته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي اكرم مثواي انه لا يفلح الظالمون) او قوله عز طوله (وقالتْ اُخرج عليهنَّ فلما رأينه اكبرنه وقلن حاشَ لله ماهذا بشرا انْ هذا الاَّ ملكٌ كريم) اواي آية شئت منها فاستوقف عندها فكرك ، واحضرها قلبك ولبك عساك تبلغ ما اريد بيانه واقصر عنه من معنى البلاغه ثم اذا اردت التوسع فمتّع الكريمتين منك — سمعك وبصرك — جعلها الله الوارثين منك — متّعهما بالحواميم ايّ واحدة شئت منها فاذا جئت الى سورة الاحقاف فقف عند قوله تعالى ﴿ واذكرْ اخا عادٍ اِذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النُّذُر من بين يديه ومن خلفهِ الاَّ تعبدوا الاَّ الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ حتى تنتهي الى آخر السورة من قوله تعالى

(فاصبر كما صبر اولو العزم من الرُسل ولا تستعجل لهم كانَّهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار . بلاغ فهل يُهلكُ الا القوم الفاسقون) — قف في قراءتها وتريَّث ولا تستعجل في تلاوتها . وانا واثق الك ببلوغ الغاية ونيـل البلغه والظفر بنهايات مبالغ البلاغه هنـاك تحس ان القول البليغ هو ما يبلغ بك الى الحالة التي تتصرف في كيانك تصرفا طبيعيا وتسري في كل مشـاعرك سيرا كهربائيا . الحالة التي تهزُّك من الارتياح هزة الافراح . وتعمل بك على سلامـة من عقلك فعل الراح بالارواح وهذا التصرف والتأثير قد يشتد ويقوى حسب القوابـل والفواعل حتى تظهر آثاره على الهيكل المحسوس والاعضاء الظاهره والبُنية المشهوده وهي التي سجد منها ذلك الاعرابي حين سمع قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر واعرض عن الجـاهلين) وقال سجدت لفصاحته . نعم بلاغة القرآن هي التي حملت جماعة من جبابرة قريش على السجود له او ما هو بمنزلته من الخضوع كما تواتر عن الوليد بن المغيره مما تقدم وسيأتي وكما وقع لجبير بن مطعم قال سمعت النبي يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ قوله تعالى (ام خُلقوا من غير شيء ام هم الخالقون) الى قوله (ام عندهم خزاين ربك ام هم المصيطرون) كاد قلبي يطير الى الاسلام وكما يروى عن عتبة بن ربيعه حين جاء النبي ليحاجَّه فتلى عليه النبي (ص) حم فصِلت فلما بلغ قوله تعالى (فان اعرضوا فقـل انذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عادٍ وثمود) امسك عتبة بيده على فم النـبي (ص) وناشده بالرحم ان يكف . ومثل هذا كثير وليس بغريب ولا عزيز النظير ء فانَّ كلام البشر قد يحظى بنصيب من البلاغة فيكون له شبه ذلك التأثير وهو الكلام الذي يتلاشى اذا قيس الى كلام الله العظيم تلاشي الذر في الق الشمس ويتمزق تمزق الدخان في عواصف النكبـاء ء لا احسب انه يغيب عن ذاكرتك سجود بعض العرب من عليَّة الشعراء عند سماعه قول عدي بن رقاع العاملي

تزجي اغنَّ كأن ابرة روقه قلم اصاب من الدواة مدادها

وقال للملأ الحضور بعد سجوده نحن نعرف عزايم الشعر ومواضع السجود منه معرفتكم امكنة السجود من القرآن ومواضع العزايم منه * هذا النفوذ والتأثـير من البلاغه هو الذي منح الشعراء والأدبيين الدالة على الملوك والخلفاء حتى صاروا يجلسون معهم على اسرَّة ملكهم وينادمونهم في اخص مجالسهم ويحاورونهم محاورة الانسان صديقه والشقيق شقيقه ثم يمنحونهم روابي الذهب من القناطير ء ويرضخون لهم البُـدر من

الدراهم والدنانير ء ولو ان الملوك انما تصطنع الشعراء وتبلغ بهم تلك المنزله من الأكرام والحفاوه لصرف مديحهم والثناء عليهم (وان حبّ الثناء سجية الانسان) وبالاخص الملوك · لو كان الشأن هو هذا ليس الّا لهان على الناس نيل تلك الرتب وبلوغ هاتيك المنزله ء بأن يجيء المادح ايًّا كان فيقول للملك انت شجاع كريم باسل ملك عظيم عادل ثم لايدع شيئًا من نعوت الثناء والاطراء الاّ ويتلوها عليه ليحتقب الألوف ويحتقر الصروف · كلاّ · ليس الشأن بذلك وانما بلغ البالغون تلك المراقي والمراتب بما حووه من البلاغة وحسن البيان وبديع الخطابه ولطايف الأساليب فكانت المُدّاح بحسن البيان تهزُّ الملوك هز الكماة عوالي المران · ويبعثونهم بحسن الاساليب الى الجود والندى · فينتفضون للعطاء كما انتفض العصفور بلّله الندى · ويستلبون منهم اعز الاشياء عليهم واحبّها اليهم قل لي بابيك ايّ عربي ولو كانت يده من صخر وقلبه من حجر يسمع فيه قول القايل

من البيض الوجوه بني سنان لوَ انّك تستضيء بهم اضاءوا
هم حلوا من الشرف المعلى ومن شرف العشيرة حيث شاءوا
فلو أن السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء

من ذا يسمعها في مدحه ولا تتدفق يده ويتشقق للعطاء قلبه وتتفجر بالجود انامله بل من ذا ينظر الى تابين ابي تمام لحمد بن حميد الطوسي بقوله

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة تقوم مقام النصر أن فاته النصر
وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
وقد كان فوت الموت سهلا فرده اليه الحفاظ المرُّ والخلق الوعر
فاثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من دون اخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد نسج ردائه فلم ينصرف الا واكفانه الاجر
تردّى ثياب الموت حمرا فما اتى له الليل الا وهي من سندس خضر

من ذا الذي ينظر الى هذا الشعر ولا يتأثر شعوره ء وتنبض حواسه وتختلج اسلاك فوءاده ونياط قلبه ء وفي الحق قول من قال ماما ت من رثي بهذا الشعر * ايّ ذي ذوق من معين الادآب والعربيه يسمع بعض العرب الاولين اذ يقول

ومما شجاني انها يوم اعرضت تولت ودمع العين في الجفن حاير
فلما اعادت من بعيد بنظرة اليَّ التفاتا اسلمته المحاجر

او قول البحتري بما يقرب منه

وقفنا والعيون مشغلات يغالب دمعها نظر كليل
نهته رقبة الواشين حتى تحيَّر لايغيض ولا يسيل

اوقول القايل من الشعر الخيالي

وقفنا صفوفا في الديار كانها صحايف ملقاة ونحن سطورها
يقول خليلي والظباء سوانح اهذي التي تهوى فقلت نظيرها
وقد قلتما لي ليس في الارض جنة اَما هذه فوق الركايب حورها
اراك الحمي قل لي بايّ وسيلة توسلت حتى قبَّلتك ثغورها
على رسلكم في الهجر اناً عصابة اذا ظفرتْ بالحبّ عفّ ضميرها

هذه الفرائد وما لا يحصى من امثالها التي هي مجسمة الانسجام والرقه واللاتي تكافأت بها المعاني والالفاظ في السلاسة والسلامه فاتحدت وحدة الارواح مع الاجسام. والراح بماء الغمام. الذي ينفذ تأثيرها في اعماق القلب ويخرق شغاف الفوءاد — من ذا يسمعها فلا يضع يده على جنانه. يتلمَّسه هل زال عن موضعه وزحف من مكانه ء من ذا ذاق جرعة من الآداب ولا يرق قلبه او يذوب اذا اصغى لقول العامري

ألستَ وعدتني ياقلب اني اذا ماتبتُ عن ليلى تتوب
فها انا تائب عن حب ليلى فمالك كلما ذكرت تذوب

هذاهو الشعر الذي تهفو له الضلوع ء و يرفُّ عليه ريحان القلوب كما قال الطائي

وكيف ولم يزل للشعرماء يرفُّ عليه ريحان القلوب

اتعجب من بشار وهو عند المهدي حين انشده اسماعيل المعروف (بابي العتاهيه) في مدحه

اتته الخلافة منقادة اليه تجرّر اذيالها
فلم تك تصلح الّا له ولم يك يصلح الّا لها
ولو لم تطعه بنات القلوب لما قبل الله اعمالها

فقال بشار لقايده ويحك انظر هل طار امير المؤمنين من سريره ام لا. هكذا تبلغ البلاغة من النفوس وتعمل في الالباب وتتصرف في العقول والاجسام.

وهذه البلاغة هي التي يستغني بها الكلام عن كل حلية وزينه ء وتنميق وزخرفه ء فيعود حسنه بذاته ء وصفاوءه بجوهره ء ورونقه ببهائه ء وبهجته بحقيقته ء ونفاسته بنفسه ءلا بتصنعات البديع ء وتكلف الترصيع والتوشيع ء والجناس والاستخدام

والتورية ومراعاة النظير وتشابه الاطراف وضرايبها من الانواع المصطلح عليها في ذلك الفن التي هي على الاكثر داعية انحطاط الكلام ، وذهاب رونقه وتكدير صفائه وتعكير مائه ، وتشعيث ديباجته ، وافتقاده لتلك الروعة والبهاء ، والاخذ بمجامع القلوب ، نعم (والحق يقال) لا انكر انّ من القريض وساير انواع الكلام ما يحظى بكلا الحسنين ، ويجمع كلتا المزيتين ، فيتضاعف حسنه وتزداد بهجته ، فيكون له حسن القلادة على جيد الحسناء (وفي عنق الحسناء يستحسن العقد) وهل ينكر اللطف والبراعة في مثل قول القايل

قلت للاهيف الـذي فضح الـ غصن كلام الوشاة لاينبغي لك
قـال قول الوشاة عندي ريح قلت اخشى ياغصن ان تستميلك

او قول الآخر* وقالوا به من اعين الناس نظرة نعم صدقوا عين الحبيب ونظرتي
او قول* قالوا وجسمك يوم البين صفه عسى نعوده قلت ياهل الوفا عود (وا)
او مثل* اتراك بالهجران حين فتكت في قلبي علمت بما يجنُّ فتكتني
او نظير* أترى يجودلنا ولو بسلامه من لم يزل للحرب لابس لامه

الى ما لا احصيه من امثالها وليس هذا المقام موضع الاكثار منه — ولكن كل ماهو من ذلك القبيل فليس حظه من الحسن الّا قدر حظّه من قلة التكلف وسلامة السبك وقوة السرد وصحة النسج ، وليس ملاك حسنه او فتشت عليه واعملت الدقة فيه وامعنت النظر به هو اشتماله على تلك النكتة البديعه لاننا نجدها كثيرا في غير هذا السبك وليس لها هذا الُحسن وقد نجد الحسن اعلى منها بكثير في كلامٍ خلى منها ومن كل اخواتها والدوران كما قيل (يقتضي العليّه) ثم . مهما بلغ ذلك النوع من الشعر البديعي مبالغ الحسن ومواضع الاعجاب فاين هو من الشعر الجاري جري ماء السحاب . المسبوك سبك التبر المذاب . على صرافة الطبع وحركة الشعور وتصوير سذاجة الاحساس والوجدان الذي يعمل في النفس تلك الحال التي وصفناها وما كشفناها بتمام حقيقتها

اين ذلك الشعر من مثل قول الحماسي

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا سوى ان يقولوا انني لك عاشق
نعم صدق الواشون انت حبيبة اليَّ وان لم تصف منك الخلايق

او مثل قوله واذكر ايام الحمى ثم انثني على كبدي من خشيةٍ ان تصدعا

الى تمام الابيات ، ايّ ضارب من العربية بسهم ، او ذي حظوة منها بنصيب ، يقيس هـذا النمط بذلك ، ويساوي في الحكم بينها ، واين التطبع من المطبوع

واللوءلوء الجمان من المصنوع ء اللبيب يجد انّ ذاك لايتجاوز السطوح والاطراف وهذا ينفذ الى اعماق القلب من الشغاف (والغرض الاقصى) والكلمة الاخيره ء ان ليس مدار الحسن في الكلام الأعلى البلاغه وليس ملاك البلاغة والبيان الا التناسب والتناسق الذي هو جوهر الحسن والملاحة والجمال في جميع الموجودات في الصور او الاصوات وفي النغمات والايقاعات وفي كل شيء ء امّا البديع فان انضم الى التناسب ظهر له حسن ليس هو اكثر من التناسب نفسه والّا فيزيد الكلام فهاهة وفجاجة وركة وبروده ء اذاً فالبديع ساقط بالمره وليس بالبديع شرف الكلام ء وسموّ طبقاته وتمايز انواعه ء فانه وان كان له حظ ولكنما الملاك والجوهر في غيره ء كيف وهذا شيخ الصناعه ابو تمام تراه اذا التزم ان يتنوع في كلامه وينحو الى صنعة البديع انحطّ في الاكثر وذهب رونق شعره كما تراه في قوله

ايام تدمي عينه تلك الدمى فيها وتقمر لبّه الاقمار
اذ لا صدوق ولا كنود اسماهما كالمعنيين ولا نوار نوار

دون ما اذا رفض ذلك وارسل نفسه على سجيتها وفكّها من اغلال الصناعة وقيودها كما تراه في قوله انّ عهدا لوتعلمان ذميما ان تناما عن ليلتي او تنيما

كنت ارعى البدور حتى اذا ما فارقوني امسيت ارعى النجوما

الى تمام الابيات بل تمام القصيده التي هي من جوهريات قصايده. فراجع. نعم وليس كل مصنوع خيراً من مطبوع ولا كل بنات الطبيعه ابهج من منشئات الصناعه ء بل لكل مقام يحتاج تمييزه الى ذهن ثاقب وفكرة نافذه وسبر ناقد وعمل طويل ليس بالسهل ولا بالقليل وكان بودي ان استوسع البحث في هذا الموضوع حتى اوفّيه حقه بحيث اعيده اجلى من الق الفلق ء ولكن الاستطراد لا يفسح لنا باكثر من هذا كيف والقصد المهم بالاصالة غيره

نعم وحسبك تلك الشذرة الصغرى من القول عن البيان والبلاغه · فاننا وان لم نوفهما حقّهما من التوسعة في الشرح والايضاح والاستبحار في نقل الشواهد والامثال والكنّا لا نشك اننا على قلة ما استطردناه قد خرجنا عن الموضوع وانحرفنا عن الخطّه وان هي الا رشحة شطّ بها القلم وشطح ء حين طفى لج البيان وطفح ء ونعود الى سياقة الكلام

﴿ الامر الثالث ﴾ اما وعزّة جلال الله لولا ان هذا المعجز المحمدي والفرقان الأجدي كل معجزاته معجبه وجميع آياته باهره وكل كراماته كبر ء وعامة عباراته عبر ء تحسب كل آية اكبر من اختها وكل معجزة منه اجلى من غيرها ء لولا ذلك

لقلت ان اكبر آية وبرهان واعظم معجزة لهذا القرآن المعجزه التي لو تأملها المكابر لخرس عندها. ولم يستطع انكارها وجحدها. الا — وهي قوله تعالى ﴿ انَّا نحن نزَّلنا الذكر وانَّا له لحافظون ﴾ تدبَّر ايها القارىء الكريم والطِف فكرك وانظر في فلسفة اعمار الأمم ولغاتها وحياتها ومماتها ، ونشوها ونموها ثم انقراضها واعطف الفكرة على اديانها وكتبها المقدسه انظر كيف اضمحلت أُسسها وزالت اصولها ، وتلاشت او ايلها بالترجمة والتبديل والتغيير والتحويل من العبرانيه الى السريانيه الى اليونانيه وهكذا حتى صارت العوبة للبشر ، وكادان لا يبقى من حقايقها الالهية عين ولا اثر ، وصارت كل امة تصورها على ما تريد وتطبعها على ما تشاء وتنشرها على ما تشتهي فتوراة اليهود غير توراة النصارى والاناجيل قبل قرون غير اناجيل هذه العصور ، ولو اردنا شرح ذلك على التفصيل لطال بنا الكلام واتَّسعت معنا الخطه ، ولكن هو على اجماله مما لا ريب فيه ولا ينكره الاَّ مكابر او قاصر ، امَّا هذا القرآن فقد وعد الله بحفظه وكلائته ونصره (والله لا يخلف الميعاد) قد وفى بما وعد وصدق بما ضمن ، حفَظَ الله هذا الدين بحفظ القرآن الكريم وحفظ القرآن الكريم بحفظ اللغة العربيه — وانت اذا امعنت النظر والسبر في تأريخ اللغات لاتجد لغة دامت حياتها وطال عمرها على اصولها الاولى كطول حياة هذه اللغة لاتجد لغة من اللغات دامت موادها وهيآتها وتراكيبها اكثر من عشرين قرنا لا يزال في كل عصر وبرهة ملايين من البشر معنيين بها باحثين فيها مرتاحين اليها قايمين بنشر المؤلفات الطايله والمعاجم الحافلة فيها فلم تعدم انصارا واعوانا حتى من الامم البعيدة اشد البعد عنها المنفصلة بكل الفواصل منها من الديالمة والاتراك والسلجوقيه والغزنوية والسامانيه والمغولية وغير هؤلاء من عناصر شتى وشعوب متباعده كل هؤلاء الدول والملوك ماعتموا ان عادوا من اكبر المساعدين والمجاهدين في توطيد دعايم العربيه ومدّرواقها وتوسعة نطاقها وبسط اديمها ، وحفظ قديمها ، وهم على ماكان لهم من بسطة الملك وسعة السلطان ونفوذ الامر والنهي يرتاحون اليها طبعا ، ويحملون الناس وانفسهم عليها اختيارا ، من دون دافع قاهر ، ولاشافع قاسر ، اذ بايديهم ازمّة القسر والقهر . واليهم يرجع النهي والامر . فلم تعمل فيهم نواميس العصبية والجنسيه ، ولم تنبض فيهم النوابض بالميل الى اللغة القوميه ، فصاروا يعافون لغتهم ويهجرون السنتهم . وينصبغون بصبغة هذه اللغة الكريمه ، واللهجة القويمه . وعندها تساوى العربي والمستعرب . والدخيل والاصيل . والحليف

والصميم · والحديث والقديم · والكل سواء في المغايرة عليها والمحاماة لها ، والذب والدفاع عنها ، وبذل النفس والنفيس في نشرها ونصرها وعزتها ومنعتها اتر تاب في ذلك وانت ترى اكبر المؤلفين والاختصاصيين في نشر العلوم والآداب العربيه من صدر الاسلام الى عدة قرون كلهم كامثال ابي معاذ الهروي وابي حاتم السجستاني وابي علي الفارسي واحمد بن فارس القزويني والصاحب بن عباد الطالقاني والخوارزمي والهمداني ثم الجوهري والزمخشري والجرجاني والفيروزبادي وخلق كثير لا احصي عدتهم الا بعدّاد· دع ذوي الموسوعات كالفارابي وابن سينا والغزالي والتفتازاني والبيضاوي واما بين ذلك تفوت العد ويقصرونها الحد · قل لي بابيك والشرف · ايّ لغة صنعت لها العناية هذا الصنع · ولطُفتْ بها هذا اللطف · ومنحتها هذه المِنح · وسخَّرت مستعمراتها لخدمتها هذا التسخير · هذه الامم العادية القدامى اَمامَك كلُّها · واللغات نصبَ سمعك وبصرك جميعها · هذه اليونانيه والفارسيه التي كانتا مهد العلوم في الغرب والشرق · هذه الهندية والصينيه هذه الرومانيه والآرامية والقازانيه والطورانيه والاريانيه · انظر هل تجد في شيء منها لمحة من هذه العظمة والفخامه والعزة والكرامه هل تجد امة اخرى سعت هذا السعي لترويج لغة غيرها · وبذل تلك العناية الباهرة فيها · افليس هذه الجلية الباهره والقضية الظاهره · والقصة القاهره · من معجزات هذا القرآن الكريم والفرقان العظيم اليست هي احدى اعلام نبوته واخباره عن الغيب · اليست هي من اسرار كريمة قوله تعالى ﴿ انا نحن نزّلنا الذكر وانّا له لحافظون ﴾ اليست هذه هي الدعوى التي ما انفك صكُّ الليالي والايام وسجلُّ الكون يُملي على الملوين دلايل صدقها وشواهد صحتها ويجعلها من اجلى الحقايق الراهنه فترى الغريب والغربي والجنيب والاجنبي يسعى في نشر موضوعاتها ويحتفل بمؤلفاتها فهو عسيف العربية من حيث يدري ولا يدري ، والعاملين عليها من حيث يعلم ولا يعلم ، وكان ذلك من اعظم عنايات الله في دينه واكبر نعمه على عباده ، فقد كانت هذه اللغة من اقوى العرى والروابط لحفظ الجامعة الاسلاميه بين تلك الامم المختلفه والشعوب المتفرقه والعناصر الشتى وبحفظ تلك الجامعه بلغ الاسلام اوج عزه ونزل في برج ارتقائه · وحلَّ في سماء علائه واعلى سمائه · فكانت تجمعهم على تباعد ما بينهم جامعة اللغة والدين وهاتان الجامعتانِ هما الداعيتان لكل جامعة ووحدة من الاخلاق والآداب والعادات والعبادات وساير النواميس ادبية وماديه · وبذلك تصبح تلك الاعضاء المتفرقه والاشلاء المتشتته

كجسد واحد يحافظ على كيانه وصحته وسلامته وكل يؤدي وظيفته على المنفعة المتبادله كاجتماع اللحم والشحم والدم والعظم والعروق والشرايين والغضاريف وصيرورتها شيئا واحدا وانسانا كاملا يحفظ بعضه بعضا ويحامي بعضه عن بعض وينفع بعضه الآخر ويتألم سايره لالم عضو منه . نعم بذلك تصير المتغايرات . مرتبطات والمتفرقات مجتمعات فهذا عين وتلك اذن وهذا يد وتلك رجل تحف بقلب واحد اهوآؤها متفقه وآراؤها مجتمعه تحسبهم شتى وهم جميع . وتخالهم اوزاع وهم سواء على العكس مما هم به اليوم (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) وتظنهم احيا . وهم موتى كاعضاء مقطعة واشلاء موزعة لا رابطة تجمعهم ولا جامعة تربطهم . حتى حل بالمسلمين ما تراه . حل بهم البلاء الذي عيانه اكبر من وصفه ونعيه اكثر من نعته . ولذلك علل واسباب شتى لا اغالي لو قلت اكبرها سلخ اللغة العربيه عن جسم المالك الاسلاميه ونبذها وراءهم ظهريا . حتى انحلّت تلك الجامعه . ووهت تلك العقده واصبح ذلك الجسم الواحد مقطع الاعضاء متبتر العلايق . تركوا اللغة العربيه تصرخ الى الله من هجرها وقهرها وتستغيث بالاغيار والاجانب في استحياء رمقها واستبقاء لمظة من حياتها . وهذه هى النقطة الاساسيه والجوهرة السياسيه التي كان يلزم الاهتمام في المحافظة عليها قبل كل شيء ومن تضييعها تلاشت الممالك الاسلامية في شرق الارض وغربها . وسرى الداء الى قلبها . نعم اقول ضاع ملك الاسلام . ودالت دوله . بذلك ولا اقول ضاع الاسلام (لا سمح الله) فان الله قد تكفل بحفظه وتعهد بنصره ومهما نسيت من شيء . فلا انسى هجوم المغول والتتار على ممالك الاسلام يوم نسفوها نسفا وتركوها قاعا صفصفا ومحقوا آية الدوله العربيه والخلافة الاسلاميه من صحيفة الوجود . ثم ما عتموا اولئك انفسهم أنْ قامت منهم دولٌ واسعه فيها الخاقان والقهرمان من (سعيد) وخدا (بنده) و (تيمور) وامثال اولئك النفر من اساطين السلاطين واراكين الملوك ما عتموا ان اصبحوا من اكبر الحماة والسعاة لمدّ باع الاسلام وتأثيل دوحته وحماية سرحته فالاسلام دين الله . والله اولى واعلم بحفظ دينه وانما اللوعة والنعي على المسلمين مخافة ان يهملوا العربية فيفلت كتاب الله من ايديهم ويتقلص ظل الاسلام عن رؤوسهم ويمدّه الله سبحانه على بلاد من يشاء من عباده ثم يعود هؤلاء المسلمون خولا ومماليك لمن يسومهم سوء الخسف ويجرّعهم مصبَّرة الحتف . يعود بنو اسماعيل كبني اسرائيل في سلطة من يقتّل ابناءهم ويستحيي نساءهم ويملك ارضهم وديارهم ذلك بما كسبت ايديهم وما ربك بظلام للعبيد

فالى العربية الى العربية ايها المسلمون جميعا . فحفظ العربية حفظ القرآن . وحفظ القرآن حفظ الاسلام . وحفظ الاسلام هو حفظ عزكم ودوام ملككم وبقاء كيانكم وصون جامعتكم وحصون منعتكم وسياج شرف استقلالكم . واطار قلاع حياتكم هذه دعوتي لكم ونصيحتي اليكم ، هذا هو القول . وعلى العزايم بعد الله التوفيق للعمل ان شاء الله (١)

وحيث بلغنا من امر البلاغة والعربية واعجاز القرآن الكريم الى هذا الحد ، فلنختم المقام بشكر من لا ينبغي لغيره الشكر والحمد ، والظن وظن الالمعي قمين ، وما هو الظن بل اليقين ، اني قد مخضت لك الزبده ، وخرجت اليك من العهده ، ونصحت لك ما استطعت ، ووصلت الرحم من عواطف الاخوة البشريه وما قطعت ولا انقطعت ، وصيرت لك المعقول عيانا ، حتى صرت تحسه وجدانا ، ﴿ ومن يهتدي فانما يهتدي لنفسه ومن اساء فعليها ﴾

نعم هناك نزعات بل نزغات ، ومشتبهات في زي شبهات ، يهمنا بل يلزمنا سردها ونقلها ، وعقدها وحلها ، وهي شبهات تجمعت من تفاريق كلمات الزنادقه والملحدين ، في كل دين ، المتجمعين من كل شوب واوب قد تلقاها بعض اغبياء باقي الملل بل اغويائهم ووسعوا لها صدرا رحيبا ، وعدوها على الاسلام ولسانه مطاعن وذنوبا ، وتلك الشبهات على انها في ذاتها اوهن من نسج العناكب ، واكذب من نار الحباحب ، تصدى زعماء الاسلام وعلماؤهم فنثروها هباء . وجعلوها على العدو عفاء ، وافردوا لها كتبا بالتصنيف ، وحشدوا فيها كل رزين وطفيف ، وايمتنا الاطهار

(١) ولنا في هذا الموضوع مقالات طائله ومنشئات مقنعه في الدعوة الى العربيه والحث عليها وبيان مزاياها ونفعها للمسلمين عامه مادة وادبا ودينا وسياسة . ما كانت الظروف السالفه والاحوال الآنفه تسعف بنشرها على صفحات الصحف واستجلائها على مجالي الكتب والمجلات وعسى الله سبحانه ان يهيء لها وقتا في الحال او المستقبل تستطيع ان تبلغ الاسماع وتجلى على الابصار وتؤدي خدمتها لابناء جلدتها وملتها ان شاء الله

سلام الله عليهم ما ابقوا حاجة الى قول قايل ، او طول متطاول ، انّ لهم في الذّب عن الأسلام ، بكلّ قاطعة الخصام ، اليد البيضا ، والنعمة العظمى ، والمنة الكبرى التي يعظم ذكرها ، ويجب شكرها ، بلى هم حجج الله في ارضه وسدنة دينه ، ودعايم يقينه ، وحملة براهينه ، وحرسة اسلامهِ وحفظة نواميسه . هم الحجة والحصام . هم الدين والاسلام ، هم المشاعر العظام ، هم البرء لكل سقام ، فيامتيقظ الهمة ، وثاقب العزمه ، في نيل المعارف ، ودرك الحقايق ، يا مشتعل الفطنه ، ومتشعشع الفطره ، الذي لا يرضى من الكمال بالوقف على حال ، والمكث على مثال ، ماضرّك يا هذا لو نقدت ولو يسيرا من عمرك ، وانفذت بالسعي ولو قليلا من سويعات دهرك ، في مراجعة ما صحّ من اخبارهم ، ومطالعة ما شعّ من اضواء انوارهم ، اشهد لو فعلت لتشهدنّ مشهدا عظيما ، ولتقفنّ منهم (ولهم الكرامه) موقفا كريما ، يغنيك بالشمس عن الشمع ، وبالبصر عن السمع ، فلا تحتاج بعده الى سوءال ، واذا ظفرت باهل البيت فما بالك بالتعريج على الاطلال

انّ تلك الشبهات ما هي الاّ من تشبث الغريق بالحشيش ، والاستبدال عن ظلّ العرش ضلالا بالعريش ، انّ من اقواها مقيساً اليها وان كان في ذاته اوهى واوهن ، واجلى وابين ، هو ماذكروه من تعداد جملة آيات زعموا تناقض بعضها مع بعض (معاذ الله) وانت هداك الله تعرف على الجمله قبل الخوض فيها وفي جواباتها ضعف هذا القول وخوره ووضوح فساده . انت الرجل المتضلع في البلاغه المرتوي من منهل الفضل حيث صفى ورده واساغه ، مهما شككت في شيء أفتشكّ في انّ جملة من الآيات بل جلّها ممّا ذكرناه وفصّلناه او قصرنا عنهُ ووقفنا دونهُ لارغبةً عنهُ بل عجزا ممّا لا مجال فيهِ حتى لذلك التوهم الفاسد ، والزعم الكاسد ، وانهُ بالمقام

الذي عرفتهُ ورأيتهُ من الاعجاز في البلاغه . وظهور الآيه ' وقيام الحجه وثبوت المعجزه ' وقطع المعذره ' ثم أليس ذلك كلهُ بكافٍ لك في صحة النبوّه ' والكشف عن الواقع ' وتجلي نفس الامر ' وبعد ثبوت هـذا الغرض اعني نبوة هـذا المتحدّي بهذا الكلام . المعجز النظام ' ووجوب تصديقه فيما يدّعيهِ من انهُ رسولٌ من الله الى خلقهِ لمكان تلك المعجزة المفروضه التي وقف العقل عندهـا ' ولم يجد بدّاً من الالتزام بلازمها ' وهو تصديق ربّها في دعوى نبوته بل في كل ما يدّعيه ممَّا هو دون الربوبيه — لضرورة العقل ببطلانها من الضعيف العاجز المخلوق الحادث الموجود بعد العدم وبعد هذا فايّ مجال لتلك الاعتراضات وزعم التناقضات ممن ثبتت نبوّته ' وفلجت حجته ' وقامت آيتهُ ' وهـل لورود ما يوهم ذلك من سبيل للعقل الاَّ الى الحكم بان المراد بهِ خلاف ظاهره ' ودون متبادره ' لحكمة معلومة او مجهوله ' وما اكثر ما نجهل ' واقلَّ ما نعلم ' فلا بدَّ من ان يؤوَّل احد الكلامين او كلاهما حتى يؤولا الى التصالح والتسالم ' ويرتفع ما يظهر بينهما من التضاد والتزاحم ' وما عجزنا عن تأويلهِ لو فُرض . نردّ امره الى الله ونبقيه على اجماله ' ونقول عقلنا يعجز عن حلّ عقاله ' ونعتقد على الجمله ان لا تنافي وتهافت في واقعه وان كنَّا لا نعلم بتفصيل امره . كل ذلك التزاما بما لا يسعنا دفعه من نبوّة ذلك النبي الثابت النبوة بالمعجزه التي لا اجمال فيها ولا اختلال . ولا توهَّم تناقض ولا تعارض وانما تلك امور حدثت بعد النبوّة ' وقامت بعد قيام المعجزه ' وسبيلهـا ما عرفت فتدبَّر يا هذا واغتنم فضل الله وفيضه ' هذا كلُّه لو تُرك العقل وحاله ' وخلّيَ وسبيله ' وبقي ونفسه ' وأُرسل وحكمه ' فكيف وقد ساعده على ذلك رفيقه ' ووافقه شقيقه وصرّح صاحب تلك المعجزة البيّنه في كلام

نفسه وكلام مرسله ، وملأ الملا منادياً في قومه ، يا قومي انّ في كلامي وكلام مُرسلي محكمات فخذوا بها واتّبعوها — وفيه متشابهات فلا تتعرّضوها فلستم المكلّفين بها والمعنيين منها ، بل لها اهل من خاصة عباد الله هم اعرف برموزها واشاراتها(١) ومعاني عباراتها ، فلا تتكلّفوها فتضلّوا وقد اشرب هذا المعنى واعلن به حتى لا تبقى لاحد حجة ، ولا تقوم له في الضلالة معذرة ، وقد اثبت ذلك في قانون شريعته ولسان معجزته منهُ قولهُ تعالى طوله (هُو الذي اَنزَلَ عليكَ الكتابَ منهُ آياتٌ مُحكَمَاتٌ هُنّ امُّ الكتابِ . وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فامَّا الذينَ في قُلوبِهم زَيْغٌ فيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنهُ اُبتغاءَ الفِتنَةِ وأُبتغَاءَ تأويلِهِ . وما يَعلمُ تأويلَه الا اللهُ والراسخونَ في العِلم . يقولُونَ كلٌّ مِنْ عِندِ ربّنا وما يتذكَّرُ الاّ أُولوُ الألباب) على الاوجه من العطف لا الاستئناف وتكون الجملة على الحال مثلها في قوله (ولقد امرُّ على اللئيم يسبُّني) — انظر لطف ما عقّب بِهِ هذه الآيه ايعازا بالغرض ورمزا الى القصد على الوجه الذي شرحناه فيما يلزم على المؤمنين من التسليم والتفويض الى الله في المتشابه وان التعرض له والخوض فيهِ قبل الوصول الى مقام الراسخين مظنَّة للزيغ وللضلاله ، والشك والجهاله . حيث قال جل شانه عن عباده الراسخين ، تعريضا بالجاهلين . (ربّنا لا تُزغ قلوبنَا بعدَ اذْ هَديتَنا وهَبْ لنا مِنْ لدُنكَ رَحمَةً اِنكَّ انتَ الوَّهاب) وقد بالغ في بيان ذلك حجَّة الله البالغه عليٌ (ع) في الخطبة المعروفه بخطبة الاشباح حيث يقول في اوايلها . فانظر أيُّها السايل فما دلَّك القرآنُ عليه من صفته فائتمّ بهِ واستضئ بنور هدايته وما كلَّفك الشيطان علمه ممَّا ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي (ص) وائمة الهدى اثره فكلْ علمه الى الله

(١) وهي من قبيل ما كان يسمونه بالشفره من الاصطلاح الخاص بين الملك وخاصة وزرائه

سبحانه فانّ ذلك منتهى حق الله عليك واعلمْ . انّ الراسخين في العلم هم الذين اغناهم عن اقتحام السُّدد المضروبة دون الغيوب الاقرارُ بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا بهِ علما وسمَّى تركهم التعمُّق فيما لم يكلِّفهم البحث عن كنههِ رسوخًا ' انتهى الغرض منها وهي وان كانت ظاهرة في قراءة الوقف ولكن ليس القصد هنا تحقيق هذه الجهة وانمَّا الغرض ان الشارع وامناءه قد اشاروا الى تلك المتشابهات ونهوا عن الخوض فيها والتعرض لها وابانوا انّ الشريعة بمحكماتها لا بمتشابهاتها — اما الحكمة والفلسفة في انزال المتشابه وجعله من القرآن المقصود بهِ الافهام والبيان ' فلا احسب انّ وجهها الظاهر يستطيع ان يحتجب عنك او يخفى عليك وفيهِ مقنع لك وكفايه عن تطلُّب الوجوه الخفيه وتكلف الاسرار والرموز التي لستُ انا او انت من اهلها ' ألستَ تعلم انّ القرآن لو كان كله ظاهرا مكشوفا بحيث يستوي في معرفته العالم والجاهل . والعالي والسافل . لبطل التفاضل بين الناس وسقطت المحنه . وماتت الخواطر . وذهب الاحتكاك وقد قيل ان مع الحاجه تقع الفكرة والحيله . ومع الكفايه يقع العجز والبلاده . وقالوا عيب الغنى انهُ يورث البله وفضيلة الفقر انه يبعث الحيله . وقال ابن صيفي ما يسرني انّني مكفيّ كلّ امر الدنيا قيل ولِمْ قال اكره عادة العجز .

الم تعلمي ان الثواء هو التوى   وانَّ بيوت العاجزين قبور

وما من علم من العلوم الّا وفيه ما يتضح ويجلّ وفيهِ ما يدقُّ ويشكل ليرتقي المتعلم فيها رتبة بعد رتبة حتى يبلغ منتهاه ويدرك اقصاه ولتكون للعالم فضيلة النظر وحسن الاستخراج ولتقع المثوبة من الله جل شانه على قدر العنايه ولو كان كلّ العلوم او كل القرآن شيئًا واحدا لم يكن عالم ولا

متعلم ولا خفيّ ولا جلي (والاشياء تعرف باضدادها) والخير يعرف بالشر والباطن بالظاهر ولولا ذلك لبطلت الحكمه وتعطّلت النواميس وكم في كلام الانبياء والحكماء والشعراء من العرب وغيرهم من لطيف معنى وضعوه تحت مغلّفات من الالفاظ ليبحث عنه العالم المقدّم . ويقصر عنه البليد المفدّم ويستخرجه النقاب المبرّز ولولا ذلك لوقفت حركة الافكار. وكنّا كالبهايم لانعرف سوى سواد الليل وبياض النهار. فالمتشابهات هي التي سنّتْ لنا شريعة البحث وحركة الفكر حتى بلغت العلوم الى مبالغها اليوم، ولعلّها ما بلغتْ شيئاً . هذه احدى الحكم في المتشابهات فاتتدبّرها ، لتعرف ما اكبرها . وعساك تصل الى ماهو ادقّ منها حكمه واعظم نعمه ولكن الا بذمة الانصاف عندك . وحرمة الحق والحقيقة عليك هل التمسُّك بتلك الاعتراضات والتشبث بتلك المزخرفات والخرافات هل الرجوع بعد ذلك كله الى هاتيك التي يُظنّ انها من المتعارضات وما هي منهُ وهيهات . الاّ محض زندقة والحاد . ومباهتة وعناد . امّا تعيين المحكم من المتشابه وضابطة كل منهما وميزانه وموارده وآياته فما اكثر ما كتب فيه المسلمون في تفاريق الكتب ومختلفات العلوم من الاصول والكلام والتفسير والحديث والدراية والعربية وغير ذلك اصالة واستطرادا فصولا وابوابا وماقنعوا بجميع ذلك حتى افردوه بالتاليف ووحّدوه بالتصنيف فمن جميل ما فيه لعلماء الاماميه كتاب المحكم والمتشابه لابن شهراشوب من علماء القرن الرابع من تلامذة سيدنا الشريف المرتضى كما انّ لهذا السيد الشريف رسالة في ذلك ايضا ولكثير من امثالهم من الاساطين الاعلام وزعماء الاسلام شكر الله مساعيهم الجميله واياديهم الجليله

وبعد هذا فايُّ ردّ لك ايها المعترض بهااو ايراد عليها واي وجه للاعتراض فيها والاستناد

اليهاء وانت ياهذا الرجل الذي لاتتعرف ولا تعرف . وتعاند الحق ولا تنصف . بل ياايها المعترض المجادل المجالد بالباطل المتحامل على شريعة الاسلام حملك الله عليهما وهداك اليها انا اقوم لك بحجتك واقوّم عنك اود اعتراضك ومعارضتك واحرّر دعواك مع بينتك انّ الذي يضرُّ في جوهرما نرومه ونحن بصدده من اثبات النبوة المحمديه . والشريعة الاسلاميه بعد تمسكنا لها بكتاب الله الكريم واعجازه وبلاغته انما هو احد امرين لاسواهما من اقاويلك واضاليلك ، امّا انكار اعجازه وادّعاء امكان معارضته وهذا بحث قد فرغنا منه بعد ايضاح سبيله واقامة دليله . واعطيناك النصفة فيه ودللناك على الحكم في خصومته وارشدناك الى الكتب المؤلفة لبيانه المتكفلة ببرهانه وقد املينا عليك منه حتى خشينا ملالك واشبعنا القول فيه حتى حذرنا استثقالك ، فلا تُعِدْ حديثه فاني اخشى ان ينفتق عليك في بيانه منّا السيل . ويأخذك الحرب والويل ، وليس لك بعده الا الامر الثاني ، وهو ان تقول نعم هو معجز ولا يمكن لاحد من العرب فضلا عن غيرهم معارضته . ولكن لايلزم من ذلك صدق المتحدي به في دعوى الرساله زاعماً انّ من الممكن ان يوجد شخص له قوة في البلاغه وملكة في البيان يفوق بها اهل زمانه ومن بعدهم ممن يشاركه في اصل تلك الصنعه . ويساويه في جوهر تلك الصفه . وان اختص هو من بينهم لقوة حدسه وشدة فطانته باختراع شيء واختلاق امر من عند نفسه ثم ينسبه الى الخالق ترويجاً لأمره . وتمهيداً لمنجح قصده ، وتوصلا لغرضه . وما اضمر في نيته ، وما اكثر ما اتفق في العالم من بدء الخليقة الى يومنا ممن اهتدى الى اختراع شيء اختص به وامتاز باستكشافه من بين ابناء جنسه ومن تلقاء نفسه علماً او صنعة او آلة او غير ذلك سوى انهم ماتحدّوا به ولا صادموا اهل زمانهم فيه ذاك لعدم سنوح غرض خاص لهم يجعلون مخترعهم سلّما اليه وذريعة لنيله . وعليه فأيُّ دليل في هذا المعجز باصطلاحكم على صحة النبوه وصدق الدعوه . هذا اقصى مايحتج به لك ويُذبّ به عنك ، ويجعل سندا لدعواك الواهيه ، ويوجّه به حجتك الواهنه ، وظني انها وسيلة ماكنت بنفسك لتهتدي اليها ، وحيلة ماتكاد بصرف قريحتك لتقف عليها ، لقَّفتها لك باقوى ماتحتج به عن نفسك ولقفتُكَ ايّاها على حين انتزاحها عن حدسك وان كنت ترمي اليها من بُعد وترنو اليها من وراء ستر وتروم التعبير عنها ولا تحسن وتعنيها ولا تعيّن . وقد قمتُ عنك بجميع ذلك لتعلم اني لاآلونّ لك جهدي ، ولا اكتم عنك شيئاً من نصحي ، ولا اتحيّر مُتوانياً

في التحرّي ولا متراخياً في التوخي ولاتأخذني العصبية العمياء في التأبي الاّ عن دين الأمهات والآباء ولا اغمض الحق لي كان ام عليّ ولا افوّت الانصاف من يديّ والله جل شأنه وهو المالك يشهد مني على ذلك . وحيثُ عقدتُ لك العقده فاستمع هداك الله مقالتي في حلِّها . انّ هذا الذي تحملته عنك . وتكلّفته لك . لباطلٌ مزخرف وقول مسفسف . لايلبث على اوّل هبّة للحق ان يعود هباء . وتمسي ارضه خلاء . قد عقم شكلا . واندفع نقضاً وحلا . ﴿ اما النقض ﴾ فأني كنت اخشى من ركونك الى شُبَه الزنادقه وتعويلك عليها . واحذر ان تستميلك وانت غير ثابت القدم فتميل اليها . ياهذا انّ هذه المقالة البايده من اركان اصول الملاحده المنكرين لجميع المعجزات . ومطلق النبوّات لاتختص بالمعجز الاوحد . من فرقان محمد . (ص) فأنا ننقض عليك . ونعيد مقالتك تلك اليك . ونقول لك ان كنت يهوديا او نصرانيًّا انّ من الممكن في حق موسى ان يكون قد اتفق عنده من السحر ماابطل به سحر السحره . وفاق واستعلى به على جميع اولئك الجهابذة المهره . فانه زمان شوكة السحر وايام دولته فلعل جميع ما جاء به من المعجزات انواع وضروب من السحر قد اهتدى هو بجدة فطنته ولطف قريحته لاختراعها ثم حصل له مثل ذلك الغرض الخاص وعلم انهم يعجزون عنها لعدم معرفتهم بطرقها واسبابها فتحدّى بها على السحره ونسبها الى خالقه ترويجا لغرضه وتوصلا لمقاصده ومثل ذلك نقول في عيسى وانه طبيب حاذق كبقراط وجالينوس ونظرائهم من مناهزي عصره الذي هو مظهر دولة الطب وايام شوكته فمن الممكن ان يكون قد اهتدى لإختراع فذلكة طبيّه يبرءُ بها الاكمه والأبرص ويعيد بها روح الحياة الى بدن الميت زمناً قليلا ثم حصل له ذلك الغرض وقال انيّ طبيب روحانيء وابٌ او كما ترعم النصارى ربٌّ جسماني ءالى غير ذلك من معجزات الانبياء والرسل التي طبّقت العالم اشتهارا . ولم يتسع لأحد الاّ بالمباهتة لها انكارا . بل ستجدانّ الامر يتفاقم الى ماهو بالمحال الزم . وبالأعضال اعظم . من الكفر الفظيع . والقول الشنيع . من انكار الصانع ء ومباهتة الواقع ءاعاذنا الله واياك من كل ذاك ﴿ واما الحل ﴾ فهو انّا قد اشرنا لك فيما سبق من الفصول ورمزنا اليك في اثناء المباحث ان الخصومة بيننا لاتكاد تقف على حد . ولاتنتهي الى فصل . ولا تصل الى غاية . ولا يبلغ مسرى القول فيها الى نهايه . وهذا هو الشان في جميع المرافعات والمنازعات فانها لا تنفصل الا بالرجوع الى ثالث محكَّم .

او حاكم مسلَّم • كذلك الامر بيننا لاينقضي مالم نرفع امر تلك الخصومه ء الى حاكم هو عندنا وعندك مرضيٌّ الحكومه . مأمون العثره معلوم النصفه . غير جاير في حكمه . ولاجاهل في علمه ء الا وهو العقل الذي جعله الله تعالى الفيصل الحاكم في اصول الدين والعيار والمعيار لامثال تلك الموازين • ولو قلتَ نعم العقل كما ذكرت هو الفيصل الحاكم • والعـالم الوحيد في هذه العوالم • الذي لاترجع هـذه الخصومات الا اليه • ولا تقف الاّ بين يديه • نعم ولا تصدر بعين اليقين الا عن رآئه • ولا تنقضي في شرعة الانصاف ولا تنفصل الا بفصل قضائه • ولكن كيف لنا واَنّى . ومن اين يتهيأ ويتسنى معرفة حكم العقل لنا ولك وكلٌ يدّعيه • ويزعم انه هو الدليل له والمستند وعليه عوّل واعتمد • كما هو المشاهد المحسوس . في عامة النفوس . اذا جرت في عنان واستبقت في رهان . فقد سقط هذا الحاكم من البين . وظهر لكل راءٍ مافي هذا الميزان من العين • قلنا ما احسن ما لحنت به من الحجّة • وابين ماجئت به من النَصفه . والطف مااهتديت اليه من سلوك سبيل المجادله ء نعم ياهذا ان الامر لكما ذكرت • والحال على ماوصفت . ولكن تحسب اَنّ مَن اَبدع العقل قد جهّله وابطله من حيث علّمه وجعله • وهدّه من حيث اعدّه • واعدمه من حيث اوجده . وعزله ونكّبه من حيث نصره ونصبه ﴿ كلا وهيهات ﴾ انّ له ميزانا لايحيف . ومعيارا ليس بالطفيف . وعلما اوضح من ان يُجهل . وباباً اوسع من ان يُغلـق دون احد اويقفل ء ان عيار حكم العقل ووزانه وملاكه وكيانه . بعد مراجعة المرء نفسه ووجدانه اذا وقع في مضيق المجادله • ودُفع الى طريق الخصومة والمحاججه • وغمط فضله • ورُدّ عليه ماحكم به عقله • وذاك هو الإنتصار والإستظهار • بما حكم به العقلاء ممن لايجحد الخصم فضله • ولا ينكر عقله . في امثال ماخاضوا فيه وتدافعوا عليه • فأن الاشياء بنظايرها تعرف • وباواصرها تلحق وتوصف • وهل عصارة مازخرفناه عنك من واهن الشبهة وواهي الحجه ء الا القول (بالصدفه) حيث تقول عسى ان يكون قد اتفق لموسى من معرفة اسباب للسحر مالم يعثر عليه سحرة عصره • ولعيسى من الطب ماخفي على اطبّاء زمانه • ولمحمد (ص) من البلاغة ماعجز عنه بلغاء قومه • وهل هذا الا كقول من قال ان وجود العالم بالصدفة والبخت والاتفاق لا عن صنع صانع وتدبير واضع • واتقان حكمه ء وحصافة حلم . وسعة علم • وهناك قوم على اوليات الدهر واُخرياته ممن نتسالم على صحة عقولهم ورجاحة حلومهم • قد انكروا على اولئك اشدّ الانكار

واسقطوهم عن درجة الاعتبار ووسموهم بالسوفسطائيه وامثال كلماتهم * بالسفسطه يعنون انهم ينكرون البدايه الاوّليه ، والعلوم الفطريه ، وانهم يجحدون ضرورة عقولهم ، ويكابرون غرايز طباعهم ، وجليات وجدانهم ، فحكم العقلاء في كل مقام او مثله . هو ميزان المرء في حكم عقله ، ومسبار صحته وسقمه ، ومعيار حجته على خصمه وهذا ميزان عادل ، وحكم فاصل ، لا يميل لسانه ، ولا يمين بيانه ، والخصم ان مال عليه بالحيف ، فليس له سوى السكوت او السيف ، نعم لا ارتاب في قلة من يهتدي في المناظرات ، الى الاشباه والنظاير واسباب المناسبات ، والى معرفة حكم العقلاء فيها ، سيما حيث لا تكون من البديهيات ولو ببعض مباديها ، امّا انحلال تلك الشبهة ووضوح انتكاثها فلو كان في الامكان شيء هو فوق البديهة بمكان لكان اياه ذلك بعد اقل التفات وادنى تأمّل ، والّا لبطلت الشرايع ، نعم ولاتّسع الخرق على الراقع ، وادّى الى انكار الصانع ، فعلى م تخصّه بالشريعة الاسلاميه والملة المحمديه اجل وهناك شيء آخر ، ان ما ذكرناه من كثرة المخترعين والمبدعين في العلوم والصنايع لقياس ما ادحضه وقول ما ارفضه واخفضه ، انك لتعلم مامن مخترع ممن تشير اليه الا وقد اهتدى الى ما اعجبك اختراعه بعد المثابرة والكفاح ، والغدوّ والرواح ، الّا بعد ان دوّخ الاساتيد ، والمدارس ، وبذل النفس والنفايس ، وتوخى المعامل والمعامل ، والجهابذة والافاضل ، في تلك الخطة التي اخترع فيها ، والجهة التي طال صوته منها ثم بعد الاختراع عُرف سبيله واتّضح للناس مأخذه ودليله ، واقتفى به من بعده فجاء بمثله اوزاد على ما عنده ، او صار مساعداله في بعض شؤون عمله او رفضه في تفاصيله او جمله ، الى غير ذلك مما قضت لك العاده ، وشهدت عندك به السيره ، امّا من خصصناهم بالنبوّه ، وآمنّا بهم لمكان المعجزه ، فهم بين ظهراني امّتهم ونصب عيون قومهم . وما كان ليخفى عليهم شيء من امرهم . ولا ليتوارى عنهم خفيّ احوالهم . من حين ترعرعهم الى زمن اكتهالهم . يجدون ويشهدون انهم ما مارسوا علما . ولا درسوا فنّا . ولا اختلفوا الى معلم . ولا وقفوا من البشر على مؤدب . سيما في سنخ تلك المعجزة التي تحدّوا اليها . واعتمدوا في دعوى النبوة عليها . وهم ما ابتدأوا بالدعوة الّا قومهم . ولا خصّوا باظهار المعجزات الا بلادهم . تثبيتاً للحجه وقطعا للمعاذير ليكون الغير بتصديقهم اولى . والبعيد اليهم ادنى . أفتراك سمعت بنبيٍّ صادق الدعوة بدء بغير قومه وظهر في غير اهله ، وقام في غير ابناء جلدته ، من ابراهيم وموسى

ومحمد وعيسى • وغيرهم صلوات الله عليهم جميعا من اولي العزم وغيرهم ، ثم ان تلك المعجزات ذهبت بذهابهم ، وزالت بزوالهم ، ما اثنيت بشان لهم من عامة البشر ، ولا احاطت بها جميع القوى والقُدر ، على كثرة من جاء بعدهم من الحذقة البارعين ، واصناف المخترعين ممن يضاد شريعتهم ، ويجهدان يبطل دعوتهم ، اتراك تجد من يضرب بعصاه البحر منبجسا ، فينشق للعبور فيه طريقا يبسا ، الى امثال ذلك مما تغني الشهرة عن ذكره ، بعد وضوح امره ، فالانبياء حين جاءوا بالممتنع العادي لمن عادته ودأبه ذاك كالذي يشبه السحر وليس به — من القاء العصا للسحرة الاذكياء واحياء الموتى لحذّاق الاطباء وبلاغة القرآن لمهرة البلغاء وعرف هؤلاء لمكانهم من الصنعه • ومحلّهم من اللباقة والفطنه ومنزلتهم من المهارة في ممارسة تلك السلعه • انّ ما جاء به اولئك النفر ما هو الّا من الصنع الذي تعجز عنه قوى البشر ويخرج عن حدّ التعلم الصناعي والتدرُّب الكسبي ، وانه لا محالة مصبوب عن طابع الهيّ وقالب الهاميّ ، وبعد كل ذلك لم يجدوا ملجأ الا الى التسليم والايمان ، والسكون والايقان ، اوالاصرار على الانكار ، من التعامي والخذلان ، لا عن حجة ولا برهان ، وعليه فلم تجد الانبياء لهم علاجا بسوى السيف فانه احق بالصلاح في الارض وانفى للحيف ، واحفظ للجامعه وادرء للشرور ، نعوذ بالله من مرديات الهوى • والعصبية العميا • ولا احسبك مع مساعفة التوفيق ومساعدة العنايه ، بعد جميع ما توخيناه لك من النصح وجهدنا فيه لك من البيان ، الّا وقد وقفت على اعظم الصرفة ، عن القول بالصدفه ، كما اتضح من جميع ذلك منتهى فساد القول بان اعجاز القرآن ليس هو بجوهره وذاته بل بالحجز عنه والصرفة دونه ، إن ذلك الّا راي عازب ، وقولٌ كاذب ، قول من لم يجعل الله له من معرفة البلاغة حظًّا ، ولا حصّل من شرايف حقايقها ومعانيها الا حكاية ولفظا فهذ ضايقه العجز والجهاله ، لجأ الى هذه المقاله ، وضل يخبط في امثال هذه الضلاله ، ولست ارى لهذه الشبهه صورة صدق ولباس حق ، يدعو الى توفُّر العناية في شانها وايضاح بطلانها ، سيما وكل من عني بهذا الشان ، وتصدى لعلم بلاغة القران ، قد شنّع على هذا القول وبالغ في بطلانه واحالته — على ان من نسب اليه ذلك لم يُنقل عنه الاستناد الى حجة ولا ضعيفه ، والتعويل على شبهة ولا سخيفة ، وانما هو راي رآه او احتمال ابداه • والسداد عزيز والصواب معوز ، الّا بتأييد من الله ولطف منه واليه نرغب في ذلك فانه منتهى الرغبه • ومحط نجاح كل حاجه • وهو ارحم الراحمين

فان اشتبه على متأدّب قاصر او شاعر او متشاعر او غرّ ناشي او مرمد البصيرة متلاشي، فصاحةُ القرآن واعجازه، وبراعته وايجازه، وما اشتمل عليه من باهر الصنعه، وعظيم القدره، فما عليك منه انت أيها الفاضل، المتدرب في طيّ هذه المراحل، انما يخبر عن نقصه، انما يدل على عجزه، انما يبين عن جهله، ويصرّح بسخافة فهمه، ويشير الى ركاكة عقله، ويومي الى خبوّ زنده ويرمي الى نبوّ طبعه، وانما قدّمنا الذي قدّمناه لِتعرف انّ ما ادعيناه من معرفة البليغ بعلو شأن القرآن وعجيب نظمه، وبديع تاليفه، امر لا يجوز غيره، ولا يحتمل سواه، ولا يتعدَّى من دونه، ولا يشتبه على ذي بصيره ولا يخيل عند اخي معرفه، وانّ هذا امر وان دقّ فله قوم يقبلونه علما، واهل يحيطون به فهما، ويعرّفونه اليك ان شئت، ويصوّرونه لديك ان اردت، ولكلّ عملٍ رجال، ولكل صنعة ناس، وفي كل فرقة عالم وجاهل ومتوسط، وجميع ماذكرناه في وجوه اعجازه وبلاغاته على انه غيض من فيض، وقطرة من بحر، كله ليس من خطتنا، ولا بالذي سيقت له وجيزتنا، وانما كان من حقنا ان نقول ان آية نبوة نبينا وامّ معجزاته التي بقيت بعده وفاقت معجزات الأنبياء قبله، هي اعجاز هذا الكتاب الذي جاء به ثم نحيل تفاصيل وجوه الاعجاز وما تثبت به هذه الدعوى الى الكتب المعنيَّة بهذا الشان. المؤلفة على ذلك العنوان. ولكن تدافع ما رايت من ذلك طبعا فلم استطع له دفعا، وطفح على القلم رشحٌ منه فجرى به وسال ولم املك له منعا، وختمُ الكلام معك ياذا الذي ترى انك من الصنف الاول الذى نحن في ايضاح الحق له، واثبات الحجة عليه بكل ماسردناه من الكلام انك ان كنت ممن هو بالصفة التي وصفناها من معرفة الفصاحات، والتحقق بمجاري البلاغات، فقد يكفيك التأمل، ويغنيك التصور، ويزعك عن

الجماح لجامُ التدّبر ، وان كنت في الصنعة ضعيفا ، وفي المعرفة ناقصا ، ومن هذه الرتبة عاريا ، او مقصرا مقلاّ . اوزِمنًا اشلاً ، اوموجعا مرمدا ، لا تفتح عينا ولا تمدُّ رجلا ولا تبسط يدا ، فلا بدّ لك من التقليد ، ولاغنى بك عن التسليم ، وقد قيل انّ الناقص في هذه الصنعه كالخارج منها ، والشادي فيها كالبائن عنها ، فهو من القصور بالمثابة التي يكون فيها من الصنف الثاني ونحن نريد ان نفتح لهُ بعون الله بابا ، ونقرّب عليه امرا ، ونفسح له طريقا كما جهدنا في مثل ذلك لقسيمه من الصنف الاول ، ونسعى له حتى نلحقه بهِ ونقرّبهُ منه بحيث لو تأمله حق تأمله ، وراعاه اتم مراعاته ، لأمكن ان يستدل به استدلال العالم ، ويستدرك فيه من القول مايشاء استدراك الناقد ، ان كان ممن يتطلَّب الحق بكل عزيمته ، ويسعى الى الصدق والصواب بكل جهده ويفرُّ من مضيق العصبية الى فسحة الانصاف بصرافة طبعه ، وسذاجة رائه ، والتوفيق والعناية من ورائنا وورائه ، فأقول لكلّ من طرأت عليه دعوتي ، وطارت بجناح الخلوص اليه نصيحتي ، من كافة الخلق وعامة البشر ، وكلهم الصنف الثاني اذ الأول في غاية الندره ، ومنتهى العزّة ، سيما في هذه الأعصار ، الذي هبَّت فيه على هشيم العرب والعربية ريحٌ ذات اعصار ، فتركت روضه يبابا ، وارضه خرابا ، وعسى ان يديل الله له بالنصره ، ويعيد له تلك الأسره . فلا تُهجْ دائي الدفين ، فقد تكفل الله بنصرة هذا الدين ، (١) ولسانه العربيّ المبين ، ولتعلمنّ نبأه بعد حين ،

(١) ينعشني وكل عربي صميم غير اصم مانستنشقه من اجواء (مصر) وارجائها التي تنفح اليوم ومن قبل بذلك النسيم الذي يبشر بانتعاش روح العربيه وعود حياتها الى عظامها الرفات التي مازالت منذ اكثر من قرن تسعى بسعيها المشكور في هذا السبيل من تمهيد السبل ونشر الكتب وفتح المدارس حتى اصبحت اليوم واللسان العربي هو لسان

انّ تسجيل الحجة والبيان على تلك الزمره فيما به عناية العامـه ، وكفاية الكافـه ، ان نقـول لكل واحد منهم صبا الى طلب الصواب ، وآب الى الوقوف على هذا الباب ، ياهذا انك مهما جهلت ماالأشياء فلست بجاهل ان العناية الأزليه ، والحكمة الألهيـه ، لم تقض بان تكون كل العلوم والصنائع والمعارف والحِرف وامثال ذلك عند كل واحد من الناس بل العناية قضت ان يكون الكلّ عند الكلّ ولا يخلـو الجميع من الجميع لانّ الجميع عند كل واحد من الجميع ، هذه سنة الله كما ترى في العباد والبلاد منذ بدء العالم ، ومن لدن عهد آدم ، والشرعة والمنهاج في ذلك ان يرجع كلٌّ فاقد علمٍ او صنعة او حرفة الى اهل الخبرة فيها . وذوي المهارة بها . حتى يعود من الاختلاف اليهم ، والتعويل في التعلُّم عليهم ، واحدا منهم او زعيما في الفضل عنهم ، والاّ فلامندوحة له عن التسليم ، ولامناص له عن التقليد ، فيجعل قولهم الى الواقع طريقا ، وبالاتباع حقيقا ، وان ابى عن هذا وقد فاته ذاك فقد خرج عن قوانـين الفطرة السليمه ، وموازين العقول المستقيمه ، وهذا ثالث الصنفين وهو الـذي لا يهمّنا امره ، ولا يعنينـا عرفانه ونكره ، وليس قصد كلامنا اليه ، ولا تاهفّنا عليه فانه قد اختار خطَّة الجهل لنفسه ، وابى الّا مكابرة وجدانه وحسه ، وبعدُ فامرُه الى الله جلّ شأنه ، (فانك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء) امّا انت ياطالب الحق ، وخاطب الصدق وصادق العزم ، العاجز عن معرفة الاعجاز بنفسك ، القاصر عن الاستطالة اليها بذاتك فلم يبق لك علينـا في هذا الشان من اثبات اعجاز القرآن ، الا ان ننبّهك على ماهو بديهيٌّ

التعليم في اكثر مدارسها فحيَّا الله مصر واهلها وحيَّا العربية وقومها وللمصريين المنَّة بذلك على كل ناطق بالضاد من هذه العصور

عندك حاضر لديك، يعترف لك به كل عالم وجاهل، ودانٍ وفاضل، ولا تجد فيه لك مخالفا، ولا ترى لك عنه صادا ولا صارفا، وهو ما اشرنا اليهِ غير مرة من عجز العرب عن معارضته، واذعان بلغائهم بتناهي بلاغته وانَّها فوق طوق البشر، واعلى من ان تنالها الفِكر، او تدخل في مُنَّة احد، او مهنة عدد ذي عُدد، وهذا اعني عدم معارضته العرب واعترافهم بالعجز واذعانهم بالقصور امر تشهد بهِ الضرورة والبداهه، والخبر والعيان لم ينقل خلافه، ولم يختلف نقلـه، مع توفر دواعي العرب كما عرفت على معارضته ومباهتته لتوفر دواعيهم على اسقاطهِ وحطِّهِ، كتوفر دواعي النقلة لو كان على نقلهِ وضبطه، سيما من الملل الخارجه التي لا تزال تتوخى مطاعن هذا الدين، وتتطلبه بالتعيير والتأفين، فانظر كيف بلغ الحال في الوضوح والقوة في المقامين، الى حيث لم يبق مجال لأولئك البلغاء من مهرة الكلام وفرسان البيان، الذين هم شرعوا شرايع البلاغة، ورفعوا اعلام الفصاحه وسنُّوا للناس طرقها، واضاءوا افقها، وسهَّلوا سبلها، فانهم مع عظيم تلك القوّه، وفسيح هاتيك القدره لم يقتدروا على تعمية الحال، والتكاذب على انفسهم او غيرهم بتلفيق مايباهتون انه يقاربهُ او يساويه، او يشبهه اويضاهيه، مع ما كانوا عليه من شدّة الحنق والعصبيّة التي هي السبب الوحيد غالبا في غمط الحـق وجحوده، او احتجابه عن عين شهوده، كما لم يبق للنَقَلة، والحفَّاظ والحمله، مجال لنقل غير الواقع في امره اوجعل فرية في شانه، من مراجعة او مما نعـه، او مناقضة او معارضه، بل اتفق النقل باطراف نسبته الثلاث على ما فيه جلاء الشك، وقلاع الشبهة، ووضوح الحجَّه، فكم في تضاعيف الاخبار، وتفاريق الانقال، مايشهد لك بهِ اقوى الشهاده ويهجم بك منهُ الى منتهى العاده، ولعلَّك سمعت ما عن جماهير

الجاهليه ، وجهابذة قريش ، حيث تألبوا غير مرة وتحزبوا. وتعاهدوا على المعارضة وتعاقدوا ، حتى اذ تُليت عليهم بعض آياته وصدعت آذانهم بالحق زبر بيناته ومعجز آياته ، خرّوا بالاذعان على الأذقان وسجدوا ، وعن القيام بوفاء العهد قعدوا ، فنقضوا العهود ، ومزّقوا البنود ، وعزموا على السجود وسجدوا للعزايم ، ولزموا الطعن والضرب ، ورأوا الاستبدال بهِ عن المعارضة ضربة لازم ، وما اسلم منهم في مكة قبل الهجرة من اسلم ، الاّ باستماع تلك الآيات ، وبما اخذت منهم مأخذها تلك الكلمات ، استخبر التواريخ والسير ، تخبرك عن مثل اسلام لبيد وعمر بن الخطاب (رض) وامثالهم من اكابر الصحابه قبل الهجرة ممن سمع كلام الله فآمن ، وعرف بهِ الحقّ فتطامن ، ولقد كان الصادع بهِ صلوات الله عليه يدهش الباهم ، ويذهل عقولهم فتعشو مشاعرهم وتعمى ابصارهم فتارة يزعمون انهُ شاعر واخرى يقولون كاهن او ساحر وما ذاك الا من تناهي الامر في العظمة وتعاليه في الغرابه فهم بين فزعة مدهشةٍ عجبا. وروعة منعشةٍ طربا. او ماعثرك النظر او مااوقفك السَّير في السِّير ، او ماتقدّم لك ماشاع وانتشر من قول الوليد وهو من كبّار قريش وذوي الحصافة والفصاحة فيهم لقومهِ بني مخزوم وقد فاضت هذه القصه في كتب التواريخ واستفاضت بانحاء شتى وكيفيات مختلفه وقد اوردها شيخنا العلامة الطبرسي (قدس سره) في مجمع البيان. اجلّ تفسير للاماميه بل لو قلت افضل ما باليد من تفاسير الاسلام لم اكن مبعدا يعرف ذلك من نظر فيه واستقصى خبره وقد سردها هو على وجهها وتفاصيلها في ذلك الكتاب ولكن أختزل منها صاحب الكشاف الثقة الثبت والجهبذ البحت قدرا فيهِ لمحل الحاجة كفايه حيث قال في قولهِ تعالى (انّهُ فكَّرَ وقدَّر فقُتِلَ كيفَ قدَّر) الى قوله عزّ شانهُ (انِ هذا الاّ

سحرٌ يُؤْثر إِنْ هذا الاَّ قولُ البشر) روي ان الوليد قال لبني مخزوم اما والله لقد سمعت من محمد كلاماً ماهو من كلام الأنس ولا من كلام الجن ان له لحلاوه. وان عليهِ لطلاوه. وان اعلاه لمثمر. وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى عليه فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبأنّ قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليهِ حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون انه كذّاب فهل جرّبتم عليهِ شيئًا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللّهم لا ثم قالوا فما هو ففكَّر فقال ماهو الاَّ ساحر أَما رأيتموه يفرّق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الاّ سحر يؤثره عن مسيلمه وعن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرّقوا معجبين بقوله متعجبين منه انتهى. وماعجبي وتعجب كل ذي فطانة ونصف الاّ من استقامته واعوجاجه. واحتجاجه ولجاجه. انظر كيف ابصر الحقّ ثم تعامي. وكيف خاض في الجهل وعاما. فقل له ايُّها الوليد الغرّ. والعازب عن حصافة الفكر. لو كان ثمَّة شيء من السحر تعلَّمه محمد (ص) من اهل بابل فلم لا تعلَّمه منهم غيره. ولماذا لم ينكشف لسائر الناس سرُّه. ويظهر لهم كما ظهر لك امره واين كان هذا المجلس السرّي. والمدرس السحريّ. الذي تردّد اليه محمدٌ (ص) وحده. وصار فيه نسيج وحده. وهو النور الذي لا تواريه السجوف. والبدر الذي لا يسري اليه السرار والكسوف. قد ضبط كل قومه جميع تنقلاته واطواره. منذ نعمت الدنيا بالظفر في نعومة اظفاره. ولم لا فزعت قريش الى اهل بابل في حلّ سحره. وابطال مكره. وليت شعري مسيلمه هذا اهو مسيلمة الكذاب النابغ في قومه بما يزعمه قرآنا من مثل قوله

ضفدع بنت ضفدعين نِقّي ماشئت ان تنقين اعلاك في المـاء واسفلك في الطين ، وقولـه والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا ، فان كان هذا هو الذي عناه فقد رضينا بالوليد بل بالطفل حَكَمًا = وما الغرض في نقل كلامه ، بيان ضعف خصامه ، وضعة اوهامـه ، واختلال ماتخيَّله ، واحالة ماتمحَّله ، بل الغرض بيان اندهاش لبّه وانذهال عقله ، وارتباكـه في الحيره ، واشتباكه في الشبهه فصار يحيل في كلامه ، ويتناقض في دعاويه واحكامه ، حيث وصف محمـدا (ص) اوّلا بالصدق والصيانه ، ثم وصمه (معاذ الله) باعظم الخيانه ، وهو في كل ذلك كقومه غير شاعر بسوء سومه ، وحيف حكمه ، وحزّ حزمه = نعم وكلـما ازدادت المعرفه ، واشتدّت في الشيء المهارة وتقوّى الحـذق واللباقه ، وجاء الشيء باهرا في صنعته ، فائقا في نظايره متعاليا في سموّه ونموّه ، وخصايصه وتميُّزه ، اشتدّ العجب به والتبهُّر ، والاستحسان له والتحيُّر ، فحظُّ كل امرء من استحسان كل شيء وعدم استحسانه ، حظُّه من ادراكه فيه وعرفانه ، ولذا لاتجـد فينا عند سماع القرآن شيئًا مما ينقل عن عرب الجاهليه اذا سمعوه — على ايماننا به وجحودهم له وما ذاك الاّ للتفاوت في معرفة الكلام وشوءون اساليب البلاغة فتفهّم هذا الامر الجليّ وتنبَّه له وقصوى الغرض من كلامه ، وشاهد آخر في قوله — اعترافهُ وهو ممن لاترتاب في انه من اخبر اهل الخبره ، وادرى ذوي المهارة والدُربه ، مذعنًا بانه ليس من كلام الجن ولا الأنس وانـهُ ليعلو ولا يُعلى عليه ، وهذا هو الحق الذي لاياتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه. وهو الاعجاز الذي نحن في صدد اثباته لك ايُّها العاجز عن نيله ، المتقاصر عن طوله ، الذي ذكرنا انّ وظيفتك الرجوع فيـه الى اهل الخبره ، والسوءال من ذوي المعرفه ، وحيث ان اقل مايكفيك من ذلك

البيّنه – وهي تحتاج الى التعدد – فليكن هـذا احد الشاهدين عندك ، والزم فيه حدك ، فان هذا الوليد شيخ من شيوخ هذه الصناعـه ، وقد جبل الله عليها ذوقه وطباعه ، وليس هو من المسلمين حتى تقدح بشهادته او تتّهمه في مقالته ، كما انه ليس لك حق الجرح والتعديل ، ولا اليك التصديق والتكذيب ، بل تعوّل في ذلك ايضا على اهل الخبرة في الحديث وصيارفة الاخبار ، ونقدة الآثار الذين افنوا في ضبطها اعمارهم وصرفوا في جمعها ليلهم ونهارهم. وليس من النَّصف والتكرم ، ولا من ادب الاستفادة والتعلّم ان تسارع الى تكذيبهم ، وانت ما اصبت من الطلب والفضل الاّ صبابةً من نصيبهم ، فالتسليم لهم اسلم ، والاستقامة على تصديقهم فيما اقام عليهِ الاعتبار اقوم ، ثم لم يزل الحال على هذا المنوال من حين نزوله وظهوره ، وانتشار اشعة نوره ، الى يومك هذا – وابيك ما جاء متملّك للبراعه ، متمكّن من الصناعة عينٌ في العربيه ، وجيه في الفنون الادبيه ، قايد لكتايب الكتّاب ، وحيد في النظم والنثر وساير الآداب ، الاّ وجدته على حسب حظّه من تلك الخطه ، وكماله من تلك المنزله ، مرتفعا في المعرفة باعجازه ، واليقين بمعجزتهِ واعوازه ، وان كان من الديانة ذو حـظّ نزر ، ومن الحنق عليه في نظر شزر. والكتاب اعزّه الله لا يشتدّ الاّ شرفا وظهورا ، ولا يزداد على مريدي اطفاء نوره الاّ نورا ، قد امن من معارّ معارضيه ، وعلا على مقارّ مقارضيه ، – انت لا تعدّ ولا تعتدّ من اعلام العربية ومشاهير الكتّاب وزعمائهم بأمثل من ابن المقفّع وعبد الحميد وعمرو بن عثمان الجاحظ وامثالهم من الطبقة الاولى = وكبديع الزمان والخوارزمي والصاحب والصابي والمتنبي والمعريّ وامثالهم من الشعراء والادباء في الطبقة الثانيه – والذي يتطرّق اليه احتمال المعارضه ، ويقبل الاعتبار ان يتهجم على المقابله ، افرادٌ

من هؤلاء قد قُذفوا بالزندقه ، واتُّهموا بسوء العقيده ، وان كنتُ غير واثق بتحقق ذلك فيهم ، بل لا اودّ الا ان انزّههم من هذه الوصمه ، وابرأهم من تلك التهمه ، وقد بحثنا في ذلك على وجهه في كتابنا الموسوم (بمغني الغواني عن الاغاني) الذي هذّبنا فيهِ كتاب ابي الفرج الاصبهاني وذلك عند ترجمة مطيع بن اياس الذي تتأكد في حقه هذه النسبه ، وتلتصق بهِ كل اللصوق تلك المسبَّه ، ولكن قد اشتهرت عن جملة من اولئك الاعلام كابن المقفَّع والجاحظ والمتنبي والمعري — اما ابن المقفع فقد ذكر الشيخ الخرّيت القاضي الباقلاني انه رمي بمعارضة القرآن ولم يوجد له شيء في الخارج منه فسُئل عن ذلك فقال صنعتُ ثم قابلته مع القرآن فاستحييت من نفسي ومزقته قبل ان يراه احد (١) واما الجاحظ فكلماتـه في البيان والتبيين والحيوان تشعر بخلاف ذلك وانهُ اوحد الناس بمعرفة اعجاز القرآن وخواصه ومزاياه وانهُ ممن ليس لهُ عن التوحيد محيد ، واما المتنبي الذي شاع واشتهر ادّعاؤه للنبوّه وتحدّيه بمثل القرآن بزعمهِ من المعجزه ، ولكن ذكر (السيف المُنبي عن احوال المتنبي) انّهُ لمّا سُئل عن الكلمات المنسوبة اليه في ذلك من مثل قوله .والفلك الدوار ، والكوكب السيّار ، والليل والنهار ، الى آخر ماهو معروف عنهُ من هذه المزخرفات انكرها وقال انّها مما قذفني بها اعدائي واني قد تنبأتُ على الشعراء في المعاني الشعريّه لا بادعاء النبوة الالهيه فاعتذر بهذا ومثله — نعم الزندقة وضعف

(١) وقال في الشفا حكي ان ابن المقفع وكان افصح وقته طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمرّ بصبي يقرأ وقيل يارض ابلعي ماءك الآيه فرجع ومحى ما عمل وقال انّ هذا لايعارض وماهو من كلام البشر — وحكى نظير ذلك عن يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس وانه نظر في سورة الاخلاص فاعترته خشية ورقه حملته على الانابة والتوبه

العقيده ، ليست منهُ على مايظهر من اكثر شعره ببعيدة ، ولكن هو على علاّتهِ لم يكن ليخفى عليهِ وهو بتلك المنزلة من الفصاحة والبلاغة ماللقرآن من الشأوِ البعيد، والشأن المشيد ، الذي لا يُدرك ولا يُلحق ولا يُجارى ولا يُمارى ،ولكن العُجب والغرور ، يغريان النفس بكل شرّ من الشرور؛ — واما المعرّي وهو اقرب الجميع الى هذه المعرّه ، واكثر من لهجت الألسن بانّهُ لهج بهذه النعره ، وكلماته واشعاره الصريحة والمشيرة الى ذلك قد فاتت حدّ الشهره ، وقدانصف الباخرزي وتوسّط في امره عند ترجمته بقولهِ : ضريرٌ مالهُ في انواع الأدب ضريب ، حتى قال وقد طال في ظلال الأسلام آناوءه ، ولكن ربّما ترشّح بالالحاد اناوءه ، وعندنا خبر بصره ، والله اعلم ببصيرته ، والمطّلع على سريرته ،وانّما تحدّثت الالسن باسائته لكتابهِ الذي زعموا انهُ عارض بهِ القرآن وعنونهُ بالفصول والغايات ؛ في مجاراة السوروالآيات ، واظهر من نفسهِ تلك الهوسات كما تجد العبر الصلبانه (كذا) —اقول وقد شاع وتكثّر ذكرُ كتابه هذا في كتب التاريخ والادب ومماّ نقلوا منهُ قوله « اقسم بخالق الخيل ، والريح الهابة بليل ، بين الشرط ومطالع سهيل ، انّ الكافر لطويل الويل ،وانّ العمر لمكفوف الذيل ، إتّق مدارج السيل ، وطالع التوبة من قُبيل ، تنج وما اخالك بناج » وقد جعل مثل قوله بناج ، هو الغايـة وما قبله هو الفصل فيورد الفصل ثم يختمهُ بالغايه على رويّ ساير الحروف الهجائيه ،إستقبل انت بهذا الكلام ماشئت من الكتاب الكريم من المقامات المشتمله منهُ على هذه المعاني التي ارادها من قسم اكيد ، ووعد للكافر ووعيد ،وفناء الدنيا وقصر الاعمار،ولزوم السبق والبدار ،الى التقوى والتوبه،قبل وصول النوبه،ثم انظر هل تجد بينهما من النسبة والقياس ولو كنسبة بيت العناكب الى شمّ الاهاضب ،

اونار الحباحب الى النيرات الثواقب، ثم انظر كيف ضربت على تلك الفصول الفهاهة والفجاجه، وكيف اخذت بها البرودة والسماجه، وكيف اضطرّه الأعواز والحاجه الى هذه القوافي السخيفه، مثل قُبيل ومكفوف الذيل، والريح الهابة بليل، مع ضعف التراكيب، وسوء الأساليب، وانحلال المباني، واختلال المعاني، وقبح الاستعارة في مكفوف الذيل ومطالعة التوبة الى كثير من امثال ذلك، ولكن هذا الذي هو بتلك المثابة من الأتهام بضعف الديانه، وسوء البطانه، قد ثاب الى الحق وآب الى الصواب ونطق بالصدق وانكشفت عنهُ العمايه، واتّضحت لهُ سبل الهدايه، وكفّر سيئة كفرانه، وتعرّض لمهاب عفو الله وغفرانه، فقال في رسالة الغفران عند كلامه على الزنادقة والملحدين وشنايعهم ومنهم ابن الراوندي الزنديق الذي صنَّف (التاج) وتعرّض فيهِ للقرآن قال المعري فيهِ ما نصهُ: واما ابن الراوندي، فلم يكن الى المصلحة بمهدي. واماَّ تاجهُ فلا يصلح أن يكون نعلا. ولم يجد من عذاب وعلا (اي ملجأ) وهل تاجه الاّ كما قالت الكاهنة أفّ وتُفّ، وجورب وخُف، ثم اطال في تفنيده الى ان قال: بئس ما نسب الى راوند، فهل قدح في دباوند، انما هتك قميصه، وابان للناظر خميصه، واجمع ملحدٌ ومهتدي، وناكب عن الحجة ومقتدي، انّ هذا الكتاب الذي جاء بهِ محمد (ص) — كتاب بهر بالاعجاز، ولقي عدوّه بالارجاز، ما حذي على مثال، ولا اشبه غريب الامثال، ما هو من القصيد الموزون، ولا الرجز من سهل وحزون، ولا شاكل خطابة العرب، ولا سجع الكهانة ذوي الأرب، وجاء كالشمس اللامحه، نورا للمسرّة والبايحه، لو فهمه الهَضْب الراكد لتصدّع، أو الوعول المعصمة لراق الفادرة والصَّدَع(١)

(١) الفادرة: الوعل او الصخرة العظيمه شبّهت به والصدع محركة من الوعل الشاب القوي

(وَتلكَ الأَمثالُ نَضرِبُها لِلنَّاسِ لَعلَّهم يَتفكَّرون) وانّ الآية او بعض الآيه لتعرض في افصح كلام يقدر عليه المخلوقون فيكون فيه كالشهاب المتلالي في جنح غسق ' والزهرة البادية في جدوب ذات نسق ' فتبارك الله احسن الخالقين ' انتهى — ولو ذهبت الى ان اجري بك هذا المجرى' واسري فيك على هذا المسرى ' واسرد لك امثال هذه الكلمات' وانتهي بك الى امثال هذه الغايات ' لخشيتُ ان تقول اني اسرفت في القول ' واطلت بغير طايل ولا طول ' كيف والبينة قد تمّت 'والحجة قد لزمت ' نعم وان كنت للحق طالبا ' وللعناد مجانبا ' ولاحظت ماذكرناه من كلمات القوم وفحول الرجال ' بضميمة الاعتبار وقراين الاحوال ' لاجرم يحصل لك الجزم واليقين ' باعجاز هذا الكتاب المبين ' وانهُ اعظم من معجزات عامة النبيين ' كما سيتضح لك مزيد ذلك من كثب ان شاء الله

ولولم يكن من عالم إلهي. ومصدرغيبي . لانحلّ وشيكا'ولبطل امره سريعا كمازال وبطل كتاب مسيلمة وغيره من مدعي النبوّه' وانا اعترف لك بان هذه قراينٌ واحوال 'لا براهين واستدلال ' ولكن اوردتُها حيث انّ وجه الخطاب اليك أيُّها العاجزعن معرفة الاعجاز ' والواقف دون الحقيقة على مجاز المجاز ' وما اكثرمن يحصل لهُ بالتقريب من العلم واليقين ' مالا يحصل لهُ من ترتيب الادلة والبراهين ' الا وان حجة الله جلّ شانه على عباده لاتحتاج الى اكثر من هذا البيان ' ولا تتوقف على أن يقف المرء على حلّ جذر الأصمّ او معرفة العلم الطبيعي وسمع الكيان ' ونحن نظنُ انّا قد اقمنا الحجة بمعونة الله على كلا الصنفين ' ونصبنا اعلام الحق للسايرين شاخصة لمرايا العقول بمرأى العين ' والتوفيق ليس من صنعنا ' ولا في حيّز قدرتنا ' ولكنّنا نسأل وليَّه الجواد ان يمنّ به على عامة العباد

انهُ الجواد الذي لايبخل ، الكريم بما يُسأل وما لم يُسئل ، وحيث قد محضتك النصيحة ومخضت لك الزبده ، من كل روب وشوب ، وصفّيت لك سجال البيان من كل صوب ، فقد صرت حقيقا بان اكفّ عنك اذيال المقال ، والفّ ما نشرته عليك مما قصر منهُ وطال ، ولكن لا اجدني اقنع لك بهذا المقدار او يتجلى الامر لديك تجلي الشمس في رائعه النهار ،

ياهذا انّ اعظم الآيات وامّ المعجزات في القرآن الكريم شيء وراء ما ذكرناه من اعجازه وبلاغته وبديع اسلوبه واشباه ذلك مما مرّ عليك اقل قليله ، وبعض قبيله ، انّ اقوى البيّنات على الشيء ، ان تكون البينة من سنخ الدعوى مثَل ذلك انه لو جاء رجل فادعى الحذاقة والمهارة في الطبّ فطولب ببيّنةٍ على دعواه ، وآية تدل على صدق ما انتحله وانتحاه ، فعزم على اثبات صحة ما ادّعى واظهار ما جمع ووعى فتارة يقول ان آية ذلك اني امشي على الماء ، واصعد في الهواء ، وما اشبه ذلك من خوارق العادات وعجايب الحادثات ثم فعل ذلك فانه لا يشك احد حسب العاده بصدقه والتعويل على قوله وتسليم النفس الى علاجه واصلاح مزاجه قبل الاطلاع على حذاقته في دعوى طبابته على ان دليله لم يكن من سنخ دعواه ولا من جنس ما اعرب عن نفسه وحكاه — وتارة يقول اني اعالج هذا الحيوان الذي قد اشفى . واعافيه وقد عفى من الحياة واستغنى ثم تعدّد منه ما اعتدّه من ذلك ، لمن استدارت به هالة المهالك وان تلك الآية وان كانت اعجب وارغب . ولكن مثل هذه بالدعوى الصق واليها اقرب . بل قد صارت الدعوى بنفسها دليلا على نفسها . وبرهانا على صدقها وصحتها ومعجزة نبينا (ص) في هذا الفرقان العزيز . والسجلّ الوجيز . قد فاق معجزات جميع الانبياء بهذه الصفه وامتاز بتلك الخاصه . فانّ صاحب هذه الشريعة اعزّ الله به دينه . واعمر بها ارضه . قد جاء الى هذه الامة الضاله التايهه في اودية الجهاله وسوء الاخلاق ورفض العلوم والحرمان من المعارف فادّعى انه صلوات الله عليه رسول من الله اليهم لاصلاح فاسدهم . وتقويم معوّجهم ومنآدهم وقال ان معجزتي وآيتي على صحة ما اقول وصدق ما انتحل هذا الكتاب الذي ارسله معي مرسلي اليكم وقد اودع فيه قوانين صلاحكم . واسباب نجاحكم . ومواد فلاحكم . فانظروا

فيه تجدوه شاهد صدق على ما اقول . وبيّنة عادلة لا يسوغ عند العقل عنها العدول .
فهل يعذر الانسان نفسه حيث يكون من ذوي الحصافة والرأي الرايع . دون ان
ينظر في ذلك الكتاب نظر الفاحص الباحث . لا المتعنت العايث . نظر طالب الضاله
وفاقد الداله . ومقتبس الهدى . وملتمس الصواب . لا نظر من اعتدّ واعتمد ء
وجدّ واجتهد . وايقن بعقد القلب منه قبل الخوض فيه على ضلاله والعياذ بالله وبطلانه .
وانه من صنع محمد (ص) وزوره حاشا لله وبهتانه . فان الناظر فيه اذا تجرّد عن
هذه الصفه ثم تدبّر في حثّه على الاستعداد للدار الاخره وذم الدنيا والتزهيد فيها ودلالة
الناس على معايبها وغدرها باهلها وسرعة فنائها وزوالها وما اصاب ملوكها والمتألهين
فيها والوالهين اليها من النكال والوبال ثم تدبر فيما يحث عليه من الاخلاق الكريمه
ورفض الرذايل الذميمه وامره بالمواساة والتحاب والاخوه والتعاطف والتآلف
والتراحم وصلة الارحام والكرم والاحسان والتواضع والصدق والامانه الى امثال
ذلك من النهي عن الحسد والنفاق والرياء والعجب والبغي والطغيان والظلم والعدوان
والكذب والنميمه والكبر والغرور والغيبه والزنا والسرقه واكل المال بالباطل
الى كثير من امثالها مما فيه صلاح النفس والنوع والعامة والخاصه وراحة العباد والبلاد
واستقامة المعاش والمعاد والنظام الأتم الاكمل لكل ملة وفي كل دوله — هذا فيما
اشتمل عليه من علم الاخلاق وتهذيب النفس واما دفاعه وحماسه عن التوحيد . ونفي
الشريك . وتنزيه الحق وتقديسه . وصفاته الجماليه والجلاليه ء وساير ما تحكم به
البراهين العقليه التي قضت العادة والضرورة منذ بدء الخليقه باحتياج معرفتها وعلمها الى مزاولةٍ
وممارسه وتدرّس ومدارسه . وقد صبّ هذا الكتاب الكريم بركاتها على العباد صبًّا . وابرز
دقايقها وحقايقها لاعين المستعدين نصبا . حافلا حاشدا ذلك بذكر تفاصيل وقايع الانبياء
مع أممهم وما بذلوا من الجهد والعناء . وما تحمّلوا من المشقّة والبلاء ء وما اصاب
قومهم من العقاب والتعقيب . والنكال والتعذيب . على ما اصرّوا عليه من العناد
والتكذيب . حتى جعلهم لمن بعدهم عبرة ء وصيّرهم للعبور الى سواحل العظات
عبرة . — الى غزير كثير من هذا النظير انظر كيف نزّه الله في هذا الكتاب كل
واحد من انبيائه ورسله بالتنزيه والتكريم الذي ما نزّهته به امّته ولا رعته له رعيّته
المعترفون بنبوته . الماسكون بشريعته . بل القايلون بأبوّته بل بربوبيته . هذا المسيح
روح الله على نبيّنا وآله وعليه السلام قد ابت الامة المسيحيه . الا عن القول بقتله

وصلبه . فواعجبا وكيف لا اعجب . لِأَلهٍ يُعذَّب ويُصلب . ثم يجيء هذا النبي الامي العربي . وينزّهه عن ذلك وعن خبيث مقالة اليهود فيه وبهتهم له ولامّه الصديقة البتول العذراء والانسية الحوراء كل ذلك بلسان الوحي النازل عليه في اسواء بني اسرائيل ومساويهم . يقول جلّت عظمته ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً . وَقَوْلِهِمْ اِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَاِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ اِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً . بَل رَّفَعَهُ اللّهُ اِلَيْهِ . وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ حسبك فاطو هذا النمط ياخليلي على غزه . ولا تمارني على كشف حقيقة امره . — وعد تدبّر في هذا القرآن وما اشتمل عليه من تلك الاخلاق الفاضله والملكات العادله والعقايد المحصّله . التي تحكم بها البراهين العقليه المسجّله . عاطفا بالنظر النافذ في التأمل الى ما في (عباداته) و(معاملاته) و(سياساته) من المصالح النوعيه . وحفظ النواميس الآلهيه والبشريه على الوجه الاكمل . والنظام الاتقن . الذي لو قامت البشر والشعوب به على حدوده وموازينه لما وقع فساد في العالم . ولا أُريق بعدها بغير الحق قطرة دم من بني آدم ولكن ياللاسف واللهف على حرماننا من بركاته وهو بين ايدينا ، وخلوّ آفاقنا من خيراته وهو ملئ افواهنا وتراقينا . نعم ومهما ضاق من نوره واحتجب . او صفرت القلوب من لجين تعاليمه حتى قيل ذهب . فهو بعدُ غض جديد ، مسدد بالتأييد مؤيد بالتسديد . محفوظ الآيه . ملحوظ بالعنايه . فانه بحمد الله وحسن الطافه وعنايته بدينه لم تذهب حجته ، ولم تبطل دعوته ، ولم تضعف عن اتمام حجة الله على عباده قوّته ، فلو تدبّر المتدبّر في ذات نفسه ، وبينه وبين ربّه ، ووضع هذا الكتاب بين يديه ، وتفرد في الفكرة والعبرة وتأمل في تفاصيل ما اجملناه على النحو الذي ذكرناه ، ومن الباب الذي فتحناه ، والتفت الى ساير الخواص والمزايا التي يفيضها جلّ لطفه على عبده اذا وجد منه حسن النيّه وصدق العزيمة في طلب الحق وتجلّى له جامعية القرآن على ايجازه لمتسع هاتيك العلوم ومنفسح تلك المعارف ، وجد هناك ماقدمناه من ذكر الآية التي هي اعظم الآيات وام المعجزات ، هي البينة التي تدل وتثبت انّ تلك الدعوى صادقة بنفسها ، صحيحة بجوهرها ، لاتحتاج الى مصدق وبينة سوى ذاتها ، فانك بعد تلك الملاحظات والمطالعات كلها وعلى وجهها ، لاتجد بداً من هجوم الجزم واليقين على قلبك وخيالك في ان محمدا صلى الله عليه صادق في

دعواه انه رسول من الله —وما الرسالة التي ادّعاها سلام الله عليه الا تبليغ هذه الاحكام والنواميس المودعة في هذا الكتاب الذي جاء به— واحسن مصدق لهذه الدعوى النظر في نفسها ، والتامل فيها بذاتها وهذا امرو راء اعجاز مبانيه ، وبلاغة تراكيبه ، وفصاحة اساليبه مما بهر العقول ، وطاشت له الالباب ، مما تحقق لديك ولا اظنّك ، وعرفته على وجهه ولا احسبك ، لكن تلك البينة التي اوعزنا اليها ، وعوّلنا عليها ، هي للعقول النافذة ابهر ، وللآراء الحصيفة املك وعليها اقدر ، وهي ادلّ على خروجه عن القوى البشريه والتنسيقات الفكريه ، وتحقيق ذلك على اكمل وجوهه يحتاج الى افراد موضوع نبحث فيه عن كل حكم حكم من مشروعات هذا الكتاب الباهر وبيان ما في كل واحد من احكام اصوله وفروعه وعباداته ومعاملاته ومناكحاته وجزائياته وما اشتملت عليه من الحكم والمصالح ، ودفع المضار والمقابح ، وما فيها من حياة روح التمدن واستكمال سياسة المدن ، مما اجملتُ لك ذكره ، واحلت الى فطانتك شرحه ونشره ، وهو موضوع يرتفع بهِ النقاب عن محيًا شرف الانسانيه . ويضع موازين القسط في العباد والبلاد لرفع العوايد العدوانيه . وقد الّفوا فيه وما وفّوا . وصنّفوا به وما صفّوا . ونحن نشكر لكلٍّ سعيه . ونسأله ان يجزل لكل واحد منهم جزاءه وبرّه . واعل العناية بعد هذا تسعف بالتوفيق لانشاء موضوع ووضع مشروع وافٍ بذلك الغرض وتلك البغيه على ما ينبغي ان شاء الله

﴿ توطئة وتمهيد ﴾

انت • عافاك الله واصلحك . تعلم كيف نشبت الوغى • وشبّت لظى الحرب • واصطكت الركب . وثار الغبار . وحميَ الوطيس . واشتد الجلاد والجدال . واحتدم النزوع والنزاع بين المسلمين والمسيحيين منذ عشرة قرون او اكثر — لا اريد تلك الحروب الدمويه . التي تعرف بالصليبيه . تلك الحروب التي اضحت احدى اوبئة البشر . ومن اكبر بليّات هذا الخلق الضعيف ومبيداته . فهي لقداسة الصليب وقرابين لهيكله في البرهة بعد البرهه والفترة غبّ الفتره لا تزال تروّي الارض من دم الانسان كلّما ظمأت . وتطعمها الربوات من لحومه كلّما سغبت . كانّ ذلك تحقيقا لقول ذلك الوديع (ما جئت لألقي سلاما بل سيفا) — لا اعني هذه الحروب والمجازر على مذابح الاديان — تلك الذبايح التي يدفع اليها الجشع باسم الدين (كلاّ) وانّما

اوعز الى تلك الحروب الجدليه في ميادين البحث والمناظره ومساجلات النقود والردود التي اتّسعت فيها الخطة وتفاقمت بها الدايره· حتى خرجت عن آداب البحث والمناظره وصار اكثر ما عند احد الفريقين او كليهما واكبر ما لديهم من العدّة هتك حرمات الادب · وخرق النواميس بالبذاءة والدناءة ، والنبز والشتيمه ، وصارت الاديان المقدسه هدفا لسهام الجهل ومرمي لنبال الخور والطيش واصبح عقلاء الفريقين بين سفهائهم من الا متعاض لذلك على حدّ قوله

وجرم جرّه سفهاء قوم فحلّ بغير جانيه العذاب

الآباء ياكلون ·· والابناء يضرسون — لا ازيدك علما بهذه الشوءون الاجتماعيه وما جرّت من الويلات والبليات على اهل الوطن الواحد واللغة الواحده وساير الوحدات الجامعه سوى واحدة منها وهي لا تفسح لابنائها قطع كل تلك الصلات والروابط · وفصم كل هاتيك العرى والعلايق • كل هذا ممّا تعلم به انت احسن العلم ولا يزال بمرأى منك ومسمع — انما الذي اريد بيانهُ وتوطيده امام ماسيلي من المباحث — هو اني — وحسبي شهادة ربي ـ منذ افتتحت دعوتي هذه · ودخلت في مشروعي هذا ، كنت قد عقدت النيّه وصمّمت العزيمه · على ان لا اتجاوز حدود المحاماة عن ديني · ولا اتعدّى عن النظر في تعضيد بنات عقايدي بعقول البراهين ومقبول الأدلّه ، واخذت على نفسي ان لا اهتك سترا من الاستار · ولا اخدش عاطفة من العواطف· ولا امسّ حجابا من الحجب ، ولا اضع قدمي في حريم من الحرمات • وانما ابثّ دعوتي الى ما قادني اليه البرهان من عقيدتي ، من دون مصادرة غيرها او مصادمة ما سواها • بل وبالخلاف اسعى جهدي في الوفاق والوئام وتوحيد كلمة الأمم الموحّده وتقريب ما بينهم ما امكن ودعوتهم الى كلمة سواء بيننا • ان لا نعبد الاّ الله ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا — وكنت وراء ذلك كالمستيقن ان الجهل وايام دولة الانتصار بالافتراء والبهتان وتهجّمات الهمجيه · قد خفّت وطأتها ، واُفّت اَلويتها ، وانقضت عصورها • وتبدّلت بالانتصار بالانصاف ، والاخذ بالحقايق وشهادة الباحثين والكتّاب بالصدق • لهم كان الصدق ام عليهم • كنت احسب انه قد ماتت تلك العصور التي كانت تحيي بها تلك الخرافات والاباطيل التي يصوّرها (ريشار) في اناشيده · و(رولان) في اقاصيصه يوم كانوا هوءلاء وآلاف امثالهم من حملة عروش الافك ومجسمة آلهة البغضاء في نفوس اممهم الساذجه • يوم كانوا يخيّلون للمسيحيين وعامة الغربيين انّ (محمّدا) الذي

يسجد لذكره المجد والشرف • كان يدعو الناس لعبادتهِ في صورة وثن من ذهب وان المسلمين يعبدون الاوثان ولهم آلهة ثلاثه • اكبرها او احدها (ما هو ميد) يعني محمدا (ص) وكان (ريشار) يبدع ويغرب في اوصاف ذلك الصنم فكان يصوّره مجوّفا يُرى باطنة من ظاهره وفي جوفه عفريت استحضره السحرة وصار ينطّ ويعربد ثم اخذ يتكلم للمسلمين ء الى كثير من امثال ذلك مما نقل جملة منه (الكونت هنري) الفرنساوي حتى قال ولو اردت الاطلاع على جعبة الشتايم والسباب فعليك بكتاب الّفه بعض اليسوعيين وهو (پروشار) وسماه مرشد السياحه واورد في (خواطره) منه ومن اضرابه واترابة نبذا في شتم المسلمين وسبابهم وسرد من الافترآآت عليهم والالصاقات بهم ما لا يستطيع قلم النقل من الخجل ان يأتي بالقليل منه فضلا عن الكثير ٠ نعم كنّا نقول ان هذه الادخنة المتكاثفة في اجواء الجهل ٠ الحايلة بين انوار الحقيقة وبصر العقل ٠ قد تمزّقت وتلاشت بفضل انتشار العلوم ٠ ورجاحة الحلوم ٠ وسجاحة العقول وتقلّص ظلّ العصبيّات ٠ والتطامن للحقايق اينما كانت وكيفما وُجدت ء وصرنا في غنى عن مخاضة هذه اللُّجج • وتعديل ذلك العوج • وكُفينا بحمد الله موءونة ايضاح الواضح وتحصيل الحاصل والدلالة على بياض النهار ونور الشمس وسواد الليل • وقلنا ان باب السباب في المناظرات قد أُغلق • ووثن الفرية في ميادين البحث قد ذرّي رماده في الهواء بعد ان أُحرق ٠ وان المو ءلفات والكتب قد دبّت فيها نسمة حيّه وروحٌ جديده ٠ الا وهي روح الانصاف والتساهل • وحفظ الادب والاعتدال • ورعاية الحرمات لكلٍّ بحسبه ٠ ولو من الفريق المخاصم والطرف المشاغب • وعلى هذا المنهج اللاحب والطريق الجدد كنت احرص ان اطبّق سيري في دعوتي هذه وارجو ان لا اكون قد تجاوزت تلك الشريعة الادبيه ء والمحجة الاخلاقيه ء من بدء دعوتي الى مقامي هذا • وكنت عازم السير عليها الى غاية الغرض من هذه الدعوه ولكن من عجيب الصُّدَف وغريب الاتفاق • ان رُفع اليّ وانا في إملاء هذه المباحث اعني مباحث اعجاز القرآن — كتابٌ ما خطر اسمه على سمعي ولا مرّ سواده على بصري ٠ رُفع اليّ عفوا ٠ ودفع اليّ صدفة واتفاقا ٠ فلما افتتحته ونظرت فيه وجدته كتابَ من ختم الله على سمعة وبصره ٠ وطبع على قلبه وعقله ٠ قد سمّاه باسم (الهدايه) تسمية الشيء باسم ضده • كما يسمّى الزنجي بكافور (اومثل ما سمّي اللديغ سليما) — تناولتهُ واسمتُ سرح اللحظ في سواده ٠ وطويت وجهين من وجوه

صفحاته • فوجدته مرعى وبيلا ، وداء دخيلا ، قد شُحن بمثل تلك اللصايق • واضداد الحقايق • اقوى عدته التمسك بالاحاديث الضعاف المعلوم حالها عند عامة المسلمين بالجعل والوضع • وقد تجاوز اليقين في امرها من الشك الى القطع • نعم ولم يكفه ذلك حتى هتك في ذلك الكتاب حرمة كل ادب • وذمة كل ناموس • ونال من قداسة الحضرة النبويه • والفرقان الحكيم ماشاء وشاءت له الغوايه وما امتدت له اسباب الاهمال وحبال الأمهال ، ولايشك الناظر فيه على غرة — انه من المؤلفات في القرون الاولى تلك القرون التي يسمونها بالعصور المظلمة (وماهي لعمر الله باشد ظلمة منها اليوم) نظرتُ في بعض ذلك الجزء الذي هو احد اربعة اجزاء فتسعرت جمرة الاسى بل الاسف في فؤادي وطفقت والحلم والاناة يقعدني ، والغيرة للحق والدفاع عنه تقيمني ، فكنت بين المقيم والمقعد والمريح والمجهد وبينا انا في آذي ذلك التردد بين المضي في دعوتي او العدول الى تفنيد تلك الضلاله • اذ نُمي الي ان بعض اخواني الافاضل بل وبعض مشايخنا الاماثل ، قد نهضوا لدفع تلك الرزيه ، وحكّموا قضاة اقلامهم بتلك القضيه ، وانا جدُّ عليم بما لهم من الكفاءة وانهم في مثلها هم المرجع والمباءه ، فطابت نفسي وقرّت عيني (ثم استمر مريري وارعوى الوسن) وذهبت في دعوتي على شاكلتي ولكن لغريب تلك المصادفه ووقوع ذلك الجزء من تلك الضلالة اليّ وانا في مباحث القرآن احببت ان افتح هنا بابا لخصوص المقايسة بين هذا القرآن الحكيم ، وبين العهدين الحديث والقديم ، لننظر ما مقامها منه وما نسبتها اليه ، نريد ان ننظر ايهما اليق ان يكون من المقام الإلهي ، والصقع الربوبي ، ومن الانسب منهما بحكم العقل والاعتبار ان يكون صادرا من حضرة الحق ومقامه الاسمى واسمائه الحسنى وصفاته المتعاليه ، نعم سوف نبحث في ذلك بعض البحث لاتمامه ، ولكن الغرض من هذا التمهيد وهذه التوطئه ، دفع الموجدة وتقديم المعذره ، اذ ربما يجمح القلم فينفث ما لا يروق للكرام الافاضل واهل الآداب والحرمات من المسيحيين ، من رُعاة الذمم ، وحفظة الأدب وذوي الحصافة والحصانه ، والفضل والمكانه ، اوربما تسوء بعض كلماتنا بعض المصلحين من الفريقين ولكن وصيتي الى من يجد في نفسه موجدة من ذلك عليّ ان يبادر على الفور الى ذلك الكتاب (الضلاله) وينظر ولو يسيرا منه فانني على ثقة ان ستتبدل تلك الموجدة عليّ بالمحمده وتلك السيئة بالحسنه ، ويستبين اننا معاشر المسلمين في الاكثر انقى اقلاما واطهر لسانا واعفّ ضميرا واملك بالعفو عند المقدره وامكن

بالكرم عند الظفر * تجد كتابنا المقدّس وساير المسلمين يرفعون بشان المسيح الى اعلى عروش المجد والكرامه ، والتنزيه والتقديس يضعون المسيح مواضع الصلوات والتسبيح ، والتمجيد والتحميد ، فيجيء ازاء ذلك صاحب كتاب (الضلاله) فيروم ان يضع في قداسة رسول الله (محمد) الذي تنحني لذكره سوامق المجد والعظمه ، يجهد ان يضع ذلك الوغد في حريم قدس ذلك الجوهر الألهي والنور الملكوتي . يضع فيه معاذ الله كل ما يرشح به ظرفه ويحتمله اناوءه ويليق له جوهره ويتّسع له عقله (وما اقلّ ما يسع) يريد ان يشتفي بالشتم والسباب ، والزور والبهتان ، والفرية والافتحار ، كأنما يطلبه بترةٍ اويستثير منه بثار . كأنه يستثير من المسلمين ما صنع اوايل اليهود بالمسيح ويكافئهم بمقالاتهم في امّه البتول العذراء عليها وعلى ابنها غوادي التحيه وروايح التسليم كأنّ المسلمين هم الذين قالوا فيها ما قيل من ذلك البهتان العظيم والأفك القديم فجاء صاحب الضلالة يقابل الكذب بالكذب ويكافي الافك بالافك فيجعل المسلمين سبّابة المتندّم . وغمد السيف للباسل المتقدم . وأحرِ بصاحب الضلاله ان يجهل تلك الجهاله ، فاذنا وجدنا الهرّ اعرف بمواضع الحزم ومظان الأدب منه في اخفاء نفسه واظهار كتابه ، على اننا لو اردنا ان نجري في مثل الذي جرى فيه ، لكايلناه بالمدّ صاعا ، وقايسناه بالشبر ذراعا ، وبالاصبع باعا ، ولعرّفناه (كيف مجامر الكرام) (١) وكيف مواقع السهام ، واُينا اسمُ سهما واوجع كلاما وكلما ، وانكأ جرحا وانفذ صولا ، واقوى قولا ، واقدر على السباب والشتيمة ، والاغاضة والهضيمه ، ولكن يأبى الله والكرم لنا ذلك ، يأبى الله لنا ان نجهل فوق جهل الجاهلين ، ولو جهلوا علينا ، وان نعاف الاحسان والصيانه ، ولو أُسيء الينا . فان في الحشمة مندوحه ، وفي الحق مفسح ،

احبُّ مكارم الاخلاق جهدي واكره ان اعيب وان اعابا
واصفح عن سباب الناس حلما وشر الناس من يهوى السبابا

ولا سيما وحريٌّ بكل مسلم ان لايتعدى ادب الله ورسوله وكتابه الكريم حيث يقول جل شانه من قائل (ادفع بالتي هي احسن) (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن) جدير بنا ان نحلم ونجعل الحلم والصفح عن كشف عورات غيرنا صدقة عن روحانية نبينا صلوات الله عليه فاننا نعلم ان ذلك احبّ اليه — وبذلك اضمد

(١) مثل من امثال العرب وله قصة مذكورة في كتب الامثال

جرحي واجبر كسري واقول لرسول الله صلوات الله عليه

لقد صبرت على المكروه اسمعه — من معشر فيك لولا انت مانطقوا
وفيك داريت قوماً لاخلاق لهم — لولاك ماكنت ادري انهم خُلقوا

وحسب صدري هذه النفثه . ولنعد الى القصد من المقايسة بين هذا القرآن الكريم والعهدين الحديث والقديم ونبين انه ماهو وساير الكتب المنزلة من السماء بسواء ونحتفظ بالسير على خطة الادب وضمن دايرة التكرم ماامكن . والله . والكرام من عباده ، لا يوءاخذوننا بزلة القلم ، وعثرة الانامل فانها والله هو الشهيد على غير عمد منّا ولا ارادة وبالله المستعان ومنه التسديد والتوفيق

ان شئت مزيد وضوح لظهور شرف هذا القانون الاسلامي والكتاب الالهامي والفرقان المحمدي وارتقاء نواميسه وامتيازهـا على قاطبة قوانين ساير الملل والديانات وكل كتبهم التي يزعمون انها سماويه بحيث تستبين وتستيقن انه من نص كلام الله ووحيه وان غيره من الكتب التي يعزى لها ذلك ماهي بكتب الهيه بل ولا منزلات سمائيه بل ولا ملكوتية الهاميه بل تجلّ ساحة الحق وتنزّه عن ان يصدر منهـا شيء من تلك المقالات الواهيه والكلمات الواهنه والمعاني الساقطه والاحكام التي تصـادم ضرورة العقول وتزهق روح التمدن وتذيب قلب الادب والحشمة وهي على طولها وعرضها ورفعها وخفضها وضخم حجمها غير وافية بجميع ماتحتاجه العامه وتضطر اليه الخاصه من تهذيب النفس وتدبير المـنزل وسياسة المدن من عبادات واخلاق ومعاملات وجزائيات بل ولا لاقل القليل من ذلك وهذه الشريعة المقدسة الاسلاميه قد وفت بجميع ذلك وجمعت بين العدل والفضل والزيـادة والاصل والموازنة والتكرم ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتـاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر * ضع بين يديك احسن ما في تلك الكتب اصحاحها واسفارها ومزموراتها واناجيلها وضع القرآن العزيز الى جنبها وانزع من اعماق لبّك وعروق قلبك معميات العصبيه ومرديات الاهواء وتقليد الامهـات والآباء ومألوفات النحله ور كايز التربيه وغرايز الطبيعه فاذا احرزت صفاءك من جميع ذلك فتدبّر في كل واحد من عهودهم القديمه واعطف الفكرة على شيء من هذه السور الكريمه ثم أنصف من نفسك وراجعها في عقلك ، وحاججها بذاتك ، وانظر ما الذي يقضي به وجدانك وعرفانك ، ايقضي بان هذا الذي يسمونه اليوم بالعهد القديم والحديث هو كلام الله وكتابه ، او ان هذا القران

الكريم وحيه وخطابه ، وانظر ايهما اليق بجنابه والصق ، ومـا الانسب منهما بساحة الحق وهوبه احق ، فقد رضيتك حكما وخصما ، وعوّلت على ماعندك معرفة وعلما ، ولكن الشفقة تعطفني عليك وحبُّ النصيحة تلفتني اليك فيحملني ذاك ان اوعز واعزم عليك ان استغفر الله ممّاتمر عليه في ذينك العهدين ولواحقهما من نسبة المعاصي والكبائر الى كبار انبياء الله وزعماء رسله كالزنا بالمحارم وغيرها وشرب الخمر واشباهها مما تشمأز منه حتى نفوس الرعاع المتهتكين ، والعصاة المنهمكين ، فانّ فيها كثيرا من ذلك يعسر حصره مثل كون عيسى روح الله قد كان شرّيب خمر (١) — وانه كان يعبّرعنها بنتاج الكرمة (٢) تعبير المولعين بها المنهمكين بشربها ، كما قال ذلك للتلاميذ قبل صلبه مودّعا لهم ولها هذا داود (٣) رجل الله والنبي (٤) والمتكلم بالروح القدس (٥) والموحى اليه (٦) انظر مانسب اليه من زناه بزوجة اوريا الحثي (٧) وكيف حاول ان يموّه حملها منه وينسبه الى زوجها اوريا وكيف سعى في قتله لتخلص له امرأته (*) وما نسب اليه من التسامح عمّا هو موظّف في الشريعه من حدّ ابنه امنون الزاني باخته ثامار وبكاء داود عليه بكاء عظيما حين قتله ايشالوم (٨) وصار ينوح عليه الأيام كلها — (٩) واعظم من ذلك مافيها من انّ الذي صنع العجل ودعى بني اسرائيل الى عبادته وبنى له المذبح هو هارون — واشنع وافظع ، من كل ذلك اجمع ، ماالشتملت عليه مما جنته الخمر على لوط البارّ وفجوره ببناته (١٠) ممّا تقشعر منه الجلود ، وتشمئزّ له حتى نفوس اهل الفجور ، ممن هتك حجاب الحياء ، ليفعل مايشاء ، الى كثير من امثال ذلك ممّا تاباه الطبيعة البشريه ، ولا ترضاه لأنفسها ذوات العقول الاوليه ، فضلا عن ان ترضى به لزعماء دينها ، ورجال مذهبها ، نعم الا ان مما يلزم تطهير القلب عنه والجنان ، وتنزيه القلم عن لوثه واللسان ، نسبة ادنى الخطايا الى ادنى انبياء الله ورسله الذين بعثهم لتكميل خلقه ،

(١) التاسعة عشر من حادي عشر متى والرابعه والثلاثين من ٧ لوقا (٢) التاسعه والعشرين من ٢٦ من متى والخامسه والعشرين من ١٤ مرقس (٣) كما في الرابعة عشر من ثامن الايام الثاني (٤) بصريح الثلاثين في ثاني الاعمال (٥) كما في السادسه والثلاثين من ١٢ مرقس (٦) كمافي اوايل ٢٣ من صموئيل الثاني (٧) في صريح الحادي عشر من صموئيل الثاني (*) ومن هنا سرت هذه البليه الى بعض فرق المسلمين فذكروه في بعض تفاسيرهم خبطا منهم من دون ان ترد به حجة من صاحب الشريعة وامناء الغيب سلام الله عليهم (٨) في ١٣ صموئيل (٩) في ٣٢ من الخروج (١٠) ٣ من ١٩ التكوين الى آخره الذي فيه ذكر الموابين والعمونيين بناء بنات لوط عندهم

وارشاد عباده ، وتأبى العناية والحكمه ان يكون الناقص مكملا ، والجاهل معلما والمريض معافيا ، ومن هنا ظهر شرف الاسلام وانفرد علماء المسلمين ولاسيما قاطبة الاماميه بما يوافق ضرورة العقل من التمسك بهذا الرأي الحصيف والمذهب الشريف الا وهو القول بعصمة الانبياء والاوصياء (١) عن كل الذنوب وكافة الخطايا — ان لوطا هذا المقذوف في كتب الكتابيين بتلك الشناعة الفاضحه ، المذكور عندهم بهاتيك الوصمة القاذعه . هو الذي ذكره الكتاب المجيد المحمدي واعلن مجده في مقامات منه عديده ، ومواقف عتيده . احدها قوله تعالى (ولُوطاً آتيناه حُكْماً وعلماً ونجّيناهُ مِنَ القريةِ الّتي كانَتْ تَعملُ الخبائثَ إنّهمْ كانُوا قومَ سوءٍ فاسقِين ، وأدخلناه في رَحمتِنا انّه مِن الصّالحين ، فانظر تفاوت ما بين المقامين وفرق ما بين الكتابين والغرض الذي استطردنا له هذا البحث واقحمنا فيه هذا القول انك اذا اردت الموازنه ، وقصدت المقايسه ، وبلغت الى هذه المقامات من العهدين فغضّ عنها بصرك ، واعطف الى ما بعدها نظرك ، وكرّم اهل الكرامة على الله من ان تسمع مثل هذه الشنايع في حقهم ، او ان يتطرق احتمال هذه المنكرات الى قدسيّ ساحتهم ، واستبدل عن النظر فيما هنالك من هذه الاحوال بل الاهوال بالنظر في كرائم سور هذا الكتاب الكريم فانك لا تكاد تجد سورةً من طوال سوره ومفصّلها بل واكثر قصاره سيما سورة مريم وسورة الانبياء والطواسين والحواميم والمسبحات فما من سورة منها الاّ وقد ذكرت جملة من انبياء بني اسرائيل وغيرهم باجمل الذكر ، واسنى الفخر ، بتجليل حافل ، وتمجيد حاشد ، تجدها تبارك عليهم بكلّ بركه وتزكّي منهم كلّ سكون وحركه ، تثني عليهم احسن الثناء ، بالصدق والصبر والصفاء . والامانة والسكينه ، والزهد والطمأنينه ، والنزاهة من كل دنيّه ، والعصمة من كل خطيه ، الى غير ذلك مما اعدّ منه ولا اعدّه ، والتحدّى به من هذا الكتاب ولا احدّه ، وما انا بصدد هذا المقام وتفصيل هذه الخطّه حتى اضع لك الموازين والموازنه واريك سُبل الهدى على وجه العيان والمعاينه ، حتى اريك من التفاوت شيئاً عجباً ، وادعك تهتز الى ديانة الاسلام شوقا وطربا ، وابدي لك من انتكاث تلك العهود وخللها واختلالها ما تعود في اشعة تلك الشمس هَبا ، ولكن الله جلّت الطافه قد

(١) حتى صنف السيد الشريف المرتضى رضوان الله عليه كتابه الجليل المعروف (بتنزيه الانبياء) وقد طبع على الحجر في ايران طبعة جيده

ايّد هذا الدين باهله فقيّض منهم من وفّى بهذا الغرض على اكمل وجوهه وافضل انحائه فقد ظهر الحق (باظهار الحق) وبان الصدق (بلسان الصدق) وتجلّى التحقيق الصريح (بالجواب الصحيح) (وردّ عبد المسيح) وانقدح (التخجيل لمن حرّف الانجيل) (١)

ثم ان جميع ما ذكره اولئك الاعلام من دعاة الاسلام وما نقدوه وعدّدوه من رزايا العهدين انمّا هو فيما يتعلق بخصوص معانيها وما يخص اصول مضامينها — في مطالبها في مآربها ، في اغراضها في تناقضها ، في مقاصدها في اصول عقايدها ، في فروع احكامها ، في سوء نظامها ، في اشياء من هذا القبيل أخر ، في امثال لها لا تحصر ، امّا لو جئتَ الى الفاظها ومبانيها ، وعبرت الى عباراتها ، وادواتها ، فهناك ما شئت ممّا يكدّ الطبع ، ويميت الخواطر ، ويبلّد المشاعر ، من سماجة الالفاظ ، وفجاجة المباني ، وتعقيد المعاني ، وفهاهة الأساليب ، وانحلال التراكيب وسوء استعمار نار الاستعارات ، وارتكاب ما لا يجوز من المجازات . الى اشياء كثيره لا تخفى على مَن له ادنى ذوق ومسكة في اساليب البيان . وكيفية التعبير من اهل كل لغة ولسان . ذاك ما نعرفهُ في لسانيَ ترجمتها من العربيه والفارسيه ، الكاشفَين عن اصل لسانها المجعول لها في العبرانيه واليونانيه . ولكن يمينا بُعرى الايمان . والحكمة اليمان . وشرف الاديان . وعزّة الزُّبر والاناجيل والقرآن . اني ماقصدت بما سردت . ولا اممت بما قدّمت . ولا اردت بما اوردت . الغميزةَ في كتب الله المقدّسه . ولا الطعن في احكامه المؤسّسه . ولا التكدير في شرايعه المروّقه . ولا التعيير على فِرق عباده الموحّدين له وان كانت مشاربها متفرقه . وكيف يسوغ لمسلم من حقير او جليل . ان يطعن في شيء من التوراة او الانجيل وهذا سجلّ

(١) هذه اسماء مؤلفات شهيره اخذت بآفاق سماء التحقيق وسدّت منافذ القول على خصوم الاسلام (لو انصف الحكم) وهي آحاد من الوف المؤلفات في هذا الموضوع وما برح الاسلام يدلي بحجته البالغه قرنا بعد قرن وعصرا غبّ عصر وقد أُشرعت اسنة الاقلام في الذب عن الاسلام من اوايل القرن الثاني واتصل هذا النضال الى هذه العصور فكان لكثير من كتّابها وعلمائها السعي المشكور فقد قام (منار الاسلام) من عدة اعوام فكفى وشفى . وجعل على خصوم الاسلام العفا . واستعرت حمية احد الافاضل من اخواننا وبني اوطاننا فهب يدعو (بالهدى الى دين المصطفى) فجزاهم عن الاسلام ربه خير الجزاء ، فقد احسنوا ما شاءوا . وكتاب (الهدى) تحت الطبع وسيبدو للمسلمين وغيرهم عظيم خدمته للحق . ووفور حظه من التحقيق والفضل ، ويقدّرون له ولساير ذوي الغيرة والفضل اقدارهم بالتعاون والتناصر والمعاضدة والمساعدة ان شاء الله

الأسلام المسلّم . وكتابه المعظّم . لا يزال يعظِّمها ملءَ فيه . ويسعى في البركة عليها بكل مساعية . ويعلن مجدها ويسعد جدّها وكذلك يوشك ان لا تخلو اكثر سوره من ذكر لتلك الكتب الإلهيه . والمنزلات الربوبية . جمعا وتفريقا . اشارة وتصريحا راجع سورة المائده وانظر قوله تعالى: انا انزلنا التوراةَ فيها هدىً ونورٌ يحكم بها النبيون الذين اسلموا . للذين هادوا . والربّانيّون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء الآيه . وقوله . تعالى طوله بعدها بقليل : (وقفّينا على آثارهم بعيسى بن مريمَ مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الأنجيل فيه هدىً ونورٌ ومصدّقاً لما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظةً للمتّقين) الى كثير من امثال ذلك مما لا يلزم ايراده وتعداده مما اشتمل على ذكر لوامع انوارها . وسواطع آثارها وجوامع اخبارها . وشؤون منزلها . وعظيم منزلتها . ولكن الحق لك اقول . وارجو بعون الله ان لا احول عن الحق والصدق ولا ازول . ان تلك الكتب التي عناها القرآن وجعل لها كلّ هذا الشرف والشان . ماهي بهذه العهود التي نراها اليوم . متداولة في ايدي القوم . والاّ فاين الهدى والموعظة والنور . وهي على الحال التي عرّفتك اقلّه وتركت جلّه . ولو كانت تلك هي هذه فقد احال القرآن وحاشاه . وابطل واخلف وجلّ عن ذلك قدسيّ علاه . وكيف وانّى يختلف منه الحال . وفيه تبيان كل شيء . وتفصيل كل اجمال . وها هو جل شانه قد دل على تحريفها وتغييرها وتبديلها واخفاء حملتها الاولين لاكثرها في مواضع منه كثيره . ونصوص بيّنات منه مستنيره . تعرف ذلك من امثال قوله تعالى (من الذينَ هادوا يحرّفون الكلِمَ عن مواضعه) وقد تكررت فيه هذه الجملة ايعازا الى ذلك الغرض . وايماء الى هذه النكته . واصرح منها في المقصود امثال قوله تعالى شانه في المايدة ايضا : (يا أهلَ الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّنُ لكم كثيراً ممّا كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير) وعليه فقد ارتفع الاشكال واتضح الوجه في عدم تعاهد المسلمين لذينك العهدين مع تعظيم كتابهم الشريف للكتابين . فانّ ماله الثناء . غير من له الجفاء . ومن له الذمّ غير من له ذمّة الودّ والولاء . ويشهد الله اني ما قصدت في جميع ماقدّمت من القول في هذين العهدين الغضاضة والتحامل — وانّما الغرض الاقصى هو بيان شرف الكتاب العزيز . وحصن الاسلام الحريز . واعتلائه وارتقائه وتفوّقه على كل ما يزعم انه في عداده ومن اشباهه ونظرائه .

فلا يحسب التمتام اني هجوته ولكنني فضّلتُ اهل المكارم

وما كان من عزمي وعزيتي ، وليس من خلقي وسجيتي ، ولا من خُطاي وخطتي ، الفحش والفحشاء ، والتعرض للايذاء ، والاقذاع والشتيمه ، والوخزة الوخيمه ، بل بنيت امري على الدعوة الجميله ، والجري على مايقتضيه الادب والفضيله ، في تحرير المحاوره ، وآداب المناظره ، وحسن المعاشره ، وعدم التجاوز لما يثبته العلم ، وتشهد به الحقيقه ، ويقوم عليه الدليل والبرهان ، ويعتدل به لسان الميزان ، والّا اسردناوعددنا ، وكَلحنا نحن على تلك الديانات وعدّدنا ، ومهما احسّ الناظر في هذه المواضع بشيء من ذلك ممّا هو على غير تلك الخطه ، وعلى خلاف هاتيك الشريطه ، فليفوّق سهام الملام لسوانا ، وليجعل النعيَ والمرزءة على غيرنا ، فان البادي اظلم ، والقصاص حق وان كانت الجناية مأثم ، ومع ذلك فما اكثر مااعرضنا عنه وضربنا دونه صفحا ، واغمضنا عنه عينا ، من اشياء لهم تصادم ضرورة العقول ، وبديهة الوجدان واوايل الغرايز ، نعم جدير بنا ان نبدي كلمتنا في مسئلة (الأقانيم) التي هي اصل من اصول اديانهم ، واساسٌ لمذاهب المسيحية اليوم جميعا ،

اتفقت كلمتهم على هذه الاساسية الدينيه وهي قولهم (الاب والأبن وروح القدس اقانيم ثلاثه آله واحد) ولكن انت هل تجد في اوايل العقول واطراف القرايح اجلى وابده من استحالة اجتماع النقيضين ، وصيرورة الواحد الحقيقي البسيط ثلاثة او اثنين ، وعليه فليت شعري • وما ادري • كيف تسنى القول لهولاء القوم بوحدة الآله الحق وحدةً حقيقيه مع انه ذو اقانيم ثلاثه ومن ايّ واد سلك اقنوم الابن حتى حلّ في عيسى او اتحد بناسوته فعاد الواحد متعدّدا ، وصار عيسى إِلهاً متجسداً ، ثم حل في التلاميذ (الحواريين) ثم في ساير البابوات والقسس ، وقدمرّت بك الاشاره الى مافي هذه المقالة لدى مواضع من دعوتنا ، ولولا وضوح حالها • لبسطنا مهاد البحث فيها ، ولكنها من الضروري الذي يلزم عود النظري اليه ، وعنده يقف وينتهي البرهان والّافلا معوّل عليه ، وظني ان جميع القايلين بتلك المقاله . الداينين بها حتى الكرسي الرسولي (آلهتهم المتجسد وجسدهم المتألّه) لعاجزون عن حل هذا الرمز المجهول ، المصادم لضرورة العقول ، من امتناع كون الشيء الواحد البسيط متعددا ذاتا وحقيقة ، اومثلاوصفة . تعددا في الخارج وعلى طباق الواقع • وقد اجهدتْ اولو الفكرة افكارها في ان تحصّل لذلك معنى متعقلا • او تتعقل له وجها محصّلا •

فما اصابته — بل وقفت عند محار الدليل وانقطع بها السبيل . نعم هذه البهماء العضال . او بنت الوهم والخيال • قد ذكرها بعض كتابهم في مجلة له (جسمانيه) اورد بها عن بعض شيوخهم من اهل النظر مناظرة مع شيخ مسلم • قد احسن له الكاهن المسيحي لتلك العويصة تصويرا ، وقربَّها اليه تمثيلا وتعبيرا ، ورام بجهده ان يجعلها امرا معقولا ، ومعنى مقبولا ، ويرفع ماتستلزمه من غايلة الشرك والتعديد ، ومزاحمة الفردانية والتوحيد ، ونحن نورد لك خلاصة ذلك البيان والتقريب ثم ننظر هل يجدي ذلك نفعا ، ويدفع باطلا . ويحذف محذورا • ام ليس هو سوى تشقيق معاني وترويق الفاظ • ماهي من الحقيقة في شيء •

قال : لمّا احتل الفرنسيون مدينة قسطنطين من اعمال الجزاير كان الاب (سوشيه) يعالج الجرحى بلا تمييز بين مسلم ونصراني لحدث له يوما انه كان يضمد جراحات اعرابي وما لبث ان مرّ به فقيه قدعلا راسه الشيب ولحيته البيضاء تحدّث عن تقدمه في السنّ فقال الشيخ للكاهن : لِمَ تداوي هذا العليل — قال الكاهن : لانه اخي — اخوك : كذبت انك نصراني وهو مسلم . وآلهك ليس بآلهنا قال الكاهن : الهي هو ذات آلهك فهو خالق السماء والارض وكل مافيهما ونحن جميعنا بنوه قال الشيخ انتم معشر النصارى تعبدون ثلاثة آلهة ... فانكم من المشركين — فعند ماسمع الاب هذه الكلمات المجحفه بحق دينه رفع الحاظه الى العلى وطلب من رب الانوار ان يمنحه عضدا وعونا كيلا تسقط بذور كلامه في ارض قاحله ثم قال ياشيخ العرب انك بين الاسلام لفي رتبةرفيعه ومقام سام وسلطة ذات شان حزتها بالعلم وجاهدت بقوة ذكيه لتحصيله . فقل لي ناشدتك الله هذه القوة مااسمها؟ — اسمها العقل ... لله درّه من جواب بليغ . ولعمرك قد تشعر بالشهوات احيانا . وقد اسعرت في قلبك حربا عوانا . فتدنوا منك الاشواق مزدانة بزيّها الخدّاع وربما اوشكت إرضاء رغايب الشهوه . انما سمعت كصوت باطني يحدّثك لا تأتي المنكر فهو حرام فقاومت اميالك وكلّل الظفر مسعاك ،، فما اسم هذه القوّه = هي الاراده — نعم الجواب . ولا اشك انّك تذكر ايام الشباب وطيب العيش كما تتصوّر احيانا صورا هايله وحوادثا تحزنه فتارة والدة طريحة الفراش في ساعتها الاخيره ، واخرى صديقا في وداعه الاخير وهكذا تعيش من ماضي الزمان وغابر الايام فما تدعو هذه القوه التي تخيل لك هذه المخيلات المختلفه عذبةً تاره ومزعجة اخرى ؟ ادعوها الذاكره —

قال الكاهن : او لك اذاً ثلاث انفس ؟ قال الشيخ : انما هي قوى ثلاث في نفس واحدة بسيطه — وانا ايضا ليس لي الّا آله واحد في ثلاثة اقانيم اي ثلاثة اشخاص او بتعبير آخر ثلاثة اقانيم في آله واحد ء الأب ويعبَّر عنه بالعظمة والجبروت ء الأبن ويعبر عنه بالعقل او النطق (الكلمه) ء الروح القدس ويعبر عنه بالمحبة والقداسه ء ثم اتمّ الحكاية او الرواية باستسلام المسلم وايمانه للكاهن وختمها بقوله (ثم نهض الكاهن الى الفقيه وعانقه والدموع تسيل من مقلتيهما) اه ونحن لا يهمّنا ان تكون واقعة او مثالا ء بيد اَنّنا نشكر فضل الكاهن فانه اخرجها من قاتم الأبهام الى مقام التعقل وفتق لنا فيها منفذا للبحث والنظر بعد ان كانت في القديم من اسرار الكهنوت التي لا يسوغ للعقل ان يدنو من حريمها او يمدّ يدا الى اديمها ء بل يأخذها من (الاكايروس) مقلدا ء ويتقلدها متعبدا ء من دون ان يفهم ولو اوّل سطح من حقيقتها . والاّ كانت عليه اللعنة واستحق الطرد من الكنيسه ء ونحن نستتم تلك المحاوره ونضع انفسنا موضع ذلك الفقيه ونقول للكاهن قد احسنت عن تلك الحقيقة التصوير وتلطَّفت في التمثيل ء وكافحت لحماية حوزة التوحيد عن هجوم شياطين الشرك واوهام التعديد . وجئت بالسهل المتيسر لكلّ احد فهمه — الذي لم اجده من جهة الوضوح حتى في (الخلاصة اللاهوتيه) للقديس توما الشهير في الحكمة الالهيه والفلسفة المتعاليه . على كثرة ما حرّر واطال واستوسع المجال . راجع من مبحث الاثنين والثلاثين الى آخر المجلد الأول راجع انت عساك تحصل على طايل ء اما انا — والاغلب انّ القصور مني — فلم استفد ما استفدته من حديث هذا الكاهن ولكن غير محظور علينا ان نبحث في تمثيله بحثاً علمياً دون ان يكون دينياً ء اعني انّنا لا نريد ان نبحث ان القول بالاقانيم شرك او مستلزم للشرك . او توحيد او غير مضرّ بالتوحيد كما لعلّه هو المتحصل للفكر بعد غاية سيره — ولا يضرُّ اطلاق الشرك او الكفر فيما اطلقا فيه من الكتاب والسنة ء فان للشرك مراتب حتى عُدّ الرياء ونظايره منه (وما يُوءِمن اكثرُهم بالله الاّ وهم مُشرِكون) نعم والتوحيد المحض في الذات والافعال والصفات والشهود والتحقق لا يحصل الاّ للخاصه او ما يُعبر عنه بالانسان الكامل الذي يعزُّ عليَّ ان اقول : انه اعز من بيض الانوق ء وابعد تناولا من العيُّوق ء والغرض انّنا نفحص ونمحص ذلك التمثيل ولكن لا من حيث اننا نريد ان نثبت انّ الاقانيم شرك وتعداد في الآلهه او ان المسيحيين (معاذالله) غير موحّدين · كلاّ · بل من حيث انها هل هي

من قبيل ماذكرالكاهن من وحدة القوى الثلاث مع النفس بل ساير القوى على ما المعنا اليه في اخريات الجزء الاول · ام مسئلة الاقانيم لاتقاس على هذه المسئله ولا ربط لواحدة بالاخرى بتًّا ؟ وعليه فنقول بعبارة جليَّه : انَّ الوحدة في الأله امَّا ان تكون حقيقيه والتعدُّد ثلاثةً اعتباري نظير قول بعض الحكماء والفلاسفة الاقدمين باتحاد العقل والعاقل والمعقول بمعنى ان الشيء الواحد البسيط باختلاف النظر والحيثيَّات واللوازم والآثار يتعدد اعتباره كمختلف الحقيقه وما هو به · اذ ليس هو في العين والخارج غير حقيقة واحده والتعدد فرض واعتبار · وهذا التصوير مستحيل في الاب والابن وروح القدس لانه لا يتحقق كما عرفت الا في الواحد الخارجي الذي لا يكون تعدُّده الأ في الذهن والاعتبار ويستحيل في المتعدد عينا · المتكثر خارجا ء ومن المعلوم انَّ تلك الثلاثة (الاقانيم) متعدِدة في الخارج منحازة في الوجود · كل واحد له مابأزاء خاص ومصداق معيَّن · والمسيح عيسى (ع) لمّا كان في الارض بين تلاميذه لم يكن العالم خالياً من الأب والروح اعني انه ليس الكون خاليا من وجودهما الخاص بالنحو الذي يليق بهما وينبغي لهما — غير وجود ناسوت يسوع الجالس بين اصحابه في فراغ معين كواحد منهم — وهذا التعدد الحقيقي المنافي للوحدة الحقيقيه — التي يستحيل كل فروض التعدد فيها سوى فرض التعدد الاعتباري — مسلّم في المقام لا ينكر — اعني انَّ النصارى لا ينكر واحد منهم انَّ لكلّ واحد من اولئك الاقانيم الثلاثه وجودا خاصا ومصداقا معينا كما قال الكاهن انها (ثلاثة اشخاص) اذاً فيستحيل التعدُّد الاعتباري كاستحالة الوحدة الحقيقيه — واما ان تكون الوحدة اعتباريه والتعدُّد ثلاثةً حقيقي خارجي على العكس من الفرض الاول وهذا هو الاقرب الى النظر الذي يمكن في عالم العلم ويتعقل في الذهن والعين ويصحّ للقايل ان يقول به وللذاهب ان يذهب اليه ولكنَّه وبالاسف قول بانتفاء الآلهة مطلقا لا واحدةٌ ولا ثلاثه — لما عرفت من انّ الواجب اذا تركَّب او تعدَّد صار ممكنا محتاجا ضرورة تركُّبه ممَّا به الاشتراك وما به الامتياز ان كان متعدِدا — واحتياجه الى اجزائه ومن ركَّبها ان كان مركَّبا

أإلاهٌ مركَّبٌ ما سمعنا بإلهٍ لذاته اجزاء

فلو كان كلّ واحد من الاقانيم واجبا وإلاها كما يقولون لبطلت الآلهة معاذ الله · لا واحد ولا اكثر · فلا يقاس شيء من هاتين الصورتين على مسئلة اتحاد العاقل والمعقول والعقل او مسئلة تغاير الصفات للواجب مفهوما واتحادها عينا وحقيقة — فان الاتحاد

بل الوحدة في هاتين المسئلتين خارجيَّة عينيَّه . والتعدد ذهني اعتباري ولا مانع فيه ولا ضير فان مفهوم القادر غير مفهوم العالم والحيّ ولكن المصداق واحد بسيط خارجي هو منشأ انتزاع تلك المفاهيم المتعدّده بحسب آثاره المختلفه ومن هذا القبيل حديث النفس وقواها وقد تقدّم بسط ذلك في مبحث وحدة الذات وعينيَّة الصفات من الجزء الاول فراجع

امَّا الاقانيم فالمحذور فيها وملاك اشكالها هو تعددها الخارجي المحسوس والمعلوم بضرورة العقول ء وهو المانع من وحدتها حقيقة ء ووحدتها اعتبارا وحدة تجامع الوجوب = لامتناع مجامعة الوجوب مع التركيب

وليس وراء ذينك الصورتين في منفسح فرض العقل من صورة محتمله صحيحة اوباطله الاّ صورة التوحيد المحض وهي انّ الأله هو الواجب الحق ء والأبن والروح من الخلق ء لا حظّ لهما من الالهية نقير ولا فتيل وان القول بربوبيَّتهما على نحو ربوبية الأب ضلال او تضليل • • امَّا حديث (الفداء) و(المخلِّص) و(اللعنة والذبيحه) وامثال هذه الحروف . فنغمض عنها عينا ء ونغض دونها طرفا ء فان الخوض فيها لا محالة خارج عن نطاق المباحث العلميه ء ولا جرم يكون خدشا في اديم الاديان وجرحاً لعواطف تلك الامة التي ما اكثر ما فيها من الاعزّة الكرام علينا من جيراننا ومواطنينا — على انّ تلك الامور صحيحة كانت ام غير صحيحه مزيجة كانت ام صريحة على ايّ حال كانت — فهي لا تضرّ بجوهر الدين ولباب التوحيد وانما الأساس والمهاد هي تلك المسئلة . مسئلة الثالوث الأقدس

مسئلة الثالوث هي التي تستوقف الافكار وتستدهش الالباب وتقف حيارى عندها العقول ماتدري ماتصنع وما تقول

مسئلة الثالوث هي التي لها اعظم اثر في الاديان . واكبر ضربة على الشرايع فاني اشهد ء وكفى بالله شهيدا . انه مادخلت البلية على ساير الاديان ء ولا هُتك حريم التوحيد حتى صار يُعبد الانسان في الارض ويطاع الشيطان ء ولا ظهر الغلوّ بين البشر ء واتخذت الناس بعضها بعضا اربابا حتى ذاع الشرّ وانتشر ء الاّ عند انتشار تلك المقالة اعني مقالة الاقانيم ء التي جعلت الانسان الحادث هو الاله القديم ء فانها هي التي فتحت باب الجرءة للانام ء وسهلت لهم نقل اقدام الأقدام ء على تلك الخطة الشاهقة المقام التي تزلق عن اوايل عواصمها عُصم الاوهام ء حتى ظهرت اهل البدع والاهواء ء وانتجت الفساد عقم الآراء ء فبزغت ء بل زاغت ونزغت ء جهلة الصوفيه ء

بل والقرامطة والنصيريه ، وملاحدة الاسماعيليه ، والفرقة المعروفة في عصورنا بالبابيه وامثالهم من الملاحده الذين يجمعهم جميعا الطبيعية والنيشريه ، يجمعها السعي في ازهاق روح الدين والمدنيه ، والمناوأة مع كافة الاديان والملك والشرايع الالهيه ، وما اقصى مقاصدهم واغراضهم من ذلك الا ان ينسلخ الانسان من جلباب البشريه والملكات الملكيه ، الى اخسّ صفات الحيوان من السبعية والبهيميه . ويخلع ماحثّت عليهِ نواميس الشرايع الحقه من الصدق والصيانه ، والحياء والامانه ، فينكح مايشاء ويا كل مايشاء ويفعل كيف شاء اباحة عامة غير مقيدة بعقال عقل ولا قوانين شريعه ولا موازين عرف ولا عاده ، بحيث لا يختص احد بشيء عن غيره لا عِرضا ولا مالا ولا غيرهما وما وجدوا سبيلا لترويج هذه الاغراض الكاسده الفاسدة الاّ بادّعاء الألوهية لانفسهم اومرتبة من الرّبوبيه لذواتهم فتارة بدعوى الظهور والتجليّ واخرى بالحلول والاتحاد وتارة بتقمص اللاهوت في الناسوت وامثال ذلك من الالفاظ والاصطلاحات العاطله عن حلية الحق وزينة الصدق — التي هي بين باطل ممتنع ، من ملحد مبتدع ، وبين معقول ممكن ولكن لا يقتضي شيئا من مراتب الالوهيه والخروج عن ربقة العبوديه . وتالله مادبّ هذا الداء العضال ، ولا باءت الديانة الاسلاميه بهذا الوبال ، ولا نَهَج مبتدعوها هذا النهج ، ولا استدرجوا بهذا الدرج ، الاّ من غلوّ النصارى في المسيح ودعواهم له الألوهيه وهو عبد لله مخلوق له كما قال هو (١) انه لم يأت من نفسه بل الله ارسله (٢) وانه لا يقدر ان يفعل من نفسه شيئا (٣) وانه لا يفعل ولا يتكلّم الاّ بما علّمه الأب (٤) وانه كان يقول يا ابتاه في يدك استودع روحي (٥) وانه ابتدأ يحزن ويكتئب ويدهش وقال للتلاميذ نفسي حزينة جداً حتى الموت (٦) وصرخ يسوع بصوت عظيم واسلم الروح الى امثال ذلك من لوازم العبوديه وخواص المخلوقيه وما لا يجتمع مع شيء من الالوهيه وكل ذلك قد صرّحت به اناجيلهم . ونصّت عليه رسايلهم ، فرفضوا امثال هذه مما يقضي بها العقل والضروره ويحكم بها الوجدان والبديهه وتمسّكوا بمجازات واهيه واستعمالات واهنه تصادم ضرورة العقل من مثل كونه الها وابنا وانه قام من القبر بعد دفنه واشباه ذلك مما لا يُعوّل عليه في اثبات شيء من اصول الديانات واركانها فضلا عن مثل هذا الاصل الذي هو

(١) في الثانيه والاربعين من يوحنا (٢) في الثلاثين من خامس يوحنا (٣) في الثامنه والعشرين من ثامنه (٤) في السادسة والاربعين من الثالث والعشرين من لوقا (٥) في متى (٦) في مرقس

الركن الوطيد ، ودعامها الوحيد ، نعم وكل تلك الكلمات مصروفة عن ظواهرها بقرينة حكم العقل وقطعه وبتّه وهي محمولة على ارادة التعظيم والتكريم ، وان شخص يسوع من ناحية الالهولي الهداية والتعاليم ، فيجب اطاعته وامتثال امره كما يجب اطاعة الآله ماهي الّا لبيان ان له من الاله الرابطة الخاصه ، والنسبة الكامله ، وهي رابطة القرب اليه والزلفى منه ، والكرامة عليه ، والاّ فقد ورد مثل هذه الكلمات في حق غير عيسى من الانبياء ، كما في الخروج (١) في حق هارون خطابا لموسى ، وهو يكون لك فما وانت تكون له آلها — وقوله تعالى — لموسى ايضا : (٢) انا جعلتك الها لفرعون وهرون اخوك يكون نبيك . وعليه فلماذا لايقولون بالوهية موسى وهم يعترفون بنبوته وصحة عهوده . وليس المراد بكونه آله فرعون الّا بيان وجوب اطاعته لانه رسول الله واطاعة الرسول أطاعة المرَسل فيما به الرسالــة — والغرض — انا لانكاد نعرف وجها من عقل او شرع لهذا الغلوّ الذي دانت به الامة المسيحيه وانفردت به مع كمال عقولها ، وصحة افكارها ، ونفوذ خواطرها ، عجبا لهذه الأمّة وهي على ماهي فيه من وفور الحصة من الحصافه ، كيف جعلتْ هذه المقالة من اصول ديانتها وهي على ماهي عليه من وضوح الحال ﴿ ياأهلَ الـكِتابِ لا تَغلُوا في دِينِكم ولا تقولوا على اللهِ الاّ الحقّ . انّما المسيحُ عيسى بنُ مريم . رسولُ الله وكلمتهُ ُ القاها الى مَريم وروحٌ منه . فآمِنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثةٌ انتهوا خيراً لكم ، اِنّما اللهُ آلهٌ واحدٌ سُبحانَهُ انّى يكونُ لهُ وَلدٌ له مافي السموات وما في الأرضِ وكفى بالله وَكيلا ﴾ وانت لو تدبّرتَ وانصفتَ كفتكَ هذه الآية عن الخصومة ، واخذت لنفسك منها بين الفريقين الحكومــه ، وامثال ذلك كثير في كتاب الله فقد تأكّدتْ عنايته واشتدت رعايته في النهي عن هذه الغايله والاحتجاج على فسادها وشناعتها ، علما منه جل شانــه بما يترتب من المفاسد على تلك العقيده ، وبمــا اعمل الشيطان فيها على الخلق من المكيده ، وما فيهــا من العدوى والسراية الى اختلال ساير الاديان ، واذهاب استقامة جل المذاهب ، — انظر كيف دبّ هذا الداء العياء الى بعض فرق الشيعه فافترقوا فرقا شتى وابتدعوا طرقا مختلفه ، من (سبائية) و(خطابيه) و(اسماعيليّه) ونصيريه) و(حلاجيه) و(شلمغانيه) وغيرهم ممن ادّعى الالوهية في ائمة الهدى الذين هم اظهر عبيد الله في العبودية له والطاعة والانقياد اليه حتى انّ الامام جعفر الصادق سلام الله عليه لما سمع بمقالة الضال الشقي سعيد بن الخطّاب في حقه (ع)

ارتعدت فرايصه وجعل يبكي بكاء الثكلى حتى كأنّه كان يخشى ان ينزل عليه العذاب او تصيبه صاعقة فتحرقه حذرا من تلك المقالة فيه وكذلك قبله جدُّه عليٌّ عليه السلام لما سمع بمقالة ابن سبا واصحابه فيه خرّ ساجدا لله على الارض ثم رفع راسه (وقال

لمَّا رايت الامر امرا منكرا اجَّجت ناري ودعوت قنبرا

على ماهو مشهور في مظانه ثابت تفصيله في مواضعه ثم لم تزل هذه البلية تسري ء والمصيبة تجري ءمن اول الاسلام الى هذه الايام ء تحلُّ وبها تنحل. قوى ساير النحل ء وعيال وتتمالأ على كل الملل ء وتدبُّ على الخلسة والخفاء ء دبيب النملة على الصفا في الليلة الظلماء ء كما تحسّ بذلك لو تدبرت في جميع سلاسل الصوفيه في حق مرشديهم وروساء سلاسلهم ممن لايسعني ان ابوح بأسمائهم وانصّ على اعيانهم وشهرتهم كافية عن ذكرهم

وهكذا لاتزال تلك العقيده تصنع ذلك في ساير الاديان كلٌّ على اختلاف لحنه وتغيير عبارته او طريقته والجميع تحت رابطة اشراك غير الله في العبوديه ء وضمّ خلقه اليه في الألوهيه ء كلٌّ على نحو خاص به ء وطريق انفرد بابتداعه ء ومن ذلك ماحدث اخيرا في بعض الاماميه من الفرق المعروفة بالكشفيه والشيخيه ولعلَّها هي من بعض تلك الفرق الاولى قد تغيرت اسماؤها • واختلفت عناوينها • واماَ وعزَّة وحدانية الله انَّ جميع من ذكرناه ومن لم نذكره من هؤلاء انما شربوا من ذلك الماء ءواستنشقوا ذلك الهواء ء وما اخذوا ماعندهم من التعاليم ء الَّا من تلك الاقانيم ء وعليها نهجوا ء ومنها درجوا ء والا فشريعة الاسلام المقدسه بالنظر الى جوهرها • واصل كيانها • انما جاءت بالبساطة والمحوضة ء والخلوص والاستقامه ء جاءت بالتوحيد المحض • والتنزيه الغض • وما هو في شريعة العقل حتم وفرض • جاءت (بلا الـهَ الاّ الله لانعبدُ الاّ اِيّاهُ مُخلصينَ لهُ الدّينَ ولو كَرِهَ المشركون) ولكن شوّهوا جميل محياها ء ودنَّسوا صقيل سجاياها ء بما ادخلوه فيها من غيرها ء ومزجوه بها من مقالات سواها ء حتى عاد لايؤمن اكثرهم بالله الَّاوهم مشركون نعم عاد حضرة الحق عزّ شانه والوهيته المقدّسه وكأنَّها مسخرةٌ بالباطل ء وحلية كل عاطل ء ولعبة كل جاهل ء يدّعيها وتدَّعى لكل مخلوق ضعيف • لا بل كلّ من لو تأمل في نفسه لوجدها اقذر بالوعة او . . . ء وما هي بأحدى عجايب الدنيا وغرايبها فما زالت الاصنام من الجمادات والحيوانات من بدء الدنيا والى اليوم تُعبد من دون الله. ولكن موضع الاسف واللهف للموحدين من الأمم من الاسلام

والنصارى كيف رجع بعضهم الى عبادة الاوثان القهقرى ، وقد تقدموا بشرايع الله المقدسه فما بالهم تأخروا الى وراء ، والغرض ان ليس القول بالحلول والاتحاد ، الّا محض زندقة والحاد ، وكذا القول بالظهور والتجلي ، الّا على وجه تجلي قدرة الصانع في اثر صنعه · وظهور كمال الفاعل من كمال فعله ، لا كتجلي الحقيقة والذات ، او الصورة في المرآة (تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا) وبعد هذا كله فان جنحت الامة المسيحية للسلم فاجنح لها وقل (سلامٌ عليكم كتبَ ربكم على نفسهِ الرحمة ، ثم (قُل ياأهلَ الكتاب تعالوا الى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألاّ نعبدَ إلّا الله ولاَ نُشركَ بهِ شيئاً · ولا يتخذَ بعضنا بعضاً ارباباً مِن دونِ اللهِ · فإنْ تولّوا فقولوا اشهدُوا بانّا مُسلمون) وان ابوا (فقل لا اكراه في الدّين قد تبيّن الرُشدُ مِن الغيّ) ثم لاتذهب نفسك عليهم حسرات ، فقد جرى في الازل قلم المشيّة ، ونفذ قضاء القدرة · لِما هو اعلم بهِ من المصلحة والحكمه ، ان لاتزال هذه الارض معبدا للشيطان ، ومظهرا لشوكته · ومقراً لتخت مملكته ، يَستعبِد بها عباد الله · ويطاع فيها من دون الله · الا ترى ان الله سبحانه ارسل من الانبياء والمرسلين والاوصياء والصالحين منذ بدء الخليقه الى خاتم الحقيقه مايزيد على مراتب الالوف وايّدهم بالمعجزات القاهره · والآيات الباهره · فبثّوا من النصايح والحكم مايذيب الصمّ ، ويستنزل العصم ، ودعوا الى توحيد الله وافراده بالعباده ، وتنزيهه عن الشريك ، مبلغ وسعهم * ومنتهى جهدهم * وسفّهوا الاحلام * وضللوا الانام * في عبادة الاصنام ، واعادوا الحق اجلى للحسّ من الشمس ، ثم كان غاية كل عنائهم ونتاج جميع سعيهم · من اول الدهر الى هذا العصر انه لم تنجلِ الغبرة الا والوثنيون كما تراه اليوم اكثر من الموحدين باضعاف مضاعفه — فانظر الى رواج الباطل وانتشاره وكساد الحق وانكساره ، وتبصَّر ان كنت من اهل البصيرة · واعتبر ان كنت من ذوي العبره · والله وليُّ التوفيق لنا ولك وهو ارحم الراحمين * واعلم ان مسئلة الاقانيم خفيفة المؤنه لاتحتاج الى اقامة دليل وبرهان وتكلُّف اطالةٍ في البيان

وخلاصة القول فيها انها مع القول بالوحدانية جمع بين النقيضين وهو في الاستحالة والفساد من اجلى البديهيات واول الفطريّات ومع عدم القول بها يلزم التركيب المساوق للامكان او التعدد المستحيل اجتماعه مع الوجوب وقد مرّ عليك تفاصيل كل ذلك في فصل التوحيد فلا نطيل بالاعاده

ومثل هذه المقاله في الوهن والخطل المقـالة بان جميع الانبياء قد ارتكبوا الخطايا وان النبي المعصوم من الخطيئه ليس هو الآ عيسى عليه السلام ء امّا معشر الامـاميه فقد عرفت انهم جميعا يقولون بعصمة جميع الانبياء ولعل ساير المحققين من فرق المسلمين يذهبون الى ذلك ء نعم . الانبياء كلهم معصومون من كل خطيئه (لانفرق بين احد من رسله) وان تفاوتت مراتب كمالاتهم ومنازل قربهم من الله ولكنهم سواء في عدم ارتكاب المعاصي المحرّمه ومناهي الله المحتّمه لا فرق بين عيسى وغيره كلّ ذلك نظراً الى تنزيهِ الله جلّ شانه عن ان يرسل لتكميل الخلق من هـو ناقص في ذاته ويبعث مصلحا للانام من هو فاسد في نفسه فان ذلك قبيح عند العقـل والله جل شانه منزّه عن كل قبيح واناجيلهم تشهد بما ذكرناه حيث تقول في الثالثة عشر من (٥ متى) انتم ملح الارض ولكن ان فسد الملح فبما ذا يملّح لا يصلح بعد لشيء الاّ لان يطرح خارجا ويداس من الناس . وقريب منها ما في ٣٤ من ١٤ لوقا . وخلاصة القول ان كلا من الدعويين باطلة بحسب اسفارهم واناجيلهم اما انّ جميع الانبياء قد ارتكبوا المعصيه . وقارفوا الخطيئه . فقد عرفت ما يدل على بطلانها ويقتضي فسادها من قوله انتم ملح الارض والحكمة فيه مطردة ء والعلة ساريه . فلا يختص بمورده على انّ لها نظاير كثيره في العهد القديم في بني ابراهيم وموسى وهارون نعم في العهدين كثير ممّا ينصّ على ارتكاب جملة من الانبياء اشنع المعاصي كما تقدّم نقله في هارون من اتخاذ العجل ولوط في زناه ببناته وداود بالمرأة المحصنه زوجة اوريا الحثي ودفعه الى القتل لتخلص له حليلته وكثير من امثال ذلك (سبحانك اللهمّ وغفرانك) . ان ناقل الكفر (كما قيل) ليس بكافر . فكتبهم اذاً متعارضة والترجيح هنا لما وافق حكم العقل حيث يتعارض مع النقل سيما في مثل هذ المقام من اصول الاديان — واما انّ عيسى هو النبي المعصوم من الخطيئة ء فنحن نقدّم اليك اولًا انّا معاشر الاسلام انطق بحمده واعرف بجليل شأنه . وقرآننا الكريم اشد اعلاناً بمجده . واقوى اعتصاما بتنزيهه وعصمته . ولا نحيط برفيع قدره وعظيم حقه . ولا نحطّ من شانه ورتبته ء كما لا ننزله فوق منزلته ء ولكن نقول آسفين ان اولئك الذين يزعمون ذلك له . وينزلونه فوق المقام الذي انزله الله فيه قد نسبت اناجيلهم اليه الخطايا الكثيره . والمعاصي الكبيره . كما تقدم من نسبة شرب الخمر اليه . والعهدان يصرّحان بالنهي عن شربها ولا سيما في حق الانبياء المنزهين عن اللهو والباطل وهي من اللهو بالضروره مضافا الى

حكم العقل بقبح السكر وازالة الشعور البتّه . ومثل ذلك نسبة الكذب اليه والخلف في قوله معاذ الله من خطور ذلك في الخيال في حق رسل الله المكرمين وصفوته القدسيين راجع يوحنا تجده يوحي اليه . ويومي بل ينص علية . وهذان اصلان من اصول دياناتهم وقس عليها باقي اصولهم وفروعهم — وقد تقدمت اليك واطلعتك على دخيلة امري ، ونخيلة سرّي . واشهدت الله جلّت عظمته ، انه ما كان من نيّتي ، ولا من ركيزة قصدي . الاّ غض النظر . وغمض العين عن مساوي الاغيار والتعرّض لكشف ستارها . وابداء عوارها . ولكن (جنت على اهلهـا براقش)(١) اراد صاحب (الضلالة) ان يفضح فافتضح . وان يهتك فهُتِك . واصبح في أمّته والّته عين الصديق الجاهل . الذي هو اضر من العدوّ العاقل . وهو الذي ثلم عليها هذه الثلمه . واسال على رمولها ذلك السيل

رام نفعاً فضرّ . وحاول نصحا فغرّ =

صاحب الضلالة هو اضلّنا عن القصد . وصدّ بنا عن سبيل الادب والحشمه . وحاد بنا عن حفظ الحرمة والكرامه . وصيرنا نترامى بالمراجم ونتكايل بالمحاجم . وكان ذلك من ابغض الاشياء الينا . واشدّها وقعاً علينا . وما كان اغنانا وابعدنا مكانا . عن دفع القلم الى امثال هذه المخاضه . والقائه في حمأة تلك الاحوال والاوحال . ولكن الا . لاصفا عيش من كدّر صفونا . ولاحلم الله عمن اهاب بذهـاب حلمنا . حتى جرى اليراع بماجرى عفوا . واندفع الطبع بما سبق رسلا

(وعلى ايّ) فحيث جرى ذكر عصمة الانبياء — حسن بل وجب بعض القول فيها دفعاً لبادرتك بالانتقاد ، ومبادرتك بالايراد ، قائلا كيف تدّعون للانبياء العصمه وكتابكم ينطق بخلاف ذلك ويصرح في حق جملة من الانبياء بوقوع الذنب منهم والمعصيه فلماذا تقول بغير ما في كتابك ، وتخصّ الاناجيل بعابك ؟ — فاعلم هداك الله انّ علماء الاماميه من اوايل الاسلام الي اليوم قد اشبعوا القول في هذه المسئله وما تركوا فيها قدر قلامة ظفر من شبهة او ريبه ، وقد ذكروا لكل واحد من تلك المقامات التي اشرت انت اليها ونظرت معوّلا في الطعن عليها ، اجوبة تخصّها ، ووجوها تليق بهـا ولا

(١) مثل من امثال العرب وحكايته مشهوره في كتب الامثال ولعله لايخفى على ذوي الفضل لطفها

تتعداها، ونحن لا يسعنا ذكر تلك التفاصيل • وتعداد تلك الموارد • واحدا بعد واحد، فاطلبها من مشروعاتها، وخذها من مقاماتها، ولكنّا نعطيك الجواب العام الكلي الذي تنحل به جميع العُقد، وتزول به كل هاتيك الشُّبه، ويتضح لك به الفرق بين الموردين، وتعرف الميز بين عهدة القرآن وعهدة العهدين، واقيم عندك العذر بوجه واضح، بل بميزان راجح، في سبب قدحي لهذا ومدحي لذاك، وتوزيع انتقادي واعتقادي بين ذا وذاك، • هو ان النظر دلّنا، والفكر قادنا، ولم نجد بدّا من الامر الحتم والقول الجزم بانّ الدليل العقلي القاطع اذا حكم فيما له الحكم فيه ثم عارضه الدليل النقلي فهو امّا مقطوع على انه من واضع الشريعه، المعصوم من الخطأ والخطيئه ام يكون لذلك محتملا، والامر فيه بعدُ مبهما مجملا، ولا قاطع عليه — فامّا المقطوع انه منهُ فان كان من الظواهر التي تصلح للتأويل اوّلناه على ما يوافق الدّليل العقلي وارجعناه اليه على موازين تلك اللغة وقوانينها الخاصه بحيث لا يُعدّ غلطا بين اهل عرفها وذوي المهارة فيها ولا مجازا مستهجنا عند خطبائها، وفرسان البيان في ميادينها، وان كان من النصوص التي لا تصلح للتأويل، ولا تقبل الحمل والتحويل، ولا التغيير ولا التبديل فقد عرفت انا نعدّه من المتشابه الذي نؤمن به على اجماله، ونقول الله ورسوله اعلم بحاله، ولا نرفع اليد عن الدليل العقلي لمعارضة ذاك الدليل له ولا سيما الفطري الضروري، بحال من الاحوال وامّا المشكوك انه من صاحب الوحي، ومالك الامر والنهي، فوجود مثل تلك النصوص التي لا تقبل التاويل على موازينه الصحيحه وقوانينه الدائرة المعموله المعارضة تلك النصوص لحكم العقل القاطع، اقوى دليل وشاهد على عدم صدورها من ذلك العقل الكامل فانهما رسولان ظاهر وباطن، وكل

منهما لاخيه مصدق وموافق ، فاذا تحقق لديك هذا الامر الجلي ، وقام الميزان عندك في تعارض الدليلين العقلي والنقلي ، نقول في تحقيق التطبيق خذ ياصاحب الانجيل كتاب الله الجليل ، وأحص ماترى انه من ذلك القبيل ، فهل تجد اصرح وانص ، واوضح واخصِ ، في ارتكاب النبي للخطيئه والمعصية من قوله تعالى (وعصى آدمُ ربَّهُ فغوى) فانّ الغواية والمعصيه قد يُترائى انهُ ليس فوقهما لفظ في النصوصية والصراحه ومع ذلك فجهابذة المفسرين ولاسيما الامامية منهم . الذين يلتزمون بتنزيه الانبياء وعصمتهم قد ذكروا في هذه الآية من الحمل الراجح والوجه الصحيح ، مالا يكاد يرتاب فيه اعجميٌّ ولا فصيح ، وهو ان المعصية تستعمل شايعا في مخالفة الامر — والامر اعم في الاستعمال من الوجوب والندب وهذا لايشك فيه ادنى من له دُربة في المحاورات ، ودراية باساليب العبارات ، وان آدم (ع) كان نهيه عن اكل الشجرة نهي تنزيه وكمال ومعصيته عبارة عن تفويت ما هو الاولى له من الترقي في مراتب القرب ، ومنازل القدس ، ومحالّ الكرامه ، لا انه فعل مبغوضا لله في ذاته قبيحًا في حدّ نفسه ، وذاك انّ الله جلّت الطافه احبَّ لآدم ان يُعافى من دار المحنة والبلاء والتكليف ويُمتَّع في دار الراحة والخلد والنعيم فاختار آدمُ لنفسه غير ما احبَّهُ الله لهُ وترك الاولى به والاكل له فوكله الله الى عمله وما اختاره لنفسه وخشي آدم ان يكون قد غضب الله عليه وقضى ان يخلّده في دار المحنه ولا يعيده الى دار النعيم فبكى على خطيئته حتى تلقّى تلك الكلمات التي تاب بها الله عنهُ وغفر لهُ تلك الزّله واعاده الى دار قراره ، ونعيم جواره ، ولكنهُ (غوى) وما اكثر ما استعملت الغوايه بمعنى الخيبه فانهُ خاب من الرقيّ الى المقام الذي كان قد أُعدّ لهُ ولم يجد الله لهُ عزما وثباتا على ما يرشده اليه

ويدلهُ عليهِ من المصالح الغير الراجعة الى التكليف والامر المحتم ، وهذا معنىً لو لم يكن ظاهرا من الآية نفسها او بضميمة جميع ما ورد في قصة آدم من الآيات لكان متعيّنًا حملُ الآية عليهِ. واقصى ماهناك ارتكاب شيء من المجازات الشايعه التي لا يخلو شيء منها من شاهد في العرف واللغه .هذا كله مع الاغماض عن الدليل العقلي في باب عصمة الانبياء فكيف والحال ما عرفت أتراك لو تعبت وطلبت ، وفحّصت ومحّصت ، كل باب من ذلك الكتاب فهل تجد فيهِ نسبة الزنا بمحصنة او بمحرم او باجنبية او هل ترى فيه ان نبيًّا شرب خمرا ، او اخاف وعدًا ، او اتّخذ دون الله آلها ، الى امثال ذلك ممّا هو نصٌّ في معناه ، قصرٌ على موءدّاه ، لا تجد لهُ محملا ولو تمحّلت ، ولا وجها حسنا ولو اجتهدت ، قُلْ لنا (سدّد الله قولك) بايّ تأويل توءول انّ لوط زنا ببناتهِ بعد شرب الخمر او انّ داود زنى بزوجة اوريا ثم سعى في قتله ، — بجرمة الانصاف ، بذمّة الصدق والعفاف ، ايحسن عندك ، او يليق لديك ، او يساعدك وجدانك ، ان يكون مثل ما في ١٢ من ٤ حزقيا من ان الله تعالى امر حزقيال النبي ان يأكل كعكا من الشعير الذي يخبزه امام عيون بني اسرائيل على الخرء الذي يخرج من الانسان — انصف انت من نفسك ، وتدبر في ذات عقلك ، وانظر أهكذا ينبغي ان يكون وحي الله الى رسله ، وكلامه مع اوليائه واقسم لولا عصايب العصبيه ، واردية العادات الرديه ، لحكمت انت ايها الموسوي او المسيحي انه لو صدر مثل هذا الكلام من احد المخلوقين ، لعددته من السفلة المرذولين الذي هو من البذائة والدنائه بحيث لا يبالي بما يخرج من فيه ، ولا بما يقول ولا ما يقال فيه ، وهذا كله مما يدلك على ما قلناه من ان هذه الصحف التي يزعمون انها هي التوراة

والاناجيل ليست هي التي اثنى عليها الله في ذلك الكتاب الاخلاقي الادبي باللسان المبين العربي ، ثم انت تجد هذا الكتاب الكريم كيف اعلن بمجد الانبياء بكل بركة وتكريم تعميماً وتخصيصا ، وتصريحا وتنصيصا ، على آحادهم وجموعهم مجموعين في سور مجتمعه ، ومتفرقين في آيات متفرقه ، وهذا القرآن بين يديك ، وليس هو ببعيد عنك ولا بعزيز عليك ، ولعلك تحفظ اكثره ، وتسبر كل حين سوره ، فراجعه وارجع اليه ، واعمد له واعتمد عليه ، وانظر هل تجد من النَّصف والكرامه ، والصحَّة والاستقامه ، ان تجعل تلك الكتب والقرآن في قران ، او تقول انهما سيَّان ، حاشا لك وكلاّ ، والامر اوضح واجلى ، ولا اظن انّ الجهل او العناد ، يبعد بك عن الحق هذا البعاد ، او يحملك على المحال ، او يحلّك بتلك المحال ، وانت ترى هذا الكتاب الكريم ، والنبأ العظيم ، مامن آية من اياته او جملة من جمله او قصة من اقاصيصه ، او مَثَل من امثاله ، او حُكم من احكامه ، الاّ وهو يحتدم صراحة وِالاحة في الدعوة الى الله وتوحيده ، وتقديسه وتمجيده ، والبركة على انبيائه ، والترغيب الى الآخرة والتحذير من الركون الى الدنيا والحثّ على مكارم الاخلاق ، ومحاسن الاعمال • وعمل البرّ والاحسان الى غير ذلك مما سردت لك منه كثيرا ، وماكان نسبته اليه الاّ نزرا يسيرا ثم ترى تلك الكتب وليس فيها الاّ القصص البارده ، والحكايات السمجه ، والغض من انبياء الله وغمط حقوقهم ، والحطّ من شؤونهم ، نعم واعظم من ذلك نسبة الخلف والخديعة الى الله ، وسمة الانبياء واوصيائهم له تعالى بالكذب معاذ الله فانه من الكذب عليهم وعليه ، (ففي رابع ارميا فقلت ياسيدي الرب حقًّا انك كنتَ خدّاعا خادعت هذا الشعب واورشليم قايلا يكون لكم

سلام وقد بلغ السيف)وانا اقول يالالاسف وللحيف ' حقاً لقد كان الحزم والعزم ' والاجدر والاحرى ' بتلك الشعوب والامم ان تكتم هذه الكتب بعد ظهور ذلك الكتاب. او ليتها لم تفتح على نفسها هذا الباب وكان الأستر عليها ' صونها وسترها ' واعترافها بأنَّها ماهي بتلك الكتب الالٰهيه ولا المنزلات السمائيه 'وانَّ تلك قد ذهبتْ شعاعا ' وتلفتْ ضياعا ' وراحت ادراج الرياح فان ملوك الوثنيين كبخت نصَّر ومن بعده احرقوها ومزّقوها ' وما بقي منها الّا القليل ' والنضو الضئيل الذي ضُمّ اليه اضعافه 'وأُلاف آلافه. أليس الوثنيون الى برهة من بعد الميلاد ما انفكوا ينتحون تلك الأمم بالقتل الذريع ' والسيطرة القاهره ' والسلطة القاسره وكانت تلك الامم ولا سيما المسيحيه افرادا مستضعفه ' واغراضا مستهدفه طعمة كل آكل ' وطماعة كل آمل ' وكل ممارس للكتب ومدارس ' يعلم ان المسيح حين شالتْ نعامته ' وتلاشتْ دعامته ' وُصاب على ماترعم امّته ' ماكان عدّة من آمن به الّا شذاذ يحصيهم العدّ ' وتعدّهم انامل اليد امتُهنوا من فراعنة زمانهم وملوك اعصارهم بالاحفاء والاخفاء بالنفي والحبس بالطرد والعكس ' بالخنق والشنق ' بالقتل والبتل ' ومن هنا نقول نحن معاشر الاسلام انّ معجزات المسيح على نبينا وعليه السلام ماثبتت بالتواتر لِانّ شرطه بل قوامه وتمامه بتساوي الطبقات في امتناع التواطئ على الكذب وهو لايحصل الّا باخبار كثرة يعسر في العادة عدّها في جميع الطبقات ' وهذا لم يتفق لروح الله كما اتفق لحبيبه الذي هو اعزّ عليه من روحه ' فانّ من آمن به في حياته فات حدّ الأحصاء ' وطبّقت معجزاته الساميه في زمانه خطط الارض وسكاك السماء ' من الحجاز ومشارف الشام وسواد العراق وسكاّن البوادي ' وقطّان الفيافي من الرّحالة والظاعنه

وغيرهم فانّ اكثر هؤلاء تداكّوا على هذه الديانة تداك الهيم على الماء ، واعتنقوها اعتناق الهايم للمياء ، ثم مازالتْ الى قرون بعده تنمو وتسمو وتتحلى ّبالشرف وتحلو ، وانت تعلم انّ من اسلم منهم في زمانه وبعده بالرغبة والاختيار ،والامتحان والاختبار ، اضعاف من استسلم بالمحاربة والمحاوله والقتال والمناقله ، ومن استراب في ذلك فما عرف ولا تعرّف ، ولا انصت ولا انصف ، ولا سار في السّير ، ولا اقتفى العين ولا الاثر ، فأن المهاجرين الذين آمنوا به في مكة وما حولها قبل الهجره ، والانصار الذين بايعوه على العقبه ،ووفود العرب الذين كانوا يشدّون اليه الرحال عند بلوغ الدعوه والملوك الذين آمنوا به قبل ظهور النبوّه ، كلّ ذلك يدلّك على ماذكرنا من انّ انتشار دعوته ، وسطوع انوار نبوّته ، ماكان الّا لتجلي معجزاته واعجاز آياته ،ووضوح الامر في صدقه ، وظهور حقه ، وانه انمّا جرّد الاسنه وجرّ الاعنه ، وتحمّل في ذلك كل مهنه ، ساعة لم تنفع الحجج البالغه ،والآيات الدامغه ، والمعجزات البازغه ، ولم يجد بدا من نشر كلمة التوحيد ، وكسر شوكة الشرك وحفظ جامعة الايمان ، ودرء الشرور عنها ، ومن جرّاء ذلك تصاعد حتى ركب متون الصعاد ، وامتطى ظهور الجياد ، لجرّ الجلاد ، الى ان اعلى الله كلمته ،ونصر التوحيد وامته = امّا المسيح فما سامحته بشيء من ذلك ايّامه ، ولا اتّفق له من العناية ماتقدّمه في ظهور المعجزه ، وانتشار الدعوة اقدامه ، ولا نال من الجهاد في ذات الله ، والذبّ عن الاحديه المقام المحمود الذي بلغته الذات الأحمديه ،فانهُ جاهد في الله الجهادين ، وفارق الدنيا من البيضاء والصفراء صفر اليدين ، وما زال هو واهل بيته يشدّون على بطونهم حجَر المجاعه ، ويرون حجْرا عليهم مفارقة حِجر القناعه الى امثال ذلك من كثير سجاياهم ، وكبير مزاياهم ، وعظيم اخلاقهم ،وطاهر

اعراقهم، مما يدلك كل واحد منها على انهم املاك في زيّ بشر، وروحانيون في بزّة اجسام وصور، وقدّيسون طهّرهم باريهم من كل رجاسه، ونوّر عناصرهم بكل بركة وقداسه، وما اردت بما اوردت في ما قدّمت ورسمت الغضّ من المسيح معاذ الله والحط من شؤونه، او الخفض من رفيع مقامه حاشا لله وكلاّ، والّا فلا نلت من الحقيقة بعضا ولا كلاّ، والاّ فلا جرت اقلامي، ولا سرت بي اقدامي، كيف والمسيح روح الله وكلمته القاها الى مريم، وفضّله على كليمه موسى حيث يقول فى اكتهاله (واحلل عقدة من لساني) وهذا في المهد يتكلم، وللمسيح من تلك المعارج والمناهج مقامه الرفيع، وشأوه المنيع، وسعيه المشكور، ولكن يشهد الله ما اردنا الّا بيان الفضل والافضليه، والكمال والاكمليه، وفقًا وطبقًا لما قال جل شانه في عزيز كتابه (وَلقد فضَّلنا بعضَ النبيّينَ على بعض وآتينا داوُدَ زَبورا) وحيث جعل الله هذا النبيّ الاميّ افضل النبيين، واكمل المرسلين وجعل شريعته اكمل الشرايع نظاما، وارفعها مقاما، واجمعها لمصالح الدارين، واقربها لتحصيل السعادتين، لاجرم جعله خاتم الانبياء، وآخر السفراء، وجعل شريعته خاتمة الشرايع، واصفى المشارع، اذ لا شريعة اكمل منها في مجال العقل، ومنفسح الفكر، وحصافة الفحص، ومصاعة الآراء، كما اشرنا اليه من الحاجة في اثبات ذلك الى الموضوع الذي يبحث عن كلّ واحد من احكامها ومشروعاتها * اما اثبات ما ذكرناه من ان شريعته خاتمة الشرايع وانه هو صلوات الله عليه خاتم النبيين، فهو في غاية السهوله بعد اثبات اصل نبوته، وصحة دعوته، فانه موقوف على ورود النصّ منه بذلك، وقد قال جلّ شانه من قايل كما في سورة الاحزاب (ما كان محمدٌ ابا احدٍ من رجالِكم ولكن رسول الله وخاتمَ النبيّين)

وبعد هذا كله ، فالعجب كل العجب عجبا والله يذيب القلب ، ويذهل اللب : مايختلف على سمعي ، ويتعاور على اذني ، من ان الغربيين من المسيحيين قد نشروا في الآفاق دعاتهم . وبثوا في البلاد رسايلهم ورسلهم . يدعون الى الاخذ بديانتهم . ويرمون شريعة الاسلام المقدسة بوهناتهم . — قيل للجمل من اين اقبلت قال من الحمام قيل له صدقت هذا ظاهر عليك من خفك النظيف . ووجهك اللطيف . ووبرك الغير الكثيف وقدك المعتدل الاغيد . وجيدك الحيد الاجيد . — ومادري بماذا حجتهم . والى اي شي دعوتهم . ألى اقانيمهم الثلاث — والله واحد . ام الى قذف الانبياء بالمعاصي والخطايا وهم رسل الله بالمحاسن والمحامد . ام الى تحليل الخمر والخنزير وهي ام القبايح والمفاسد . ام الى جحود النبي الامي وهذا الانجيل شاهد . ام الى ترك الختان . وهذا العهد القديم ملء الاسماع والآذان . ام الى شرب الخمر على انها دم المخلص . واكل الفطيرة على انها لحمه المقدس . ام اشياء كثيره يلزم عندي كتمانها ولا يليق بيانها وانا لااريد عد تلك الشواهد لك ولا ابتغي سردها عليك ولكن بحق الانصاف وحرمة الشرف اترى ان محمدا (ص) حتى عند من لم يومن بدعوته ولم يصدق بنبوته لم يكن حفياً بتدبير امره قميناً بان لاينهتك بين الناس مصون ستره وفياً بأن لايظهر عليه معاذ الله الكذب الصريح . والخلف الفظيع بحيث لااقل من ان يكون من ساير البشر . وعامة الناس المتسترين في ظاهر الحال العارفين بموازين الافعال والاقوال — أفهل يدور في خيالك اويخطر في خلدك ان رجلا من متوسطي العقول . ومتعارفي البشر . يدعي لنفسه ذاك المقام الرفيع . ثم ياتي حاشا لله بشيء من الكذب الشنيع . ثم لايكتفي بان يقول للواحد والاثنين من اهل الملل ان اسمي موجود في كتبكم المنزلة من السماء . وقد بشر بمجيئي من جاءكم قبلي من الانبياء . حتى يأتي بوحي يتضمن ذلك يتلوه على كل سامع . ويردده في محافل الجوامع والمجامع . واليهود والنصارى الى جنبه . واحبارهم وقسسهم بقربه . والتوراة والانجيل ملء افواههم . وعلى طرف السنتهم وهم يسمعون قوله في وحيه الصادع . ونوره المبين الساطع . ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ﴾ وقوله عن عيسى (ع) ﴿ مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد ﴾ فلولا ان لهذا الامر واقع . ووراء هذا الحق حقيقه . لجاءوا اليه وقالوا يامحمد هذه التوراة

والانجيل فاين فيهما مايصرّح باسمك. واي بشارة بها تدلّ عليك بزعمك. ومن الواضح المسلّم انه صلوات الله عليه كان يانس اليهم ويحادثهم ويجتمع اليهم * حتى كان من الامتناع عن المباهلة وقبول الجزيه . ماتزول به كل شبهة ومريه ، وهذا برهان ساطع . ودليل على ثبوت البشارة به في التوراة والانجيل قاطع . والاّ لنقل الينا محاجتهم معه في ذلك مع توفر الدّواعي اليه والى نقله بل الذي نقل وشوهد هو قبول الجزية والامتناع عن المباهلة والمقاتله ، ثم ليس لك الرجوع في تلك الآيات هنا علينا قايلا بان هذا ينافض ما اسلفتَ قريبا من عدم كون ما في ايدي القوم من الكتب هذا اليوم . هي تلك التوراة والانجيل التي ذكرها القرآن . واعرب عنها بالشرف وابان . فانا نقول في الجواب عن هذه الكريمه ، وامثالها من كرايم هذا الكتاب . مما يدل بظاهره على وجود نفس التوراة والانجيل في زمان نزول هذا القرآن المبين ، وظهور هذا الدّين . من مثل قوله تعالى ﴿ قُلْ فأتوا بِالتوراةِ فَاتلوها اِن كُنتم صادِقِينْ ﴾ وقوله عز شانه (وَليحكمُ اهلُ الانجيلِ بما انزلَ الله فيه ومَن لم يَحكمْ بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون) ونظايرها = انا لانمنع بل نقول لعله يلزم ان يبقي الله منها في ايدي امّتها مقدار ما تتم به الحجه ، وتنقطع به منهم المعذره ، لطفاً منه في حفظ دينه ، ورأفةً منه برسله وعباده ، وهذا الباقي من تلك الاصول الصحيحه في غضون تلك الملفَقات الموضوعه ، هو موضع الاحتجاجات ، ومورد البشارات ، ومحلّ الامر بتلاوته ، لظهور الحق في طيّته ، واما قوله تعالى (فليحكم اهل الانجيل) فهو على التحريف ادلّ منه على عدمه فانّ ظاهره ان القوم كانوا يحكمون بغيره ويبعد ذلك الّا بان يجعلوا ما يوافق اهواءهم ومصالحهم انجيلا فيحكمون به تمويها على العوام انّ هذه هي احكام الله كما دلّت على ذلك آيات من هذا الكتاب الكريم اذا رجعت اليها وجدتها نصب عينيك وطوع يدك — . هذا مضافا الى احتمال ان يكون التحريف والتبديل قد تدرّج قليلا قليلا من بعد ذلك العصر الى هذه العصور بحيث قد بادت الى اليوم نضراوءها وخضراوءها ولم يبق منها الا اسماوءها فانك ترى بعض الكتب بحسب تعدّد المطابع تختلف كثيرا في قرن واحد فكيف بما يزيد على العشرات من القرون ولكن الذي يقوى لديّ بل يتعيّن عندي ان الانجيل هو الوحي الذي انزله الله جلّ شانه الى خصوص عيسى سلام الله علية الذي الّفه وجمعه هو في زمانه أو تلاميذه بمراجعته ومطالعته لا ما لفّقه والّفه اصحابه بعده باعوام متطاوله ، وقرون

مترامية من (بولس) و (مرقس) و(يوحنا) و(متى) و(لوقا) من الرسايل والصحف والضمايم التي لايبعد اندراج شيء من الانجيل الاصيل فيها ولكن بحيث ضاع جوهره ودرس اثره ، ولا يمتازمن ورقه ثمره ، وعلى العلاّت فنحن لانكاد نحتمل ولووهماً او نتخيَّل ولو خطورا ، ان شيئا من هذه الكتب منزلات من السماء او وحي من الله اوحى به الى الانبياء ، بعدماوجدنا فيها من الخلل والفساد ، في مضامينها ومعانيها والفاظها ومبانيها ، وما خالف صريح العقل وصحيح الوجدان ، ولم يكن فيهـا مايضطرُّنا الى التاويل والحمل على غير ظواهرها لو امكن في بعضها فان الملزم بذلك هو جهة اعجاز تدلُّ على انه لامحالة من كلام الله الحكيم المنزه عن القبيح وما يخالف ضرورة العقول فانــه لامناص لنا في مثله عن الحمل الصحيح ، واما اساطير تلك الكتب فقد عرفت انها تنادي بانها ليست من كلام الله ولا انبيائه — تناديك بذلك بغته ، وتبرأ من الوحي اوّل وهلــه ، وتتجافى عن ذلك المقام الرفيع لجأه ، ولا تصل بك النوبة الى تكلف التأمل والتأويل ، والتدبر في الدقيق منهـا والجليل ، اين الحكم اين الاحكام ، اين العلوم اين الاعلام ، اين العظات الزاجره ، اين الامثال السايره ، اين التقديس اين النواميس ، اين التحميد اين التمجيد ، اين التحدّي اين التوحيد ، اين الوعد اين الوعيد ، اين الاخلاق الكريمه ، اين الملكات العادله ، اين مالااحصيه من الشرف ، اين مالا اعدُّه من العدل والنصف ،

هذه الفجاجة والسماجه ، هذه الركاكة والفلاكه ، هذه العنجهيَّة والخشونه ، هذه البرودة والعفونه ، من الزنا بالمحصنات من نسبة الخداع والمفتريات . من الكعك الذي يامر انبياءه باكله . معاذ الله من ذلك كله . ولكن ياهل ترى من العدل ان يُعادل هذا بذاك او يوازن ، او يقارب منه او يقارن . = ولكن من لي بحَكَم بيني وبين صاحب تلك (الضلاله) وناشر تلك الجهاله الذي سوّد وجهه بتسويدمآت من الصفحات كلها اباطيل وترّهات — عساك ايها القـارىء الكريم من مسلم او مسيحي — عساك انت تنتصر للحق فتنتصف منه . عساك تكون حكَماً منصفـا . وقاضيا عادلاً ، وفيصلا قاطعا ، انظر واَحكم . واَضحك واَبك ، من قـولة : ان محمدا له المجد والشرف ، كان يعبد الاصنام ويميل الى الخضوع والسجود لها(١)

(١) لا يكاد ينقضي تأسفي وتعجبي من طبع كتاب كتلك الضلاله التي الصق بها اسم (الهدايه) ما اشد تعجبي من نشر كتاب كهذا في عاصمة من عواصم الاسلام (كمصر القاهره) ثم لاوازع

انظر القحّة وصلابة الوجه وقلة الحياء ، والصلف تحت الراعده .. أيقال هذا في شان تلك الحضرة الكريمة والقداسة الشريفه ، التي كرّزت حياتها ، وجعلت عمرها وقفا ورهنا على تكسير الاصنام ، وتنديد عبادة الاوثان ، وكان صلوات الله عليه ابغض شي اليه ، ذكرها والنظر اليها ، وكان لا يجلس في بيت فيه شيء من الاصنام ، وفي حديثه مع (بحيرا) الراهب في طريق الشام وهو ابن تسع او احد عشر سنه حين اقسم عليه باللات والعزّى فقال له النبي (ص) ما من شيء ابغض عليّ من هذه الاسماء ، ما هو مشهور ، وايّ ضروري في الدهر اجلى وابده من هـذا وهل كان في فضاء التصور وفسحة عالم الخيال اعظم فرية من هذه المزعمـه وهل هي الاّ خرافات تلك العصور المظلمه التي ذكرها (الكونت هنري) وغيره وهل يليق بنا ان نصرف نقدا من الوقت في تفنيدها وضلالها ، مع تلاشيها بنفسها وبطلانها بذاتها — نعم يلـوح لنا انّ (صاحب تلك الضلاله) لم يكن على شيء من الـدين بل ليس هو الاّ من الملحدين وهو (يسرُّ حسوا في ارتغاء) ، و(عن صبح يرقّق) يريد بتلك الكلمات ان يغيرنا ويحمينا ، (معاشر المسلمين) لنقول في قداسة السيد المسيح على ذكره السلام اضعاف تلك المطاعن وما هو اشنع وافظع ، ولكن طاش سهمه ، وضلّ علمه ، معاذ الله ان يستخفنّـا الجهل عن العلم. اونفلت من ايدينا امراس الدين والحلم ، معاذ الله ان نقابله بجهله ، او نخرج من الدين كخروجه = نعم ياصاحب (الهدايه بل ياصاحب (الضلاله) . اماً (محمد) صلوات الله عليه فقد عقدنا الجزء الثالث من هذه (الدعوه) لبيان سيرته ، وترجمة حيـاته ، من حين ولادته الى حين وفاته ، وسوف ينجلي هنالك الحق . ويضيء الصبح لذي عينين . ويستبـين الهدى لك ولقومك الذين تنتمي اليهم ولست منهم ولا كرامه ، قدر اظفور اوقلامه ، وعساهـا تظهر تلك السيرة الكريمه ، على طريقة ما كتب مثلها الكاتبون . ولا اصاب فلسفتها الباحثون على كثرة ما كُتب في سيرته ، ابّدَ الله مدى شريعته ،

= واما القرآن العظيم ، الذي جعلته مع ذلك النبي الكريم . هدفاً لسهامك الطايشه .

ولا مانع . ولا ثاير ولا زاجر وايّ حرية تحول ذلك ان كانت (الحريه) هي ان يتمتع كل انسان بحقوقه من دون ان يجحف بحقوق غيره وايّ اجحاف بحقوق المسلمين اعظم من نبز النبي والقرآن بكل افك وبهتان ولقد قامت قيامة اهل الغيرة والفضل يوم وردت نسخة من هذا الكتاب الى الزاوية المقدسة من العراق (النجف) وتصدى لدحضها بالحجج القاطعه افراد من عليتهم واوساطهم ومتقدميهم وساقتهم (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز)

ومرمى اسبابك بالبهتان والفاحشه . فقد اوردنا لك قليلا من كثير امره • ويسيرا من عظيم قدره . ودللنا اهل المعرفة والفضل = على مواضع اعجازه وبهره . والخامه وقهره . وبلاغته وفصاحته • وشرف معانيه ومبانيه . وربَّما تسعفنا العناية لعقد جزء نستوفي فيه بسط الكلام على تلك المقاصد باوسع ممَّا ذكرناه في هذا الجزء انشاءالله *وان اعجلتنا عن ذلك . ولم تمهلنا الى سنوح الفُرص ء ورمت المباهاة والمباهله • والمقايسة والمقابله ء فنحن نسألك ياصاحب الضلاله ء ايُّ الكتابين احق بالكرامه ء والبق بذي العزة والعظمه ء واحرى ان يكون شريعة إلهيه ء وقانوناً ربوبيا • وناموسا ابديًّا . لصالح البشر وغبطة عامة الامم — هل هو الكتاب الذي يقول (ما جئت لألقي سلاما بل سيفا) بكل معانيها المحتمله — ام الكتاب الذي يقول ﴿وَمَا ارسلناكَ الّا رَحمةً لِلعالمينْ﴾

الكتاب الذي يقول ﴿ما احللتموه في الارض يكون محلولا في السماء﴾ —ام الذي يقول﴿وَلَو تَقوَّلَ علينا بَعضَ الأقاويل ء لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾

الكتاب الذي يقول (المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنةً لاجلنا) ام الذي يقول (كلُّ نفسٍ بما كَسبتْ رَهينه) ويقول (الّا تزرُ وازرةٌ وِزرَ أُخرى وَان لَيسَ لِلأنسان الّا ما سَعى . وَانَّ سَعيه سَوف يُرى . ثم يُجزاه الجزاء الأوفى) الدين الذي يقول (اقانيم ثلاثه إلهٌ واحد) ام الذي يقول (ان هِي الّا اسماءٌ سَمَّيتموها اَنتم وآباؤكم ما اَنزلَ اللهُ بها مِن سُلطان) — الدينُ الذي اذا دخلتَ الى معابده ومقدساته ومواضع صلواته وجدت فيها من الصور المنصوبه • والتماثيل القايمه • والدُمى الماثله ءمايوشك ان يعيد لك عهد الوثنيه . والعبادة الصنميه • العهد الذي يتمثل فيه ابونا ابراهيم فيقول لنا (ما هذهِ التماثيلُ التي اَنتم لَها عاكِفون)

الدين الذي يعيد لنا عهد (اندرا) و(بوذه) و(كرشنا) تلك الآلهة المصلوبة على الخشبتين • المثقوبة اليدين والرجلين . التي كان يعبدها وثنيُّو الهند وامم الصين — أهذا الدين خير — ام الدين الذي قد تفانى في التوحيد وعبادة الآله الحق وتشدَّد حرصا على ابادة الاصنام وعبادة الاوثان . حتى حرَّم مطلق التصوير فقال في الحديث المشهور الذي اوشك ان يبلغ التواتر : (انَّ من اشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوِّرون) ثم لم يكتف هذا الدين الحنيف بذلك حتى حرَّم او استكره الصلاة في بيت فيه شيء من الصور اوالتماثيل وربَّما كان في البيت الستار وعليه بعض النقوش غير ذوات

الارواح من شجر او نبات فيقول يافلانه لِاحدى زوجاته نجِّيه عني هذه وكثير من امثالها تصلح ان تكون شواهد لك ياصاحب الضلاله على ان محمداً (ص) كان يعبد الاوثان او يميل الى عبادتها

أفحسبك كل هذا ياصاحب (الضلاله) ام تبتغي ما وراء ذلك وتلتمس مزيداً عليه . ولو اردتُ الاستبحار والتوسع في هذا الاسلوب لجئتك منه بكتاب ضخم . وقول فخم . وحديث جزل . وكلام فحل . يقتلع جذومك . ويقطع جذورك . ويرميك بالصلادم من بنات طبق . ويريك ايّ الفريقين احرى باللعنة واحق . ولكن حسبك هذا وان عُدتَ عُدنا . . . وكانت . . — انت يا صاحب الضلاله التي الصقتَ بها اسم (الهدايه) أفما كان الاولى بك ان تربع على ضلعك . وتعترف بقصور ذرعك . وتلبد على جروحك . وتشتغل باصلاح عيوبك . وتحتفظ على رعاية جارك لستر عوارك . ولا تغتدي كالباحث على حتفه بظلفه . والساعي بقدمه الى اراقة دمه . ألم يك حريًّا بك ان تترك الاسلام والمسلمين ما تركوك . وتسالمهم ما سالموك . ولا تعقّ امتك وملّتك بما تحسبه براً لها . ولا تصنع صنع العدوّ منها بما تظنّه اعود عليها . وانا نذيرك عن اهل الكمال والعرفان منهم انّهم برآء من عملك . ناقمون على سوء اثرك . مستاؤون من جنون جناياتك . وافاعي افاعيلك

ثم انت ايُّها الناكب عن الهوى . المرتاد نجعة الحقيقة والهدى . الطالب لدين الحق . بعد معرفتك انّ الدين هو السعادة الابديّه . والحياة الروحيه وانه هو الذي لا بدَّ لك منه ولا غنى بك عنه — انّ امكن الشهود بوثاقتك واملكهم لناصية يقينك واعظمهم وقعا منك واثراً في لبّك . ونفوذا في اعماق قلبك . هو الشاهد الذي يشهد لِاحد الخصمين مع مناواته له ومنابذته اياه . واصحاره بالعداوة معه والحيف عليه . والمجانبة له . والحياد عنه فانه والحال على هذا . لامحالة تزول التهمه . وتنقطع الظنّه . ولا يبقى مجال لخلجان الريبه . وضربان الشُّبهه . واحتمال المحاباة . واعتراض التشكيك . فتلك هي الشهادة المقبوله . والحجة القاطعه . اذا اردت ان تعرف ايّ الديانتين انفع واجمع ، وامنّ وامنع ، واقرب ان تكون شريعة آلهيه ، وامرا ربوبيا ، وقانونا روحيًّا ، وناموسا ابديًّا ، ولم تقنع بكل ماذكرناه وقدّمناه واردتَ مثل ذلك الشاهد . فدونك هذا البحّاث الشهير (شبلي شميل) وهو مَن تعرف امره في معاندة الاديان ومناواته لها اجمع . وعظيم عنائه وسعيه

وما يدأب به من الجهاد في ذات الالحاد • بيد انه كما هو جلي منه • من اشجع الكاتبين والباحثين في الاصحار برأيه • والإجهار بجرية ضميره • وهو على ما فيه من مماحكة الاديان كلها واعلانه بشنآنها وبغضائها ء لم يستطع صبرا ء ان اعترف بافضليَّة دين الاسلام على ساير الاديان من حيث جامعيته لكل النواميس الحيويَّه ادبيةً ومادية • وقد تكثَّر ذلك منه في مواضع من مجموعته الشهيره (بفلسفة النشوء والارتقاء) خذ مثالا منها ما نصُّه :

خذ مثالا شريعة القرآن فانها بين الشرايع الدينية • الشريعة الوحيدة العملية المستوفاة التي ترمي الى اغراض دنيوية حقيقيه • بمعنى انها لم تقتصر على الاصول الكلية الشايعة بـين جميع الشرايع بل اهتمَّت اهتماما خاصا بالاحكام الجزئيه فوضعت احكام المعاملات حتى فروض العبادات ايضا وهي من هذه الجهة شريعة عمليه ماديه وقال في موضع آخر : واعظم ما تركه الاسلام آثار ادبيه لخدمة الغاية الدينيه وقد فاق بهذه الآثار جميع الامم التي تقدمته • ثم يقول في غيره في طيِّ فلسفةٍ له عن المسلمين ولو بقيت وجهتهم في مجتمعهم • شريعة القرآن وحدها كما هي فيه لما قام في وجههم حايل يصدُّهم عن الارتقاء • وقد تقدم نقلنا قوله : شريعة موسى مادية عمليه ولكنها غير مستوفاة • وشريعة عيسى وان كانت حكما ومواعظ تعتبر اصولا كليه الّا انها نظرت في جملتها الى العالم الروحاني اكثر من الحياة الدنيا • بخلاف شريعة محمد فانها نظام اجتماعي عملي مادي قانوني حقيقي • انتهى وربما يوجد فيها غير هذا من امثاله فاني لم استقص النظر • ولم استوسع الفحص • وانما عثرت على هـذه الكلمات عثورا واصبتها عفوا • وليت مؤلف شمل الضلاله • حين ساوى من سبق في عدم الحرجة من الدين ورفض كلية المذاهب كان قد ساواه كذلك في الانصاف • والاجهار بالحق والاعتراف • ولو كبصيص النور في دياجي الظلمات المدلهمَّه • ليته عرف لكل انسان حقَّه • وقدّره قدره • ولم يُبخسه كيله • فـلا يجترء على قداسة محمد (ص) تلك الجراءه • ولا ينال منه ومن كتابه الكريم بتلك البذاءه • ولكن الخور وضعف العقل امرٌ وراء ضعف الدين

واذا كان في الانابيب ضعف   ظهر الطيش في صدور الصعاد

ثم بعد الاطلاع على كل ماذكرناه مما قدمناه ولم نستوفه ء فياهل ترى بعدُ من حجة او حديث على اهل التوحيد لاهل التثليث او تجد من سامع او مجيب • على داعي الصلاة لداعي الصليب

حاشالله وكلاّ الاسلام اجلّ واجلى . وهو يعلو في الحجة ولا يُعلى . الحق ابلج . والنهج اليه ابهج والطريق جَدَد واضح ما فيه عثار . ولا عليه غبار . فتبصَّر ان كنت تبصر . وتدبَّر واقبل ولا تدبر . — واقسم ان من ذكرناهم من الامم لو رفعوا عن عيونهم عصايب العصبيه . وخلعوا عن متونهم اردية العادات الرديَّه . لَصَبَوا الى هذه الديانة ولازدادوا بها يقينا . ولاَعتنقوها وما اتخذوا سواها شريعة الى الله ودينا . فحسبك حسبك ايُّها القلم . فقد اطلت واطنبت . وبعدَّت وقرَّبت . فعدِ عن هذا وعُدْ الى سياقة اوَّل كلامك . وتمام حجتك لنبيّك فقد انقطع بك السير وذهبتَ عن الغرض بعيدا فلنرجع بك على وشيك فوته — واعلم ان جميع ماسردناه من الكلام من اوائل هذا الفصل الى هذا المقام انما هو في حال معجزة واحدة من معجزات نبينا (ص) وهي التي اختص بها من بين الانبياء وحده . حيث بقيت هذه المعجزة بعده . ولم يُعهد لاحد من الرسل ذلك وهذا من احد اسرار خاتميَّته وهو احد الطرق التي قدَّمناها لاثبات النبوه ولكن هو طريق ما جعل الله السلوك فيه لغيره . وقد عرفت في ضمنه اثبات نبوته بالطريق الثاني وهو نص من قبله من الانبياء عليه والبشارة بمجيئه . ولم نستوف فيه الكلام اتكالا على الله في استيفاء موءلفات علماء الاسلام والصحف الاسلامية له حديثاً وقديما . وفي (منار الاسلام) الكثير الوافي منه لمن اراد ان شاء الله

واما الطريق الذي ثبتت بهِ نبوة جميع الانبياء لاممهم المتاخرين عن زمانهم الغير المعاصرين لايامهم ولا المستقين من فيض حضورهم ، وهو بلوغ معجزاتهم لمن بعدهم بالتواترات القطعية ، فقد شاركهم فيه صلوات الله عليه ولكن على اوفى قسم واوفر نصيب ، نعم قد تضافرت التواترات ، وتواصلت القطعيات بما صدر عنه من المعجزات ، وخوارق العادات ، التي انشق عجبًا بها القمر المنير ، وظلّلته الغمامة عن حر الهجير ، وسبّحت الحصيات في اصابعه ، ونبع الماء من بين اشاجعه ، وسلّمت عليهِ الغزالة وردَّت بعد الغروب اليه ، وانتقلت الشجرة امتثالاً لامره حتى وقفت بين يديه ، وسجد كل حجر ومدر مرَّ عليه ، وحنَّ الجذع له حنين الهايم ، وكلَّم الموتى وخاطبته البهايم ، واثمر

من ماء وضوئه الشجر اليابس ، وغرس من الاعواد فاينعت على الفور في الفلوات البسابس ، وارتج لولادته ايوان كسرى ، وما سقط زاده الله شرفه حتى اسقط من شرافاته اربعا وعشرا ، وما فاضت بجود بركاته حتى غاضت بحيرة ساوه ، وما اشرقت انواره حتى خمدت لهُ نار فارس ولم تخمد قبل بالف سنة ، الى امثال ذلك مما يضيق عن عدّه المقام ، ولا احصيه ولو كانت السماوات طروسا والملائكة كتّابا والاشجار اقلام ، كلّ ذلك قد صار بحمد الله اتماما للحجة امرا ضروريا ، وكاد ان يكون في البداهة شيئا حسيًا ، فان كنّا نشكُّ في وجود كسرى وقيصر وساير الامم السالفه والقرون الخاليه ، نشكُّ في وجود مثل هذه الوقايع — والقولُ بان هذه الامور قد ثبتت بتواتر المسلمين فلا تصير حجة على الخصم ، قولٌ ضعيف ينبعث عن رايٍ سخيف ، مدفوع بوجوه. كلٌّ واحد منها كافٍ في دفعه ، (امّا اولا) فانهُ ينسدُّ على هذا باب النبوات فلا يتسع لامة من الامم اثبات نبوة نبيها — فان امّة الخليل (ع) تنكر معجزات الكليم وامة الكليم تنكر معجزات المسيح بل جميع الطبيعيين والدهريين ينكرون جميع معجزات الانبياء والمرسلين — على المليين وليس الاّ بذلك الطريق ، تهوى اليهود ان تثبت نبوة موسي وتريد النصارى ان تنصر رسالة عيسى وكل امة لها في اثبات معجزات نبيّها هذا الطريق ، وليس لها سواه سبيل على التحقيق ، ولكنّه يعزُّ على قوم ويهون لآخرين (وامّا ثانيا) فحلُّ هذه العقده ، وكشف هاتيك الشدّه انّ المدار في مثل هذه الامور على الشياع والتواتر المفيدين للعلم القطعي او العادي ولا طريق غيره والخارج عنه خارج عن الاعتدال ، محجوج عند الحجاج والاستدلال — والتواتر هو كما سبق اخبار جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب عادة . ومن هنا يُعلم اشتراط تساوي الطبقات في هذه

الخاصه بحيث لو انتهى الخبر الى آحاد لا يمتنع في حقهم ذلك بطلت حقيقته وزالت خاصتهُ ولهذا اتّجهت منّا الحدشةُ والمناقشةُ فيما لو ادّعت النصارى وتمسكت بدعوى التواتر على معجزات عيسى (ع) وقلنا انّ الطبقة الاولى لم تبلغ الى تلك المرتبة لنزارتها ومعدودية افرادها . بخلاف معجزات (محمد)(ص) فانها لكثرة من آمن به في الحجاز واسياف اليمن واطراف الشام والعراق سوى اهل الاوبار والاشعار ونزّال القفار قد بلغت واستفرغت حدّ التواتر وزادت عليه لو ثمّة من مزيد . باضعاف مضاعفة لا يفي بها التعداد والتعديد . ولو لم يصدع الوحي الساطع . ويسطع الفرقان الصادع بمعجزات المسيح من ابراء الاكمهِ والابرص واحياء الموتى والتكلم في المهد صبيًّا . لما كان لنا طريق الى الايمان والتصديق بواحدة من تلك . ولا سلكت من معجزات الانبياء في سلك، فلك يارسول الله المنّة والفضل في ذلك على كل مسلم بل ومسيحي لو انصف . فانك قد ذكرت من قداسة شأن المسيح ما لم تف بهِ حتى اناجيل لوقا ومرقس ويوحنًّا ومتى من تلاميذه —وحقًّا اقول ان كرامة المسيح (ع) لاتحفظ الّا بحفظ كرامة محمد (ص) وصون مقامه وتقديس كتابه فلينصف المنصفون وليتدبّر العارفون —

(واما ثالثا) فكون تلك المعجزات ثبتت بخصوص تواتر المسلمين لا غير— ممنوع اشدّ المنع ، يحقّ لو غسلوه من كتبهم بالدمع . فان ذلك ثابت باخبار عامة الناس وساير الامم من اليهود والنصارى والمسلمين والجاهلية وساير المشركين في جميع الطبقات من عصره الى قرون بعده متطاوله بشهادة قروم من المورخين هي عند امّتها صادقة النقل . صحيحة الاصل يكفيك مثل شهادة الاب القديس والحبر القسيس العبري في مختصر الدول. راجعه في تاريخ دولة الاسلام تجده يصرّح ببعض تلك المعجزات

ويرسلها لرسول الله ارسال المسلمات(١)

ومن ذلك يظهر لك ان الامر فيها قد تجاوز حدّ التواتر وصار من الضروريات والمسلّمات ، وعاد منكرها على حدّ منكر الضروريّ الذي لا يتضح لديه بعده امر نظري ، وهذا امر يجده المنصف وطالب الحق بعيانه وحسّه ويشاهده بادنى امعان في النظر حيث لا تكون نفسه عدوّة له وهو عدوّ لنفسه ، والّا فانك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء . على انّ المعاند ان اصرّ على انكار تلك المعجزات فنحن معاشر الأمة المسلمه في مندوحة عنها فانّا بفضل الله تعالى نتمسّك بالكتاب الذي لا يشقى من تمسَّك به ، ولا يهي من اعتصم بالعروة الوثقى من سببه ، فانه سُلّم السلامه ، ومعراج الكرامه ، وهي المعجزة التي اختصّ بها نبيُّنا (ص) من بين الانبياء ، فانه قرّب الله وسيلته ، وتقبَّل في المرسلين شفاعته ، قد اختص كما عرفت من بينهم وحده ببقاء معجزته بعده ،

(١) واليك . نصُّ حروفه في صفحة ١٦٠ من طبعة اليسوعية عند ترجمة رسول الله (ص) ومجمل من تاريخ حياته وذكر كفالة عمه ابي طالب لهُ الى ان قال : وخرج به وهو ابن تسع سنين الى الشام فلما نزلوا بصرى خرج اليهم راهب عارف اسمهُ بحيرا من صومعته وجعل يتخلل القوم حتى انتهى اليه فاخذه بيده وقال سيكون من هذا الصبي امر عظيم ينتشر ذكره في مشارق الارض ومغاربها فانه حيث اشرف اقبل وعليه غمامة تظلله . انتهى بحرفه يالله وللانصاف . من ينصفنا من امثال صاحب (الضلاله) واخوانه الذين يعدّونه في الغيّ يريدون ان يستروا وجه الشمس باكفهم ويحجبوا النيرات باناملهم اليس هذه معجزة صريحه بشهادة كبير من قسسهم ء بنقل عالم من علمائهم ء وحبر من احبارهم ء في كتاب مطبوع بأشهر مطابعهم ء فماذا يطلبون وراء ذلك من الدليل والبيّنه

ولكن غلب الـــين منذ كان على الخلا ق وماتت بغيضها الحكماء
واذا ضلّت العقول على علـ م فماذا تفيده النصحاء

(وما تُغني الآياتُ والنذرُ عَن قومٍ لا يُؤمنون)

وقد نبهناك ايضا انّ معجزة النبوّة على الحقّ والحقيقه هي المعجزة التي يتحدّى بها النبي وتقارن دعوى الرساله كاليد البيضاء لموسى حين قيل له (ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنتَ من الصّادقين . فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين . ونزع يدَه فاذا هي بيضاء للناظرين) . وكناقة صالح وامثال ذلك — . ومعجزة نبينا (ص) التي اليها دعى وبها تحدّى . هي هذا الفرقان العظيم والقرآن الكريم . واما ساير معجزاته فهي كمالات وكرامات . وعلامات وامارات ، بعضها قبل ظهور النبوّه ، وكثير منها عند الدعوه ، وبعضها بعد تلك المقامات ، وكلها ليست من معجزات النبوّه بل إرهاصات وتتمات ، — انت اذا تدبّرت وتبصرت يكفيك شاهد واحد على صحة هذه الديانه — يكفيك مثابرة صاحب هذه الشريعه على نشرها ونفوذها وتحمّله احمال العناء ، واثقال الجهد والبلاء ، فكم قاسى لها الشدايد ، وعادى فيها الاقارب والاباعد . وكم تألّبَ وانتدب الزعماء من قبايله ، والكبراء واهل النفوذ من عشايره . لصرفه وكفّه عن هذه الدعوة الشريفه بانواع الصوارف والروادع من تخويف وتهديد . ووعد ووعيد ، وتقريب وتبعيد ، وجفاء ومجانبه ، وهجر ومعاتبه ، وبذل المال والامارة له عليهم بمواثيق وعهود ، وشواهد صدق وشهود . فما زاده كلّ ذلك الاّ حماسا في دعوته ، وحرصا على كلمته ، وغلواءً في طريقته ، وقد طفت وطفحت بكل ذلك كتب المورخين وكلمات المهرة والثقات من نقلة الاخبار ، دونك ماتواتر من مثل قوله لعمّه وكفيله ابي طالب وقد اجتمعت عنده كبّار قريش قايلين له يا ابا طالب ان ابن اخيك عاب ديننا وسفّه احلامنا وضلّل آباءنا فانهه عنا اوخلّ بيننا وبينه . فوعدهم جميلا ثم عادوا اليه . وقد اشتدّ غيظهم وقالو ان لم تنهه نازلناه واياك فبعث اليه واعاد كلامهم عليه

فظن النبي ان عمه عزم على خذلانه فشق عليه ذلك وقال يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا الامر ثم انصرف وهو يبكي فناداه عمه قل ما احببت فوالله لا اسلمك ابدا(١)

اقول الا بذمة الحق وحرمة الحقيقه ، وشرف الصدق وشهامة الانصاف وشهادة التعقل ، اترى يا رعاك الله وهداك — انه ليس لهذا الامر من واقع . وليس وراء هذه الصورة حقيقه ، وان هذه الشده ، والحماس والقوه ، كان من محمد (ص) وهو على غير يقين من امره ولا ثقة بدينه . ولا قاسر الهي من ورائه ، وانه بشر من ساير الناس إفترى معاذ الله فرية على الله فصبر لها هذا الصبر ، وثابر لرواجها تلك المثابره ، وكابر العالم كله عليها تلك المكابره ، اذاً ما انصفت في الحكومة ولا تلطفت في الفكره ، ولا تدبرت ولا تدربت ، ولا عدلت ولا اعتدلت ، انت واختيارك ، انت وانصافك ، انت ومروتك ، انت وما ترضاه لنفسك ، انت وما تجده في وجدانك وحسك ، لا بل انت وربك فالله حسبي وحسبك ، اما انا فقد خرجت لك من العهده ، ومخضت وطاب المطالب ثم محضت لك الزبده ، ولا اظنك بعد هذا كله تبقى من امر النبوة على ريبه ، كيف وقد اشرت لك الى الوجوه البعيدة والقريبه ، واثبت لك الدعوى بصغراها وكبراها ، وجمعت عندك شؤون الحقيقة اقصاها وادناها ، واولاها واخراها واقمت لك لتحصيل اليقين الاقناعيات والبراهين ، ولقد كان يكفيك دون الذي ذكرناه وقدمناه بكثير ان كنت طالبا للحق والهدى بصدق النيه ، وصحيح البصيره ، ونافذ العزيمه ،

(١) سيأتي تفاصيل هذه الامور على الدقه والفلسفه والبسط والاستيفاء في الجزء الثالث ان شاء الله

وعصيان الشيطان والعصبيَّه ، وان كنت وعافاك الله من المصرّين على العناد المعادين للهدى والرشاد ، الذي يأبى الا ان يكون للحق جدّ جاحد ، فالكلام معك من العبث لأنَّا نضرب منك في حديد بارد ، وانت تعلم اصلحك الله كيف يبلغ الشقاء بالانسان ، والى ايّ مقام تبلغ به طاعة الشيطان ، فانّ امم الانبياء كانوا ينظرون الى معجزات رسلهم عيانا . فما يزيدهم ذلك الّا كفرا وطغيانا . يرون صالح الانبياء . يخرج الناقة العشراء .. من الصخرة الصمّاء . نصب عيونهم . وحسب اقتراحهم . وطلبتهم . ثم يرعون ويتّمعون عصرا في عميم بركاتها . وعظيم خيراتها . ثم تترادف النذر والوصايا من ابيها بحسن رعايتها . وحفظ حرمتها . فيكون جزاؤه وجزاؤها . ان يُمنع ماؤها . ويذبح فصيلها . وتعقر عراقيبها واصولها . هذا صنيع الامم بانبيائهم . وقس على ذلك ساير انبائهم . وامعن في الفكرة طلبا . وان استطعت بعدُ كُفت من ذلك عجبا . انّ معجزات محمد (ص) ما زالت تتوالى وتترادف . وتتزايد وتتضاعف لقومه وعشيرته . من حين ولادته الى وقت ظهور دعوته . حتى صار الامر عيانا . والحقيقة وجدانا . ومع ذلك كله فلم ينجع في مشركي اقوامه . ولا نفع في جاهلية ايامه . وما ازدادوا الاّ جحودا وكفرا . ولا شروا الّا شرًّا . وقد اعرب الوحي عن اصرارهم على الكفر . مع وضوح الامر من توالي الحجج وترادف البيّنات وانّ ذلك لا ينفع فيهم ولو أنزل الله عليهم الملائكة وفُتحت لهم ابواب السماوات . حتى قال جلّ شانه في بِيان تناهي امرهم في الطغيان والعناد (ولو نزّلنا عليك كتاباً في قِرطاسٍ فلمسوهُ بأيديهم لقالَ الذينَ كفرُوا اِن هذ الّا سحر مبين) وزاد زيدت علينا الطافه (وَلو فتحنا عَليهم بابًا من السماء فظلّوا فيهِ يعرجون . لَقالو انمّا سُكِّرت اَبصارُنا بل نحنُ

قَوم مسحورُون) ومن هنا يتضح لك فساد قول من زعم انه صلوات الله عليه ما جاء لقومه بمعجزه ولا اجابهم الى اظهار آيه ، سبحان الله ما اشدَّ العمايه واشنع الغوايه ، تمسكاً بالاباطيل ، وصرفًا لظواهر بعض الآيات الشريفه الى ما يوافق اهواءهم من التأويل ، وتغاضيا وتغافلا عن نصوص الآيات الصريحه في عظيم الآيات ، وكبير المعجزات التي جاء بها صلوات الله عليه ولم تنفع بهم ، ولم توءثر فيهم ، كقوله تعالى (وَمَا تأْتِيهم مِن آيةٍ من آياتِ ربّهم الّا كانُوا عَنها معرضين) وقوله جلّ شانه (أُنظر كيفَ نُصرِّفُ الآياتِ ثُمَّ هُم يصدِفون) والغرض من هذا البيان الاخير الذي اردنا الوقوف عليه في فصل النبوّة ان اكثر الامم ما آمنت مع ما شاهدَته لانبيائها من عظيم المعجزه فكيف نطمع ان توءمن الناس كلها لنبيّنا بما ذكرناه من هذه البيانات الموجزه .

با كه كويم درهمه ده زنده كوست سوي آب زندكي پوينده كوست

وما كان غرضي وبغيتي من كلّ هـذا العناء ، وطول ما اوردت في هذا الفصل من الادلة التي هي اوضح من الشمس في وسط السماء ، ان يجيب دعوتي كلّ من وعاها ، ويتبع هذه الشريعة المقدّسه كل من رآها ، بل قلت في نفسي صيحةٌ في واد ، ونصيحة من صميم فوءاد ، وخالص وداد ، عساها تصادف محلا ، وتصيب اهلا ، من طالب حق ، وصاحب عزم وصدق ، يهديه الله بهذه الذباله ، ويقتنع من الحثّ بهذه الحثاله ، فيكون ممّا عنيت بجمعه امس ، خيرا لي عند الله ممّا طلعت عليه الشمس ، وحيث بلغ الكلام بنا الى هذا المقام ، فليكن هذا آخر هذا الجزء وتمام هذا الفصل ولْنَقف عليه راغبين الى الله جلّت نعماوءه لنا ولك في حسن التوفيق والهداية ان شاء الله

﴿ختم الله لنا ولك بالحسنى . ايها المحسن الينا بالنظر في دعوتنا﴾

انّنا نريد ان نختم هذا الجزء ببيان عدة امور ، نجعلها نافلة وتعقيبا . ونستودعها من انصع النصايح نصيبا . ضمن تتمات مهمات . تُدعم ما تقدّم . وتُرفد ما سبق ، مرافدة الكف للساعد ، والزند للعضد ، تسمو انجلاءا . وتنجلي سماءا . وتجهّز الك من البيان ما تقطع جهيزته قول كل خطيب . وتعطي لباب الحق لكل لبيب .

نصايح اراها لازمة الاتباع ، واجبة في ناموس الاجتماع ، مفروضة في قواميس الشرايع الإلهيه ، ونواميس الانسانيه ، ومقاييس البشريه ، وعلى هاجس كلّ ذي ضمير ووجدان — ﴿الاولى﴾ انت اصلحك الله واياي . ما اظنُّك الاّ جد خبير بما عليه هذا العالم المحسوس ، الذي يعبَّرُ عنه في القديم (بعالم الكون والفساد) وما اصدقها عليه من تسميَة . انت تعلم انه مهما بحث الباحثون ، وتعمّق الحكماء والفلسفيون ، وتغلغل الاثريون ، يتلمّسون العثور على بصيص نور من حقيقته . ويلتمسون التماع بارقة من جوهره ، لا يزدادون الاّ حيرة وتدلُّها ، وبهرا وتعجبا فكلّما ابرقتْ لهم بارقة امل ، اخفقت منهم جانحة سعي ، وكلّما تقدمت منهم قوادم رجاء ، نكصتْ بهم اعجاز يأس ، فهم والحقايق كواقف على طرف لجيٍ تيّار ، لا تنفكّ تغمره موجة بعد اخرى ، اذا انحسرت عنه واحدة فتح عينيه واجال بصره في فسيح هذا الفضاء الغير المتناهي وقبل ان يتعرَّف شيئا من تلك الكاينات الرايعه ويتمتع بالنظر اليها = اندفعت عليه الثانية فارتطمتْ عليه في آذيّها ، ودفنته تحت طبقات تلاطماتها ، فلا يزال بين ظلمة ونور ، وموت ونشور ، حتى تودي به احدى تلك الغمرات ، وتلقيه في اعماق تلك اللجج ، وتلحده تحت اطباق ذلك الثبج

سبحتُ في لُجّك علّي ارى عارفةً تكشف لي سرّا

فلم اجد ثَمّ سوى موجة تدفعني فيه الى اخرى

تجد هذا الكون ومليكه الانسان ، وكأنّه مضطرّ في صورة مختار ، ومسخَّرٌ في هيئة مستقل بالاراده ، حرّ في المشيئه ، مستبدّ بالملكوتيه ، وكلها وهمٌ في وهم وخيال في خيال ، ما اسرع ما تنقشع سحابتها ، وتنجلي عمايتهـا ، — ولا ادري اتنجلي غبَّ ذلك ام تتكاثف ، وتضعف ام تتضاعف ، (كلمتي) انك تجد الانسان على راسخ ما يزعمه ويعتقده لنفسه من الاختيار والتدبير ، وامتلاك التبديل والتغيير

في اوضاعه في طباعه ء في خَلقه في خُلقه ء في حياته الاجتماعيه ء في نشأته الادبيه في عاداته في عباداته ء في ساير طقوسه ومعتقداته ء ولكن وهو في عين هذا الزعم واجواز هذه الفكره ء وفي عقدة هذه العقيده . لا تجده الاَّ مدفوعـا الى طرايق وخلايق كأنه مجبور عليها . مسوق بالقسر اليها ء لا تضعه عن تلك الخليقة الف عِظه ولا يصحو بسماع الف نصيحه — نعم قد قال ذلك الفيلسوف العربيّ ونِعم ما قال

غلب المين منذ كان على الخلـ ـق وماتت بغيضهـا الحكماء

يكتب الكاتبون ء ويبحث الفلسفيون ء وينصح الصلحاء والمصلحون ء ويجهـد علماء الاخلاق واطبَّاء المجتمع البشري في بيان العلل والامراض ء والعلاج والـدواء والاسقام والشفاء ء ولكن هل نجع شيء من ذلك او نفع ؟ وهل دفع او نفع ام هل كبح من ذلك الجماح ء واثّر شيئا من الصلاحِ ء وهل تغير وضع هـذا الكاين البشري عن خليقته الاولى ء واطواره المتقادمه ؟ اليست هذه النفوس بعد على غلوائها لا تزال تترامى في مهاوي اهوائها ء وتتعادى على عوايدها وعدوائها ء

هل جفَّت الارض يوما من وابل الدماء البشريه التي يطلّها الانسان من اخيه الانسان وماتمزّقه مخالب عدوان البشر من اهاب البشر ؟ هل صلحت الأرض في قرن من القرون اوعقد من العقود ء او برهة من الزمن ؟ كم قرع باب سمعك حديثُ وضع السلام على الارض ومجالس التحكيم ء ومؤتمرات السلم في (لاهاي) فهل وجدتها سوى تموُّجات في الهواء ء كأنّها نقوش على الماء ؟ هل اَستطاع النطاسيون ء والمهرة الاخـلاقيون . والرجال المصلحون ء ان يضعوا لجشع الحرص والغلب ء والاثرة والاستملاك حدّا محدودا ء وسياجا حصينا . واطارا منيعا . وسورا شاهقا لا يخرق ولا يفتق ولا يتسلق بسلالم الحيل ء ولا يُرتقى بمعارج الخداع ؟؟ هل اتّسع لرجال الاديان وزعماء الملـل ان يحملوا الامم على التساهل الديني ء والعدل الإلهي ء والخطَّة المثلى ء والسنَّة المستقيمه التي لا ترى فيها عوجا ولا امتا ؟ هل اَمتلكوا اقناع اهل الاديان انّ اديانهم لاتبيح لهم التورّط في التعصب ء والتهالك على التهارش ء والهملجة في الغُشم والظـلم ء والدعارة والفحش ء والتلاكم والتسابب ء والتنابز والاغتياب . وايذاء كل واحـد لاخيه ء وهتكه لنواميسه المحترمه ء وشعايره المقدّسة ؟

هذه عدة اسئله — ولا اعرفها سياسية او دينيه ء اخلاقية اواجتماعيه . كما لا اعرف شيئا من حقيقة امرها ء ولا جانبا من جواباتها . اذ ليس لي وقوف على اندية السياسه

ولا المامَ لي بصحف الحوادث ووقايع الاكوان فعسى ان يكون عندك خبر منهـا او اثارة علم عنها ء — سوى اني ما اظن ان تسمية هذا العالم بعالَم (الكون والفساد) الاَّ تسمية قد طابق الاسم بها المسمى · وطاح السبر بها على الجراح (وعلى ايٍّ) لحيث ان الكون على ما سبق الك — كله مدفوع بدوافـع قسريَّه ء ومشاهد محسوس · ولكن تتصرّف به علل واسباب غيبيه · فالكاتب جرياً على ذلك الناموس يندفع الى كتبه ونشر كلمته — اندفاعَ كلٍّ الى سبيله وسيره في صراطه وجرية على نهجه الذي يُسِّر له وسيق اليه ء وكأنه لا يستطيع عنه تحوُّلا ولا انتقالا — وها انا ذا قايل مقالتي · ناشر فكرتي · باثٌّ دعوتي · على علم مني انَّها صرخة في واد · ونفخة في رمـاد ء — وحيث لا يعرف الدّواء الاّ بعد معرفة الداء ء ولا يصاب العلاج الاّ وراء اصابة السقم · لجدير ان نبحث لمعرفة هذا المرض الاجتماعي اعني تقاطع رَحِم الاخوَّة البشريه · وذهاب الرّحمة الانسانيه ء — نريد ان نعرف هل ان عواطف الشفقة والحنان والرحمه ليست سوى حروف في المعاجم · وتقاطيع اصوات على اطراف الالسنه · ما خلق الله في الخارج منها حقيقه · ولا جعل في الاعيان لها مصداقا · ام هي غرايزُ اودعها الله في البشر · وغرسهـا في الطباع · ولكن مُحقتْ آيتُها · وازهقت حياتها · وتبدَّلتْ تلك الغرايز باضدادهـا · واصبحت الانسانية تنشد ولا سامع ولا مجيب قائلة

الى كم الرحم البلهاء شاكية لها من النعي إعوال وارنان
حيرى يضلونها ما بينهم ولها منَّا على عدواء الدار نشدان
النجر متفق والرأي مختلف فالدار واحدة و الدين اديان
وثَمَّ اوعية الاحسان مكفأة فوارغ ووعاء الشر ملآن
أنّى يتاه بكم في كل مظلمة وللرشاد امارات وعنوان
ميلوا الى السلم ان السلم واسعة واستوضحوا الحق ان الحق عريان

واو ذهبنا الى التوسع والترامي من سبب الى سبب ومن علَّة الى علة من سلسلة هذا البلاء · وعلل هذا الداء · لطال بنا الكلام · وتباعدنا عن الغرض · ولكننا نشير الى اقرب اسبابه واظهر مباديه وينابيعه ·

ان البلية على هذا المجتمع التي قضت عليه بالشقاء · وطول البلاء · لا تعدو رجلين — رجل نازعٌ الى مذهبه · مستمسك بدينه · مستشعر بشريعته · ولكنه جاهلٌ بها قاصر فيها · ضعيف الحظ من عرفان جوهرها · واستكناه حقيقتها · فلقصوره وجهله يريد ان ينفعها فيضرها · وان يحييها فيميتها · فيخرج منها اكثر مما يدخل فيها · وآخر ليس له الٌّ ولا ذمّه ، ولا يرى لدين من الاديان حقيقة ولا صحّه لايدين الأ بمناوأة الاديان ، ولا يهدأ الا بهدم تلك الاصول والاركان · فهو يتوصّل بكل ذريعه · الى قمع كل شريعه · ومن تلك الذرايع فيما يرتأي له ان يزرع بذور الاحقاد والاضغان بين اهل الأديان ويحرّش ما بينهم حتى يلقحها حربا عوانا عليهم وعلى ايّ الفريقين دارت الدائره · وبايّهم حلّت الوقيعه ، كانت له الغبطة والغنيمه · والفرحة والبشرى · وهذه احدى مكايد الغربيين لنا معاشر الشرق وحبايلها التي تمدها لاصطيادنا وتقسيمنا · حتى اوشكت (لا سمح الله) ان تظفر ببغيتها · وتحصل على آمالها ، يجيء غربيٌّ ملحد يخفي اسمه ، ويكتم نفسه ، وينشر كتابا بصفة انّه مسيحيٌّ (ولا وربّ المسيح) ما هو من المسيحية في شيء ، فيضع في دين الاسلام والنبي الطاهر الامين ، = كل همز ولمز ، وسبّة ونبز

وسعى اليّ بعيب عزّة نسوة جعل الإله خدودهن نعالها
نعم لولا اكتساب الحاسدين بنعله شرفا لقال المجد طأ آنافها

ثم ليس كل المسلمين يصبر على ذلك او يملك السكوت عليه ، ولا اذا اراد ان يتكلم يعرف من اين تُوكل الكتف وكيف تُسدّد النبال للنضال ، فيكيل بذلك الصاع ، ويطعم من ثمر ذلك الغرس وحصاد ذلك الزرع · واشوى شَريّه · واهون حاليه · ان يكافي السيئة بمثلها ولا يربيها ويزيد فيها · فيتحامل على سيادة المسيح وقداسته ويقول فيه ما تعلّمه من قِبَل امّته في اخيه حبيب الله محمد سلام الله عليهما ويسيء نكاية في كل شعاير تلك الملة من انجيلها ومريمها وصليبها وكنايسها ورهبنتها وتعميدها وفصحها وساير مقدساتها · ثم يشتد بين الفريقين التشاتم حتى يصل الى ما هو اسوء من التلاكم والتلادم ثم قد يتسع الخرق ويعسر الرتق وهناك العاقبة الوخيمة (لا سمح الله) و(غايتي) اننا لو رجعنا — ليس الى جوهر دياناتنا فحسب — بل ولو الى حواشيها واطرافها ودخايلها ولصايقها لم نجد فيها شيئا يبيح لنا بعض ذلك فكيف بكلّه · من ذا يجهل انه ليس من دين المسيحيه جواز ايذاء المسلمين وهتك نواميسهم والطعن في نبيّهم

وكتابهم كما انه ليس من دين الاسلام مسُّ شرف المسيح واحتقار صليبه وامثاله مما عُني اليه وجُعل من شعائر دينه بَلْه الانجيل والتوراة والكنيسة والعذراء — قل لي بابيك لا بل بربّك — ايُّ الديانتين تبيح ذلك الخُلق الوخيم والتعصُّب الذميم — المسيح الذي يقول في وصاياه: كن كالشمس تطلع على البر والفاجر والطيّب والخبيث — ام الحبيب الذي يقول في جوامع كلمه: اصنع المعروف مع اهله ومع غير اهله فان لم يكن من اهله فكن انت من اهله — الانجيل الذي يقول: سمعتم ان الانسان عين بعين وسنٌّ بسن واما انا فاقول لكم لا تقاوموا البشر بل من لطمك على خدك الايمن فحوّل له الآخر. ومن اراد ان يخاصمك وياخذ ثوبك فاترك له الرداء ومن سخّرك ميلا فاذهب معه اثنين — ام الفرقان الذي يقول (خُذِ العفوَ وأْمرْ بالعُرف وَاعرضْ عن الجاهلين) (ولئن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم بهِ ولأن صبرتم لهو خير للصابرين) (واذا ماغضبوا هم يغفرون) (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون ايام الله)

اَلا بعزة الدين. قل لنا ايّ هاتين الديانتين تسمح لأهلها بكل ذلك التعصب والتضارب. ثم اليس من العجب مع كل تلك الآيات مايحاوله ويومي اليه بعض كتّاب المسيحيين من ان العلم يحكم بالتساهل ولكن الدين لايساعد عليه نازعا الى فصل العلم عن الدين في فلسفته وتلك الآيات الذهبيه نصب عينه وقيد نظره. امّا نحن فالدين الذي لايتمشى مع العلم ويتكاتف واياه. لاتجدنا الآّ ضاربين به عرض الجدار وان كنا لا نستقبله بالمهانة والاحتقار. سيما اذا كان إلهيا ولو في بعض الازمنه. بل نقول انّ الدين فيما عدى التوحيد كالماء الزلال يتشكل باشكال ظروفه ومظاهره حسب اقتضاء الاحوال. وهل يستطيع العلم هنا ان لا يرافق الدين ويوافقه

ويلي عليك وويلي منك ايها الانسان — ما اتعسك واشقاك. وما تعاستك الاّ مما جنته يداك (يداك اوكتاوفوك نفخ)

العناية لا تزال تبعث الخاصة من صفوتها والصنيعة على عينها. لصالح هذا الضعيف المتمرد = المختلف هو في نسبه ألى آدم. ام الى مجتمع اصل يتفرع منه هو والقرود تجهد العناية في اصلاحه على تعاليمها ومساعي المندوبين من سفرائها. فينقسم ذلك التعيس على نفسه طائفتين = واحدة تكذّبهم جهارا. وتسومهم هونا وصَغارا وذلّا واحتقارا. واخرى تصدقهم في ظاهر الحال ولكنها تتلاعب بتعاليمهم تلاعب الصبية بالاُكَر. او الريح باعالي الشجر. حوّرت تلك الحقايق عن اصولها الى طبق

اهوائها • وأمّتْ بها الى غايات انفسها لاالى جواهر غاياتها • (وهكذا فعل الانسان وهكذا لايزال يفعل) الكاتبُ يكتب . والمصلح يصرخ ، والناصح يصيح حتى يبحّ ، امّا البشر فكلّ واحد يسير على ماتوحيه اليه آلهة طباعه ، وما يتنزل عليه من سماء اهوائه، كلٌّ يسير فيما يتيسر له ، ويجري على مايجرُ بزعمه منفعته ، سابح في غمرة، صاحٍ في سكرة، (لايدري بما في الانجيل) ولا بما في القرآن من عظة او بيان ،

اتلو صحايف وجنتيك وانت في سكر الصبا لم تدرِ بالانجيل

والغرض من كل هذه النفثات انّ الشر قد تفاقم بين هاتين الامتين ، حتى بلغ الحزام الطبيين ، ولم يقصر الشغب والبلاء على الشتم والسباب في المؤلفات والكتب وهتك كلٍّ حرمات دين الآخرين بل تجاوز الى ماتسمع وترى من دماء تُسفك ، واعراض تهتك ، وعمران بلاد تُنسف ، واعمار عباد تقصف ، وكل ماتقشعر له ابشار البشريه وتضج منه الى الله الديان . ثم الى الضمير والوجدان . واعظم ماهنالك رزية — الصاق كل ذلك بالاديان التي عرفت كيف تبرء من ذلك التعصب وتدعو بكل ناطقة منها الى التساهل والتعاطف وبثّ روح الحنان والرحمه في كل امّة ومع كل حزب وطايفة — بيد اني لا اشك ولاارتاب ان تساهل المسلمين فيما لايزال دينا وادبا او مايسمونه (سياسة) تساهلهم في كل تلك الاحوال وتعصُّب غيرهم لدينهم وقومهم ولغتهم وعاداتهم وساير شؤونهم — تساهل اولئك وتشدد هؤلاء — هو احد الاسباب التي تركت المسلمين على ما تراه اليوم مما لا ازيدك به علما ولا عنه خبرا .

ولكن أتراك لو تغلغلت في البحث عن الاسباب والمبادي وفحصتها بادقّ فحصك ، وسبرتها بمسبار غورك . ووزنتها بعيار مقاييسك . — اكنت تجد السبب . اواشدّه غير دخول الغربيين ومدِّ ايديهم الى الشرق ؟ خذ من يوم الحروب الصليبية الى يومك هذا ، واَحسن النظر . ولطِّف الفكر • وقفْ في المراكز واَدر بصرك في الحواشي والاطراف ، ولا يسمح لي مقامي هذا (وانا اكتب في الدين والاسلام) ان اعود مؤرخا وجامعا لك الشواهد والامثال والقراين والاحوال . التي تتجلىّ لك بها تلك الحقيقه ولاترتاب فيما احرزته وحدسته

أليس قد مرَّت اربعة قرون او اكثر من اوايل الاسلام يوم كانت الدولة عربية اسلاميه — والمسلمون مع المسيحيين في سِلم ودِعه ، وهنا وراحه ، وصفاء ومحبَّه ،

(١) مثل في عرف اهل العراق يقولون (ما يدريك ما في الانجيل) ولا يخفى لطفه هنا

ليس بينهم طرف نزاع ، ولا حاشية مشاحنه ، حتى في المباحث الدينيه ، والاصول الاعتقاديه ، لايجد كلٌّ من جاره ومواطنه . الاَّ كل حرمة لدينه ، وكرامة لمذهبه ، ولا يدور بينهم في كل معامله الاَّ كل حسنىً ومجامله ، — سل (بغداد) عاصمة الاسلام ومدينة الشرق وقاعدة الخلافة يوم ذاك — تخبرك عن كثير ذلك وقليله ، ودقيقه وجليله ، حتى اذا مسح الغرب عن عينيه سنة الكرى وايقظته زعقات الشرق ، ولمعات ذلك البرق ، وكان اول انتباهته تلك المناوشات في الاندلس تلك الدول العربية الزاهره ذات الحضارة الباهره في القرن الرابع . ثم سرت تلك الحركة الفكريه في الامم الغربيه حتى تركها الشرق والعبرة به والغيرة منه في المقيم المقعد والمسيء المسعد ، فكان اكبر همتهم واعظم مكرهم واشد ماعندهم وما يستفرغ جهدهم سقوط الشرق من اوج مجدة ، وهبوط نجم سعده ، وثل عروش شرفه ، ولم يجدوا انجح للوصول الى هذه الغاية من تحريش بعضهم على بعض وافساد ذات بينهم . وتضاربهم على انفسهم ، واذا تقطعت اوصالهم سهل استئصالهم وهان امرهم ، ثم وجدوا اقرب الطرق الى مايرومون من افسادهم وشقاقهم القاء العصبيات الدينيه فيما بينهم فسلكوا اليهم من هذا السبيل حيث اصابوا فيه مدخلا كالنافقاء ، وطريقا اوسع من الدهناء = والمعيّ الظن لايرتاب ان كل مانشر من المطاعن على الاسلام والمسلمين ، ماكانت ولم تكن الاَّ من الغربيين حتى ماهو باللسان العربي منها فضلا عن غيره والا فاننا لم نعهد من بني اوطاننا الشرقيين كما لم يعهدوا منا الاَّ كل سلم ودعه وملاءمة ومجامله

نعم ماهي الا من احدى غرايب الغربيين وما هي منهم ببعيد ، كيف وقد انضمَّ الى الجشع السياسي وشره الاستملاك والاستعباد ، ماشرب في قلوبهم من حبّ الالحاد ، وبغضة عامة الاديان — فهم في الافساد بيننا معاشر الشرقيين — يسعون الى غايتين . ويقصدوننا من وجهتين . دينيَّة وسياسيه

فمن احدى خدعهم ودسايسهم التي لايزالون يعملون عليها لاشباع نهمتهم وتبريد غلّتهم باستملاك الشرق اوّلا . وقلع جذور المذاهب والاديان ثانيا . رغبة في الاباحة العامه . والسراح المطلق — انهم وضعوا رساله . بل تلفيقات ضلاله . ونسبوها الى ما اختلقته نفوسهم . وافكته افكارهم . من رجل مسيحي اسمه عبد المسيح كتبها في جواب عبد الله الهاشمي احد بني عم المأمون حيث دعاه الى الاسلام — وكل ذلك كما تعلم انت وكل شادٍ ومنتهي في اودية التاريخ — ان كل ذلك مختلق مجعول

لاوجود له في فروع الكتب ولا في الاصول اذ هذه شهود كُتب التاريخ بين ايدينا ونصب اعيننا وقد احصوا فيها النقير من دولة العباسيين والفتيل وليس فيها من ذكر ذينك الرجلين اثر ولا عين ولا في واحد من الكتب المعتمدة كتاريخ الطبري والمسعودي واضرابها حرف من تلك القصه بل ولا اشارة الى وجود انسانين في زمان المامون كعبدالمسيح اوعبدالله وكل ناظر في تلك الرساله بتدبر يهتدي الى موضع الحيلة منها وان اقصى مقاصد واضعها هو الطعن في اساس كل دين ومذهب وان كان في صورة الحال قد جعل خطة المقال الطعن على شريعة الاسلام والانتصار للنصرانيه ولكنه (يسرُّ حسوا في ارتغاء) ويتوارى في رميها من وراء . وما زالت حرباء هذه الخديعه تظهر كل يوم بلون . وتبرز كل عصر بلباس . حتى ظهرت ثانيا في مقالات (هاشم العربي) وماهاشم هذا الا كعبد المسيح ذاك — وليس هما الاّ كهيَّان بن بيَّان والحارث بن هشام اوابي زيد السروجي . وقد جُعلت تلك المقالات في ذيل كتاب (الاسلام) لصال جرجيس الانكليزي المتولع بين قومه بالعلوم الاسلاميه وترجمة القرآن وتفسيره بلسان امته حتى رمي بينهم بالميل الى الاسلام لكثرة توغله فيه و كان مما الّفه في هذه الخطة التي عاناها وعُرف فيها مقالات في تاريخ بدء الاسلام وانتشاره ونموه وبيان تفاصيل مشروعاته وعباداته وساير اصوله وقوانينه وترجمة حال القرآن الشريف وكيفية نزوله وترتيب سوره وآياته وناسخه ومنسوخه وذكر تاليفه وترصيفه وفهرست مندرجاته ومضامينه الى غير ذلك مما يدل على سعة اطلاع ذلك المؤلف وانه وان تحامل على الاسلام احيانا ولكنه لايحيف كثيرا ولا يتباعد عن الاسلام شاسعا بل قد يلوح من بعض رموزه انه يعتقد الاسلام ويتكتم به فهو يرمي الى الحقيقة من بعيد . ويرنو اليها بنظر سديد ، ولكن على رغم الفضيلة . انّ مقالاته تلك وقعت الى بعض اولئك الملحدين والدجالين فترجمه من الانكليزيه الى العربية وباليقين ان موارد التحامل كانت من الخيانة في الترجمه وما اكتفى بذلك حتى ضمَّ الى تلك المقالات التي مسخها عن شاكلتها الاولى بترجمته فحوّلها الى التعاسة والتناهي في الشقاء والضلاله والانسلاخ عن زيّ المباحث العلميه وآداب المناظره . ببذّ البذاء ، وجرّ اعنَّة الجراء ، وهتك نواميس الحياء والحصافه ، بيد انه ماكان يستمد غيَّه . وبغيه الاَّ من تلك الرساله المنسوبه لعبد المسيح بجامع الاشتراك في الزندقة والالحاد والدجاله ، وكتمان الاسم وكشف السَّوءه . فذلك استعار لنفسه الخبيثه (عبد المسيح)

وما هو الاّ رجيع ابليس . والثاني الصق بتعاسة ذاته اسم (هاشم العربي) وما هو الاّ هادم الشرف العربي . وماهو من العرب الا كوا وعمرو . او (كدعوى آل حرب في زياد) او (كرحم العير من ولد الاتان) نعم اشترك هذان الدّجالان في كل مواد السبّ والشتيمه ء لتلك الحضرة المقدسة الكريمه ء المكللة بتاج لولاك ء لما خلقت الافلاك ء اشتركا في كل سخرية وهزء على الذات الاحمديه ء ومرآة الحقيقة الاحديه ء اشتركا ولا غروَ ولا جرم فان شياطين الجن والانس ليُوحون الى اوليآئهم زخرف القول غرورا .. ثم مازالت تلك الفرقة الدجالة الخبيثه ء تجري على هذه الشنشنة الغير الحديثه . من الختل والخداع ء وكتمان امرها والظهور بلباس غيرها . وشق عصا الاديان . والقاح الفتن بين الامم وتشتيت شمل الشعوب . واشعال نيران الحروب . وتمزيق القرى الآمنة المطمئنه . وتفريق العناصر الملتئمه والممالك المنظمه كل عصر تتزيّا بزيّ وتظهر بلباس . وما الحقيقة والقصد والرأي الاّ واحد . ماهو الاّ ازهاق روح الاديان . والحاق الانسان بالبهيمة والحيوان . فان ذلك اللسان لسانهم . ولحن القول لحنهم . والاّ فحاشا عامة افراد الامة المسيحيه فضلا عن احبارها الافاضل . وقُسسها الاماثل ان يهمسوا في حق تلك القداسة العصماء ببنت شفه

كيف ولم تزل سرادق الحشمة واستار الصيانة مضروبة بيننا وبينهم معروفة ومألوفة عندنا وعندهم ء ما هُتكت بالتجاسر على كبراء ديننا ودينهم والغميزة في زعماء ملتنا وملتهم . كيف وما هو من دأب ذوي الفضل والناهجين على سنة العقل في حق ايّ احد كان واي ملة كانت فكيف بهذه الملة المقدسه وشارعها الصادق الامين

لا وعزّة الاديان لا يكون جزاء (محمد) له المجد والشرف ء من الامة المسيحيه ذلك وهم لا يجهلون ولا يتناسون ان ذلك البرّ الرءوف ومظهر الرحمة الواسعة لمّا ملك ازمّة القوه ء وامكنته يد القدرة والسطوه ء كيف منحهم حرّية الدين ء وادخلهم في الذّمة المرعيه . وعقد بينه وبينهم العهود الوثيقه ء وجعلهم من رعايته وحمايته في امنع كنف ء وامرع كهف . ثم اتّسع التأهيل والترحيب ء وزاد التلطيف والتقريب ء حتى صارت النواقيس ترنّ في عواصم المسلمين ء ودين النصرانية تعدّ نواميسه وشعايره بازاء هذا الدين ء فها هي تلك امهات بلاد الاسلام قبلُ كما هي اليوم — كنايس ومساجد ء ونواقيس ومآذن . وزوايا وصوامع . وقسس وعلماء ء ومطارنة وقضاة ء ورهبان ومتصوّفه . وهلمّ جرّا ء كل طايفة مقرونة باختها ء وكل طريقة

مقابلة بنظيرتها ، بكل حريّتها ، وتمام امنيّتها · ناهيك دماؤهم المحقونه واعراضهم المصونه • واموالهم المضمونه · قل لي بشرف الانصاف ، ايّ ملة سمحت لضرّتها وابنة علّتها— ما سمحت هذه الملة المقدّسه لاخواتها الكتابيه ، ومعاهداتها الاجنبيه ، ولا اظنك جهلتَ او نسيت ما كان من الثورات الدمويه التى كانت بين الامم السالفه في القرون الغابره ممّا ليس هنا محل تفصيله · وحقًّا ان هذه الشريعة السامية الاسلاميه جاءت بالسلام العام لكافة الانام وكانت حنانا ورحمة عامة لعامة العالمين ، فلتَحيا هذه الشريعة الى يوم الدين ، وبعد هذا فلا اظن انّ احدا من الامّة المسيحيه يذكر هذا النبي البرّ الكريم ، الاّ بكل تبجيل وتجليل واحترام وتعظيم كما لا يزال كذلك دأب الراسخين منهم في العلم (ذلك بانَّ مِنهم قسيسين ورُهباناً وانهم لايستكبرون) عن قول الحق وكلمة الصدق افتنسى النصارى قول هذا الفرقان الحكيم (لا ينهاكُم الله عن الذين لَم يقاتِلوكم ولَم يخرجوكم من ديارهم اَن تبرُّوهم وتُقسطوا اليهم) اوَ تنسى قول ذلك النبي البرّ (من آذى ذميًّا فانا خصمه يوم القيامه) الى كثير من امثال ذلك ممّا لا يتسع المجال لأحصائه وحقًّا اقول انّ الجهابذة منهم والاساتذه المتضلعين في العلوم ما جهلوا ذلك ولا نسوه ولا تناسوه وقد قدّروا هذا النبيَّ الامين قدره وعرفوا شرف ماجاء به وان لم تؤمن به السنتهم فقد آمنت به قلوبهم · نعم وعلى رغم الوفاء ورغمهم وبالعزيز علينا وعليهم ان بعض اهل الغرازة والجهل منهم—وما اكثر ما يتفق مثلهم في كل امة ومله — قد انخدعوا وخضعوا لمفتريات اولئك الملاحدة المتسمين بعبد المسيح وهاشم العربي وغيرهم فأنسوا بها بحسبان انّهم اولياؤهم ومن حزبهم وهم اشد الاعداء لنا ولهم فاعادوا تلك المقالات بعينها مع بعض التغيير والتشويش في سوقها وترتيبها على الغرّة والجهل باقصى غرضها ومغزى قصدها وانها هدم في اصولهم · وصدم وردم على عقولهم · وكلها عايدة بالنقض عليهم · وظني ان بعض ضعفاء النصارى المزجاة بضاعتهم من العلم ولا تظنّه سوى مؤلف (ميزان الحق) لمّا تحامل على الاسلام وتقحّم على معارضته ولم يجد فيه محل نبز ولا همز · الجأته الضرورة الى التعويل والتشبُّث بكلمات اولئك الملحدين ، المناوين والمعاندين لكل مذهب ودين · حتى انتضت رحمة الله ذلك الصارم الهندي فردّ اقاويله واباطيله شذر مذر · ومزّقه كل ممزّق ولم يبق فيه ولم يذر · وقبل استيفاء المقالات الخمس التى وقع الاتفاق بينهما على الخوض فيها نكص عاجزا· ووقف ناكلا

ولم يخض معه في بقية المسائل راجع (اظهار الحق) ولو احقه يظهر لك ذلك ان شاء الله
ثم وصل الدور · ودالت الايام · وجاءت النوبه · الى صاحب (الضلالة) فرام بزعمه
ان يردّ او يكتم (اظهار الحق) فجمع اربعة مجلدات احتطب فيها خبط عشواء جملة
احاديث مشهورة الوضع من الضعاف والمناكير ثم تمسك ببعض متشابهات من القرآن
وعقّبها باشكالات في العربيَّة دلّ بها على انه لم يتلمظ من العلوم الآليَّه ولا ببلالةٍ
منها ثم كان اوفر بضاعته المهارة في صناعة الشتم على ازكى النفوس الطاهره · فتراه
يسرد لك في عدَّة مواضع : انَّ محمدا (تعالى الله ورسوله عما يقول الظالمون) غدر
وكفر وفجر (غفرانك اللهم) وعبد الاصنام وشرب الخمر ونقض العهد وتزوج زوجة
ابنه · وهلمَّ جرًّا · ما شاء وشاءت له الغواية · انظر الى سلحة ابليس وسلاحه ·
وقحّته وصلابة وجهه = وتلك وامثالها هي كانت عدَّة هاشم العربي وعبد المسيح
و(ميزان الحق) وما اكثر ما تكذب الاسماء · او تكون بعلاقة الضد · نعم يا هوءلاء
· لو كنَّا معاشرَ المسلمين كما انتم فيه من عداوة الرحمن وعبادة الشيطان وعدم رابطة من
الدين الاَّ رابطة الكفر به والالحاد فيه · لقلنا ازاء ذلك القول : انَّ المسيح كذا وكذا
ومريم كذا وكذا · ولكان لنا مجال واسع · وشبه حجج قواطع · ولرأيتم اُيّنا اضعف
جندا واشدُّ في الشتيمة شكيمه · ولكن معاذ الله ان يستخف جهلكم بحلمنا · او ياتي
الحاد كم على وطيد ديننا · ولكني نذير لاهل الفضل والاصحاء والصلحاء من النصارى
الذين تنتمون اليهم — انا نذير لهم بان يهمُّوا ولا يهنوا ولا يغضُّوا الطرف على هذه
الفظايع والمنكرات · انا نذير لهم في ان يهموا بقطع دابركم · والبراءة من اولكم
وآخركم · والعناية بتربية امثالكم او اعلان البراءة منهم والَّا ففي جهلة المسلمين
ودعّارتهم من يستطيع ان يتسدَّج في المسيح اكثر مماَّ تسدجتم وافتحرتم في حبيب الله
(محمد) (ص) ويقدر ان يكشف الحجاب ويهتك الستار ويقول في درة صدف
العفة والطهاره (مريم العذراء) ما انتم اعلم به وهنالك ايُّها الاصحَّاء واهل السلامه ·
صمُّوا آذانكم · واستغشوا ثيابكم · وغضُّوا ابصاركم · او ميلوا الى جانب اهل
الخنا والفجور · والعهر والفسوق · (لاسمح الله) ويكون البادي اذ ذاك اظلم ·
والذنب على الساكت او المسبّب اعظم

نعم وجميع اولئك الاوشاب الطغام المتحاملون على شريعة الاسلام ، وكل اخوانهم
الذين يمدُّونهم في الغي والبغي على تلك الشرعة الطاهره وشارعها المقدَّس كلهم بحمد الله

ما اضرّوا بها نقيرا ولا فتيلا وما كان حالهم واياها في الرد لها والطعن (معاذ الله) عليها الاّ (كمبتغي الصيد في عرّيسة الاسد) او (عثيثة تقرم جلدا املسا) ولقد كنت ايضا قبل برهة من الزمن صممت العزيمة لّما نظرت في مقالات هاشم العربي المجهول الحقيقه ان افرد موضوعا في تمزيق اقاويله وتفريق اباطيله قائلا له (قد انصف القارة من راماها) (لبّث قليلا يلحق الهيجا حمل) وأُريه انَّنـا بحمد الله اقدر على السبّ والشتم . والظلم والهضم . وبذاءة اللسان . وجراءة الجنان . من كل متعود لها . معوَّل عليها . ليس عنده سواها . فما هو ان جرى او جارى . الّا كالحبارى ، ولكن عزفت وانصرفتُ اشدَّ العزوف — صوناً لاقلامي عن التلويث * بنقل اشباه كلمات ذلك الملحد الخبيث . وترفعا بنفسي عن تلك الخطة التعيسه وتنزيهاً لها عن سبَّة المسبه وشيمة المشاتمه . وتركته يستأكل بنفسه . ويتلاشى بذاته . فان الزبـد يذهب جفاء *

وكم من لئيم ودّ اني شتمتـه وان كان شتمي فيه صاب وعلقم

ولَلكفُّ عن شتم اللئيم تكرُّما اضرُّ لهُ من شتمهِ حـين يُشتم

(كيف لا) والبغي يصرع اهله والظلم مرتعه وخـيم

على ان كلما يتمسك او يمكن ان يتمسك به المتحاملون على الشريعـة الاسلاميه من الشُبه والمراجعات قد اجبنا عنها فيما تقدم فهذا ما يعود الى المباحث العلميه التي يسوغ لنا الخوض فيها واَّما ما وراء ذلك من الاستهزاء وقول الزور والفحشاء فجوابه على اهل الفضل والكمال منهم لِيردَّ الحليمُ السفيه والعالمُ الجاهلَ

و(قصاراي وكلمتي الاخيره) تذكير المسلمين والمسيحيين جميعا انَّ البلاء بينهم قـد تعاظم . والشرُّ قد تفاقم . وان يد العدّو لهما معاً قد لعبت فيما بينهما حتى اوشكت ان تقضي عليهما . وان تلك المكافحة والمكافحه . التي هي اشد اثرا من المسايفة والمرامحه . ليست هي من مقتضيات طبايعهم . ولا من آيات شرايعهم وانَّما هي زبية راصدٍ لهما . وشبكة احتيال عليهما

ولا احسب ان النصارى لم تتَّضح لهم بعدُ جلية الحال ولم يستمعوا لمنذر التاريخ وداعيَ العبر وما حدثتهم وقايع الايام عن الغرب وحجزتهم من مطلق الدين ونواياهم فيه كما احسبهم لاينخدعون لبرقشة سياستهم وتودُّدهم اليهم وهم يعلمون ان الغرب لو امتلك الشرق (لاحانت تلك الساعة او حان حيني) ما كان ليخص الاسلامية بعسفه .

ويبسط للنصرانية جناح لطفه . وبساط عطفه ، بل ينظر الى مطاق الدين بعين سخط واحده ، ويستقبلهما معا بسطوة جاحدة . واخذة قاسيه . وهناك الرق والاستعباد . ومظاهر القسوة والاستهلاك ، استهلاك كل امة ملكت قرينتها . واستعمرت نظيرتها ، فان راق لكم ذلك — والا فحفاظا على السلم والدعه والصفاء والمجامله ، حفاظا على كرامة الاديان وصوناً لها من حفزات من لا يركن الى دين . وان التصق بالمسلمين او المسيحيين . الا وانّ عزمةً من عزمات الله عليكم . وعظيمة من عظائمه فيكم ، ان لا تهملوا النظر والتدبّر في هذه الخاطرة فلعلها خطيره ، ولعلّ لها كبير اثر في ناموس الاجتماع وان كانت في القول صغيره ، وحسبكم وراء الاخوّة البشرية — جامعة الوطن واللسان ، والايمان بالمبدء والمعاد ، والحساب والجزاء والكتب والانبياء — فان دعت الدواعي لكل واحد من الفريقين الى الدعوة الدينية أفلا يكون بحفظ الشرف والعفه والنواميس والنزاهة والشهامة والكرامه هذا ما اقوله واتمناه لي ولكم ولأمتي وامتكم وما هو على الله بعزيز اذا شاء

﴿ الثانيه ﴾ انك ربما عرفت من جميع ماتقدم من سياقة مباحثنا وطرز طريقتنا ولحن كلماتنا . انّنا لانودّ الاّ ان ننصف في الحكم . ونعدل في القضيه . ونعترف لكل ذي حق بحقه . ولا نبخس الكيل . ولا نطفف الوزن . ولانحيف على ذي الفضل . ولا نساوي بين المسيء والمحسن . ولا نطّرد اللائمة على البري والجاني ولا نحكم على العام بحكم الخاص .

وقد رايت في اوائل الجزء الاول بعد ان ذكرنا شيوع الإلحاد والداروِنيه عند الغربيين . كيف استدركنا ذلك بذكر جلّة من مشاهيرهم كان لهم في الدين القدم الراسي والعرفان الراسخ . والوصول الى الحقيقه . واوردنا من كلماتهم مايشهد لهم بكمال المعرفه . وصادق اليقين . وصحة الدين . واصابة ادق الادلة والبراهين ، وعلى ذلك النسق وفي ذيالك الطرد . وجب هنا ان نشير الى كثير علماء الغرب ، الذين بحثوا في الاسلام المباحث الدقيقه . واصابوا منه الجوهر والحقيقه . وكانوا على جانب من الانصاف . دفعهم الى الاقرار والاعتراف ، ثم على دأبهم ودينهم من التوسع في البحث والتناهي في الفحص ، والبلوغ الى التخوم والغايات ، دون السطوح والاطراف ، قد تخصص بحّاثون منهم في هذا السبيل وخلّصوا اعمارهم لتلك الغايه ، فما ازدادوا به الاّ يقينا ، ولا عليه الا تعويلا ، واصبح لهم من راسخ

العقيدة فيه ما ليس للكثير من العريقين به والناشئين عليه ، ولا جرم فانّ واجد الشيء بعد الجهد والتعب ، والالتماس والطلب ، والنصب والعناء ، غير من جاءه عفوا . واصابه صفوا . واخذه وراثة او حبوه . واستلمه تقليدا ومتابعه

ولست ارمي وانحو الى جمع كلمات كل غربي كتب في هذا الموضوع ، واصحر بهذه الحقيقه . وجاهر بمرير ذلك الرأي . على اني في لوعة اسف اذ لو كنت قيّدت وعلى الاقل اسماء من عثرت على ذكرهم من اولئك الباحثين الذين لهم قيل حق وكلام صدق . ودقيق بحث . واستخراج جلي برهان . على صحة الاسلام وانه هو الدين الحق وحق الدين . ولو نزعت الى ذلك لكنت قد جمعتُ الى زماني هذا اكبر كتاب وانفس موضوع في الاسلام ولكن ليس يخفى سبيلنا على من احاط خبراً بما سبق من هذا الجزء واكثر الذي قبله فان من تدبرهما سيرا وسبرا لا محالة يستبين له اننا في اويقات املائه وسويعات انشائه . لم نستقص النظر ، ولم نمحص الفحص ، ولم نواصل التتبع في مطالعة الصحف والكتب المشروعه في امثال المواضيع التي طرقناها والابواب التي قرعناها

استطردنا سياقة تحرير هذا الجزء من اوله الى مقامنا هذا من دون ان ننظر في المؤلفات التي تسدّد عن الاسلام وتناضل دونه ، فضلا عن امعان النظر في الصحف والمجلات الاختصاصية بذلك الشان او التي تستطرده استطرادا ، ويتفق لها الخوض فيه احيانا ، من مقتبس منار اوسبيل رشاد اوملاجي او غيرها

ما أسعفت ان ارى من ذلك شيئا ، او اتفيّأ من ظلالها فيئا . بل اكتفيت بالعتيد الحاضر في الخاطر وبما سنح على الفكر وبما ابقته سيطرة النسيان . وصكصكة صروف الزمان من المراجعات القديمه . والمطالعات الغابره . فكان القلم والطبع معا يتجاريان ويتباريان من دون وقفة وانتظار . لمراجعة او استحضار . من حرّ تحرير او محاورة تحرير الا يسيرا من تعهد العهدين ونزر من الكتب لضبط النقل منها . اما ما شرّفنا به صحايفنا من كرايم القرآن المجيد ، فقدكنا نورد اكثر الآيات من غير تجديد مراجعه اخذاً بما في الحافظه وبقايا الذهن والذاكره ومن ذلك ما وقع في بعضها من السهو ويسير من التغيير في حرف او حركه كما نستدل عليه عند نهاية هذه الخاتمة ان شاء الله

نعم ان الوحدة وعدم المساعده ، وقلة العديد والعدّه . والاستعجال وقصر المده ، وتدافع الخواطر على الذهن وتزاحمها على الفكر . لم يدع للاستقصاء مجال فرصه ولا للاستعانة بغير الله حاجه . وكفى به ناصرا ومعينا . وعلى ما اقول شهيدا

ومذ بدا لنا ان نذكر شيئا من كلمات من فاق وارتقى . من علماء اوربا . من متنوري الافكار . ومستشرقي العلوم ء الذين دفعهم سايق الانصاف . الى المعرفة والاعتراف بعد ان سلكوا الطريق . واصابوا الحق بالبحث والتحقيق فخلعوا نير العصبيه ء واغلال الإلف والعاده ء والجمود على تلقين الآباء والامّهات ء وقطعوا السلاسل الحابسة عن النهوض الى طلب النجاة • المانعة عن اغتراف السعادة من مناهل عين الحياة — وجدنا ان ذلك يحتاج الى بذل جهد واستفراغ وقت وجمع عدة قد يعسر جمعها ولا يجتمع الاَّ بعناء شملها ء وكان قدمرَّ على لاحتي رسالة للفاضل الانكليزي الشهير (عبد الله وليم كويليام) الذي اهتدى بنور عقله ومجاهدة نفسه الى هذا الدين الحنيف ء وحاد بنفسه الى التوحيد وفارق التثليث • في هذه الاعصار وتلك الامصار التي تعرف انت كيف عزوفها عن الدين وعزوبها عن تطلب الحقايق الروحيه ء وتكميل النفس بمعرفة خالقها ء ومبدئها ومعادها ء فانهم عن هذه المسايل بمراحل وما الاديان عند اكثرهم الاّ اوهام هي من مجعولات البشر وموضوعات الزُعماء ء ولكن الله سبحانه يمدُّ بعنايته من يشاء من عباده ء ولا يحبس الطافه عن رومي ولا خزري ء ولا يخصُّها بعربيّ ولا عجمي ء بل فيضه عميم ء وفضله جسيم ء وبذلك تجد هذا الحرّ الحري بالتوفيق قد احرز نصاب الصواب في هذا الباب فشمّر عن ساعد الهمه في الدعوة الى الله والاخذ بتوحيده وخلع ربقة الشر وموبقة الشرك عن الاعناق حتى آمنت جماعة من قومه ء وحفلة من ابناء جلدته اتّخذ لهم مسجدا لاقامة الفرايض ونشر تعاليم الاسلام المقدّسة فيما بينهم وما زال يبثُّ في تلك الاجواء والارجاء الادلة القاطعه والبراهين الساطعه على افضلية الديانة الاسلاميه على ساير الاديان . فمن بعض منشوراته في هذا السبيل رسالته الشهيره (بالعقيدة الاسلاميه) المترجمة الى العربيه بقلم السيد سليم افندي التنير المتطلع في اللغة الانكليزيه وقد نُقلت الى اكثر اللغات الشرقيه كالعربيه والفارسيه والهنديه وغيرها وطبعت عدّة دفعات وتعدّدت ترجمتها الى العربيه باقلام عدة من الكتّاب وقد وقفنا على ترجمتين منها — الثانية منهما بقلم محمد ضيا مطبوعة في السنة الخامسه عشر بعد القرن الثالث عشر والاولى في التاسعه بعده وفي الثانيه رسم المحترم كويليام بعنوان (شيخ الاسلام) في الجزاير البريطانيه

وبعد انتهاء ما اردنا بيانه في هذا الجزء استحضرت الترجمة الاولى ومذ اتيت عليها

بالسبر وجدتها فضلا عما فيها من وثيق الدلايل ورشيق المسايل التي توافق جملة مما قدمناه وتشهد على بعض ماذكرناه ، وما اكثر ماتتوارد الخواطر وتتفق القرايح ، واذا صفت وانصفت عقول الرجال فهي مرايا ، والحق واحد حيث كان لايتعاند في الافكار ولا يتعايا ، فضلا عن هذا —وجدتهاقد اشتملت على كلمات حافل من ابناء جلدته وزملائه الذين اشرقت لهم لمعات الاسلام بتنور افكارهم ومتسعر قرايحهم ولطيف هواجسهم • ونهضوا في الدفـاع عنه والتدافع اليه بكل حماسهم وحواسهم ونظرا لما نرغب فيه ونتزع اليه من المعدلة والاعتدال وحبّ الانصاف وتتميا للغرض وتعميا للفايده · وتاكيدا للحجة · وتسديدا للبيان • واقناعا للخصم · ومجادلة بالتي هي احسن • عقَّبت لاستدراك ماتقدم وكفارة ماسلف · على اني ما اقترفت ولا جنيت ولكن انصافا لذوي الفضل · واعترافا لذوي العرفان · ودلالة على مكانتهم من حرية الضماير وصحة البصاير لخَّصت مقـالات ذلك الفـاضل في تلك الرسالة الوجيزه وسردت ذكر من نقل عنه مايوافق رأيه ويعضد قوله ويدعم حجته — اوردنا لك ذلك لتعرف ان العناية ولطف التوفيق منه تعالى شانه — لايختص بشرقي ولا غربي · ولا عبري ولا عربي · وبه يستبين لك ان ما عُنينا به واحتدمنا عليه من اثبات حقية هذا الدين المحمدي هو الحقيقة بنت الفحص خطيبة العلم عقيلة العقل نتيجة الوجدان صفيَّة الانصاف ذلك مما نورده عليك من كلمات امثال ذلك النحرير من كل مضطلع من حكماء الغرب خبير · وما نردفه من الايضاح والتتمة لكلماتهم وها نحن ذاكرون صفوة مباحثها على العهدة الوثيقة والامانة المرعيَّه · سوى اننا نجوز منهـا عما لايهمُّنا ذكره · او مايكون جليا مشتهرا امره · وبالله المستعان في جميع مـا نحوم حوله ونحاوله ، ونطلبه ونتطاول اليه وعليه المعول ومنه المعونة ان شاء الله

قال شكر الله في الاسلام سعيه : ان خلاصة البحث الذي تضمنته هذه الرساله قد تمثَّلتُ به خطيبا ثلاث مرات في قـاعة فرنون بمدينة ليفربول وقد اشار عليَّ بعض الذين اعتنقوا هذا الدين المبين بنشر تلك الخطب تعميا للفايدة العموميه — وجلُّ ماحاولت ان احسن استيفاء اداء العقايد الإسلاميه باوجز عباره لاتخلُّ باداء المقصود ، ولااخرج بذلك عن الموضوع موطدا آمالي ان هذه الرساله ستكون سببا لازالة التعصبات الدينيه على الدين الاسلامي وان يتهيأ لي ضم الاعتقادات الاسلاميه على وجه بيّن مفيد

ان من العجب العجاب اتحاد ملايين من المسلمين والانكليز تحت تبعة واحده وكثرة

اختلاط الدين الاسلامي في المملكة البريطانيه مع انه قلما يعلم الانكليز شيئاً عن الدين الاسلامي وتاريخه واتباعه ولذا نرى حقايق هذا الدين محتجبة عنهم ومن جري تراكم الجهل عليهم يسهل انخداعهم وتهورهم تبعاً لكل من يقاوم هذا الدين وبما انه من الواجب على النوع البشري المسالمةُ والمحبةُ وفعل الخير والارتداع عن الشر مع ابناء نوعه نرى من الانصاف ان نضرب صفحا عن هكذا موضوع — انّ اوضح كتابة كتبت على دين الاسلام واقصرها ماقاله (داود اوركوهرت) في مقدمة كتابه في المجلد الاول المسمى روح الشرق المطبوع ١٨٢٩ —: وهو ان الاسلام لم يكن دينا مبتدءاً ولا وحياً مخترعا ليس به قسوسيه ولا حكومة كنايسيه بل سنّ شريعة للناس كافه ونظاما مدنيا يجب على كل مسلم الأنقياداليه — ولقد أكّدَ هذا القول جم غفير من الاوروبيين مثل (بلكريف) و (فمبرى) و (رولنص) و (ليرد) و (رولند) و (استنلى) و (الدرلي) وخلافهم — ايضا نرى كل من سافر الى الممالك الاسلامية يأتينا بشيء من خصالهم الحميده ومع كل هذا فان افكار الأمة الانكليزية حتى الآن لم تتأثر بذلك وحقيقة دين الاسلام مجهوله لديهم ومن المعلوم ان الامة الانكليزيه مع ما هي عليه من اختلاف المذهب في الدين المسيحي قد ورثت من آبائها الكراهة الشديده لهذا الدين حتى صارت تلك الكراهة كانها من واجباتهم الدينيه ولما تمثل اسحق تيلر المحترم خطيبا في المجمع الكنايسي وفاه بالحق بكل امانه بكّتوه بالتعصب الباطل — اما ملاحظاته التي اوردها في المجمع المشار اليه في ولفرهمبتن ونشرت في جرنال التيمس في اليوم التالي بتاريخ ٧ تشرين سنة ١٨٨٧ فهي مقالة مهمة جديرة بان تتبع بتدقيق تام وانتباه وبما ان الوقت لا يسمح لي بان انقلها حرفا بحرف لضيق المقام اكتفيت بايراد قسم منها ثم ذكر ذلك الى ان قال . = : وقد افاد الاسلام المدنيه اكثر من النصرانيه وكل من يطلع على الاخبار الرسميه الانكليزية وتقريرات السياح المتأخرين يتضح له حقيقة الدين الاسلامي باجلى بيان ويعلم ان العبيد حينما يعتنقون الاسلاميه يبتعدون عن الخديعه واكل لحوم البشر وقتل الاطفال ويأخذون باللباس والنظافه والطهارة والكد في طلب الكمال الانساني واتخاذ الضيافه ويندر فيما بينهم شرب الخمر والميسر ويمتنعون من الرقص الفاحش واختلاط الذكور بالاناث ومن اعظم الكمالات عندهم عفة النساء وطهارتهن ويظهر لديه كيف تبدّل الكسل بالاجتهاد ويرى كيف ان الشرع ناشر لواءه والعدل مستحكم البناء ويعلم ان البغضاء

وحبّ الانتقام محرّمان عندهم فلست ترى بينهم الاّ اللطف والوداعه والاخاء الديني والرفق بالحيوان والرقيق — امّا اتّخاذ الزوجات والتسري فانهما منظمان ومضارهما ممنوعه والاسلام يفضل كافة اديان البشر عفةً وزهداً . مثلا ان امتداد المتجر الاوربيّ ينتج عنه امتداد المسكرات والرّذايل واحتقار مخلوقات الله عز وجل وامّا الاسلام فلا ينتج عنه الاّ التمدّن الحقيقي وتعلم القراءة والكتابه واللباس الحسن البسيط والنظافة والعفه والوقار . بالاقتصار ان نتايج حظره الرّذايل وما ينشأ عنه من التمدن من الامور المدهشه * ما اقل ما نبديه بالنسبة الى الاموال الباهظه التي نتكبّد بذلها والارواح التي نضحيها في افريقيا لأنّا اذا عددنا المتنصرين الوفا نعدّ المسلمين ملايين واعمري انّ هذه الحقايق الثابتة التي تواجهنا لهي من الحقايق المكدره جداً ومن الحماقة والجهل ان نغضّ الطرف عن ذلك فيجب علينا ان نعرف الحق لأهله وهو ان نعلم ان الاسلام لا يضادد الديانة المسيحية الاصليه وما هو الّا اعتقاد ايمان ابراهيم وموسى (ع) مع بعض فروض مسيحيه غير ان اليهوديه تختص بامة واحده والاسلام للعالم اجمع = وقد انتشر الدين الاسلامي الذي لم يخالف ما جاء به موسى وعيسى انتشارا سريعا في آسيا وافريقيا لأنّ علماء اللاهوت قد بدّلوا العقايد المسيحيه بعقايد عقليه فانهم طالما حاولوا ان يبدلوا الفجور بالعفه وذلك بابتداع الرهبانيّه وجعلوا الوصلة الى النزاهة والتقديس ترك الزواج فلم ينشأ عن ذلك الّا الفحشاء والمنكر والبغي حتى اصبح الناس كوثنيين يعبدون الشهداء والقديسين والملائكه — امّا الاسلام فقد ازال كل هذه المنكرات والخرافات التي احدثها علماء اللاهوت بمباحثهم اللاهوتيه الباطله وهي الرهبانيه التي يلقبونها بتاج التقوى لأنه لا رهبانية في الاسلام بيدان الاسلام اخلص التوحيد لله جلّ وعلا واستعاض الرجولية عن الرهبنه وابان للأرقّاء انهم ومواليهم اخوان في الدين وانّهم من اب واحد وعلّم كيف يدرك ادنى الشعوب الفضايل والكمالات الانسانيه كالعفاف والطهاره وحفظ النفس والعداله والاحتمال والاحسان والضيافه والصدق والتسليم للقضاء والقدر وعندهم الوصايا الاربع الاصليه وهم ممتنعون عن الخطايا السبعه المميتة فالاخاء المسيحي هو صوري فقط وامّا الاخاء الاسلامي فهو اخاء حقيقي ولذا نرى المسلمين جميعهم متساوين بالوحدة الايمانيه والانسانيه قال تعالى في سورة الحجرات التاسعه والاربعين ﴿ انّما المؤمنونَ اخوة فاصلِحوا بينَ اخويكم واتّقوا الله لعلّكم تُرحمون ﴾ فكل من يدخل في دين

الاسلام يكون اخا حقيقياً الى ٠٠٠ ء ٠٠٠ ء ١٥٠ نفسا من المسلمين بالاخاء الديني الحقيقي اما المتنصر فلا يعدّ اخا مساويا كتساوي الاخوية الاسلامية الحقة نعم انّ ما ندّعيه من الاخاء عند ما نجتمع على المكتبه اكثر من الكثير امّا في المعاملات اليوميه فقليل جداً لا نستغرب تصريح القرآن المجيد بذكر جنة محسوسه لأن تكوين هذه المكوّنات هو اعظم برهان واقوى دليل على ذلك — اقول ثم اعاد القول في الامرين اللذين اتخذهما عسيرين وهما تعداد الزوجات والاسترقاق الى ان قال واذا قلنا بمضار تعداد الزوجات فاناً نرى لها منافع تفوق تلك المضار لأنها ازالت وأد البنات ومنحت كل انثي حمى شرعيًا تخلصت بها البلاد الاسلامية من الحرف الممقوته التي خزيها في المسيحية اشدُّ واكثر من تعداد الزوجات — فيا حبذا تعداد الزوجات المنتظم في البلاد الاسلاميه فانه اقلُّ اهانة للنساء واكثر حصانة للرجال من البغي والفجور الذي هو خزي عظيم على البلاد المسيحيه وهذا البغي غير معروف لدى الأمّة الاسلاميه فهل والحالة هذه يمكن لبغاة الانكليز ان يرشقوا المحصنين الاسلاميين بحجارة الطعن والملام فلنخرج الجسر اولاً من اعيننا قبل ان نخرج القذى من عين اخواننا * لا يشين بالاسلاميه استعمال هذه الامور الاربعة تعداد الزوجات والطلاق والتسريّ والاسترقاق لانه مباح لهم ولم يبرح من خلدنا ان هذه الامور الاربعه قد استعملها اخواننا الانكليز الاميركان مع انهم مسيحيون في بلاد مسيحيه ولكن استعمالهم لها بطريقة وخيمه

ومما يليق بنا ان نذكره ان الآداب الاسلامية خير من آدابنا وذلك بتسليمهم لقضاء الله عزّ وجل وقدره واللطف والوداعه والصدق والاخاء الايماني فلا غرو ان يكون لنا بهم اسوة حسنه فقد حرّم الخمر والميسر والبغي وهذه من مساوي البلاد المسيحيه انتهى كلام (اسحق تيلر) * قد نشأ عن نشر ملاحظات (كتن تيلر) مباحث عديده في اعمدة جرنال التمس ولضيق المقام اكتفي بذكر بحث واحد فقط قبل ان اذكر المقاصد التى بنى عليها هذا الكتاب تتميما للفائده قال يوسف تمبسن الرحاله الشهير بكتابه تاريخ ١٠ تشرين اول سنة ١٨٨٧ المنتشر في التيمس ١٤ شهره ما نصه من كلام طويل قال في آخره ولنرجع الآن الى غربيّ افريقيا واواسط السودان وهي بلاد اتاح لي الحظ زيارتها فانا نعجب اذ نرى الاسلام ضارباً سرادقه مكلّلاً بتيجان النجاح كأنه في بادىء بدء فهو ينتشر في اسواق (سيارايود) وما بين اكواخ اكلة لحوم البشر على ضفة نهر النيجر ولعمري ان ما فهت به هو الحق وليس كما زعم المبشرون الذين

يجهدون جهدهم ناسبين رزايا الاتّجار بالرقيق الى الدين الاسلامي باذلين اقصى الغايه باضعاف اهميته يدعون ثبورا لساكني غربيّ اواسط افريقيا من نموّ الاسلام فيها وانّى لهم ان يعترفوا بامر لم يكن من مباديهم زاعمين انّ الدين الاسلاميّ لايمكن انتشاره الاّ باحد امرين السيف او اضرام النار فيسرهم ان يمثلوا احد العبيد جاثيا على ركبتيه جازعا مستغيثا وكوخه مشتعلا بالنار وامرأته واطفاله يساقون الى الاسترقاق والاغلال في اعناقهم وأحد جبابرة الاسلام مصلتا سيفه قايلا احدى اثنتين القتل او القرآن واظن ان هـذا التصوُّر قد ورثه البنون عن الآباء عن آبائهم — بخ بخ اذ انّني نظرت بعيني راسي انّ كلّما نسب اليهم افك صراح وان اعظم نجاح للدين الاسلامي باواسط وغربيّ السودان انمّا هو بالسلام والوداعه فانه منذ نحو الجيل الثاني عشر وراعي الغنم الفلاني والتاجران النوبي والهوصي لم يزالوا يدعون الى دينهم وهو ينتشر من بحيرة چاك الى الاوقيانوس الاتلانتيكي حتى نجم عن ذلك ان تلك الاماكن امتلأت باكواخ يقطُنها امم المسلمين ولم يعوّدهم الامر سوى زعيم يجمع قلوبهم على كلمة التوحيد وقد تمّ لهم ذلك حيث في ابتداء هذا الجيل قام بهم ذلك الرجل المدعو (بغوديو) وباقرب وقت اصبحت الاسلاميه هي الدين الحاكم على بلاد عظيمه . . . الى ان قال من الاسلام وهو دين حسن المأخذ مقبول عقلا يُعلم بكل سهوله يسهل فهمه على العبد الوثني فذانك التاجران يقيمان فيما بين الوثنيين امّا شهرا او نصف عام وبتلك المدّه تراهم يعجبون من حسن ملابسه ونظافتهـا ويقتدون به في ذلك لانهم لم يروا منه ماتشمئز منه نفوسهم ولايسمعون منه من امر دينه مالا يفهمونه وبهذه الطريقه ابتذرت بذور التمدُّن والدين الاسلامي في تلك البلاد العظيمه فيما بين الامم المتوحّشه فاصبحت تلك البلاد تدوي بصدى اصوات المؤذّنين صباحا وظهرا ومساء وطفقوا يسجدون لوحدة الله تعالى بعد ان كانوا يسجدون للاحجار — والشفاه التي كانت تبتهج باكل لحوم البشر شرعت تشتغل بذكر عظمة الله ورحمته

ثم اننـا لو فرضنا ان انتشار دين الاسلام لم يكن كله بسلام فلا نعجب من ذلك ألم يمض علينا ثمانية عشر قرنا حتى علمنا ان ليس لنا صلاحية ان نجبر غيرنا على ديننا فهل والحالة هذه نعجب من عبد ذي نشاط يجبر اخاه ان يعتنق بركات دينه — وحيث اننا فرغنا من كلام ابناء جلدتنا اختصارا فلنذكر الآن بكل تدبر وتؤده عقـايد الاسلام ونرى هل يقبلهـا العقل السليم والذوق المستقيم ام لا — ثم ذكر التوحيد

وكلمات الوحدانيه والآيات القرآنيه المعنيَّه بهذا الشان العظيم ثم ذكر اكابر الرسل على حسب معتقد الاسلام من لدن آدم الى ان بلغ الى احوال المسيح وبعض شؤونه فقال ثم من بعده (اي بعـد موسى) ارسل الله نبيه عيسى (ع) وهو المعبود عند النصـارى كاله ومخلص يزعمون انه مساوٍ بالالوهيه لله تعالى عن ذلك علواً كبيرا وهنا الفرق بين معتقد النصارى واعتقاد الاسلام فأنا اذا سألنا المسيحي الذي ليس بمتطلع باللاهوت عما يعتقده بالثالوث يقول اب وابن وروح قدس ويزيد بطريق التوضيح ثلاثة اقانيم اله واحد وان طُلب منه ايضاح هذا الكلام الذي لايسلِّم به العقل اجاب بان هذا سرٌ لايدرك وان كان المسؤول كاثوليكيا او اسقفيا انكليزيا ربما رجع الى الايمان المعروف بالايمـان الاثناسي (نسبة الى اثناسيوس) المنتهي بعد تلخيصه وتصريحه باصوليات الايمان الكاثوليكي بالهلاك الابدي لكل من لم يقبل كل كلمة وجملة من هذا الاعتقاد الثالوثي وقد وصف الشاعر بيرون هذه المسألة بكل حذاقة واحساس في ابيات مآلها – فبناء على قولكم ان جميع الاشياء ملعونه فيشعر المرء بالراحه بعد لعنة اثناسيوس وهذه اللعنة تسر مصدقيه غـاية المسره . واني لاارتاب بانه ليس بالوسع البشري ان ياتي بأنحس منها على اعدائه حال كونه جاثيا على ركبتيه مؤكدا لها بأفصح عباره ومزينا بها كتاب الصلاة كما تزدان السماء النقيه بقوس قزح انتهى

ان كلمة ثالوث ليست من الكتب الالهاميه وليس لها وجود البته في الكتب المسيحيه وانمـا أُدخلت الى الكنيسه في الجيل الثاني بعد المسيح (ع) لكي يبينوا ان ثلاثة اقانيم اله واحد على ان اعظم الكتبه في علم اللاهوت عاجزون عن ايضاح هذا وكتاباتهم على هذه العباره في الاغلب هي من قبيل الاعتذار او التصريح بأن سرّ التثليث يتجاوز الادراك وقد ابان الدكتور (روبنصن) احساساته بقوله : ان سرّ الثالوث ليس من اختراع البشر لان عقولهم تعجز عن ادراك كنهه — فان ثبت ان كلما تعجز العقول عن ادراكه ليس من وضع البشر يثبت قطعيا ان جميع الاعتقادات التي تعجز العقول عن ادراكهـا كايمان الاسكندنافيين (قوم من الوثنيين) والمصريين القدماء وتعليم الهنود الوثنيين هي ليست من اختراع البشر ايضا بل هي وحي الهي لان العقول تعجز عن ادراكها والذي نظنه ان هذا الافتراض لايروق للامة المسيحيه وقال كاتب آخر في هذا الموضوع : ان تعليم الثالوث الاقدس بين النصارى انمـا هو موضوع ايمان وتسليم لاموضع بحث واستقراء فكل من طفق يبحث فيه باكثر من

انّ الله بكلمته المقدّسه علّمنا ذلك فقد يوءدّي به ذلك البحث الى الشقاء المحض (كلاّمـا ابدع هذا المعنى) ايهـا الاخوان المسيحيه الاتقياء لاتفتكروا بان تدخلوا بالبحث في هذا السرّ بل يجب ان تردوه تماما بدون ادنى بحث او تحري وان كان يأباه ذوقكم السليم فعزُوه بان هذا الايمان الكاثو ليكي الذي كل من لم يعتقده حرفا بحرف نزل به الهلاك الابدي بلا ريب

يقول صاحب الدعوة الاسلاميه : ان الفاضل المتبصر عبدالله وليم لم يوف البيان حقّه في جواب قولهم ان سرّ الثـالوث تعجز البشر عن ادراك كنهه وانه يلزم التعبد به والانقياد اليه من دون بحث او تحري ونحن من كثب قد وفينا البحث عنه والقول فيه وجئنا لك من كلام هذا الفاضل وزملائه بشاهد ماقدمناه من ان قولهم اقانيم ثلاثه آله واحد — كلام لا يتحصل له حتى عند النصارى معنى متعقل ولا يتعقل له وجه محصل — نعم قف هنا معي قليلا ريثما اجلو الك شمس الحقيقه في البحث عن قولهم يلزم الاعتقاد به والانقياد اليه على ابهامه واجماله . والتهديد بالهلاك الابـدي للباحث عن اشكاله . واخشى ان تحملك بادرتك على ان تقول لعلّ سرّ الثالوث عند المسيحيين هو من قبيل ما يوجد في كلمات بعض اكابر المسلمين حيث يقولون هذا طور وراء طور العقل وامر فوق درك البشر وامثال ذلك ونحن بعون الله نحلّ هذا الرمز ، ونفتح هذا الكنز . ونبدي الفرق بين المقـامين . والميز بين الكلامين . وذاك بما تكرّر عليك ذكره من ان الميزان الذي لا عيلة فيه ولا عـين ، ولا ميل به ولا مين . هو العقل المستقل بالحكومه . والوحيد بالقضاء في مثل هذه الخصومه ، ويستحيل ان يقبل او يتعبّد بما يراه مستحيلا ذاتيًا . وممتنعا اصليا . ويستحيل ان يقع من الصانع القديم ، والشارع الحكيم . تعبُّد والزام لعباده بالتصديق والالتزام والتدين لما يعدونه في عقولهم من المستحيلات الذاتيه . والممتنعات الاوليه ، ويرون ان ذلك اقوى شاهد على فساد تلك الشريعه ، وزيغ تلك المله . — وانّ من اوايل المعقولات في الادراك والمدركات في العقول — استحالة كون الواحد الحقيقي ثـلاثة حقيقةً فالواحد لايكون ثلاثة — والثلاثة لاتصير واحدا — الا على نحو الانقسام في الاول. — والتركيب والانضمام في الثاني — وكلاهما مستحيلان في حق القديم جل شـانه لوجوبه وكمال بساطته وسعته واحاطته كما اوضحنا لك سبيله وقدّمنا دليله وليس هذا من موارد الالتزام والتدين بما لايعرف سرُّه ولا يدرك غوره ، بل لو جاء مدّعي

رساله ، ومنتحل وحي ودلاله ، مويّدا بالمعجزات المتضاعفة ، والآيات المتكانفه ، والحجج المترادفه ، وكان من ديانته وشريعته الالتزام والالزام بوقوع مايستحيل لدى العقل . ويمتنع في اول الفطره . لما كان حقه من الامم الراقيه سوى الاعراض عنه والتجافي . وما كانت لترفع اليد عن مقتضى فِطرها ، وبديهة فِطنها ، وضرورة عقولها ، كيف ولا سبيل لثبوت النبوه واخواتها من اصول العقايد الا بدلالة العقل وارشاده . واسعافه واسعاده . وهو لايتناقض في حكمه ، ولا يجهل في علمه . ولا ينقاد لضده وخصمه ، واما ما تجده في كلمات الامة المحمدية . وزعماء الملة الاسلاميه . من ان هذا — اشارة الى بعض المطالب الغامضه — طور وراء طور العقل فذاك فيما يقف دونه العقل ويخضع عنده ويعترف بالعجز عن دركه والوصول اليه ولا حكم له فيه لا ماحكم باستحالته وقطع بامتناعه فان ذلك لو وُجد في معاريض كلمات صاحب شريعه او واضع مله لكان برهانا قويما على تزييف حجته وبطلان دعوته فكيف به لوجعلها من امهات احكام ملته واوليات قواعد شريعته قال بعض فلاسفة الاسلام من الاكابر مانصه : يستحيل على الوحي الآلهي والشرع الحق ان يرد بما ينبو عن العقل بمعنى ان برهان العقل يدل على استحالته . نعم ليس بمحال ان يرد الشرع بما يقصر العقل عن ادراكه ولايستقل باحاطة كنهه وليس مالا يدركه العقل محالا في نفسه وقال آخر : صريح العقل موافق للرسول دائما لا يخالفه فان الميزان مع الكتاب (والله انزل الكتاب بالحق والميزان) لكن قد تقصر عقول الناس عن معرفة تفصيل ماجاء به فيأتيهم الرسول بما عجزوا عن معرفته وحاروا بما لايعلمون لا بما يعلمون بعقولهم بطلانه فالرسل صلوات الله عليهم تخبر بمحيّرات العقول لا بمحالات العقول انتهى — هذه تعاليم الاسلام وهذه نصوص علمائها . وهذا مواخاتها للعقل ولكن الناهضين بنشر الدعوة المسيحيه والواضعين لاصولها وفصولها المتصرّفين في شوءونها كأنهم غفلوا عن كيان هذا الامر وغاب عنهم استحالة كون الواحد ثلاثه وذهلوا عن ان هذا لا يروج عند ذوي الالباب والفطانه ولو اجهد المبشرون انفسهم في الاقناع به والدعوة اليه فان ارباب الالباب وذوي الاستقامه لا يقبلون ولايعتقدون الّا ما تحكم به العقول الصحيحه ، والوجدانات القويه ، والاذواق السليمه ، بعد ردح من التأمل ، وبرهة من التروي والتدبُّر . وعزّت وجلّت كلمة الله (المسيح) عن النبس والهمس والاشارة والتعريض بذلك وكفاك ما تقدّم من شهادة ذلك الفاضل

الذي قضى عامة عمره وسحابة ايامه في الديانة المسيحيه وهو اعرف بغثّها وسمينها ء وشكّها ويقينها ء حيث يقول : (ان كلمة ثالوث ليست من الكتب الالهاميه) وقد تعقب ذلك وكرّ على توطيده واثباته وجاء عليه بالشهداء من ابناء جلدته وسابقي نحلته بقوله في تلك الرساله : ربما ان الامة المسيحيه تستغرب قولنا ان تعليم الثالوث غير مصرح به في جميع اعداد الانجيل خلا عدد واحد وهو رسالة يوحنا الاولى الاصحاح الخامس العدد السابع وهي (لانّ الشهود في السماء ثلاثة الاب والكلمه والروح القدس وهؤلاء الثلاثه هم واحد) ومن المحقق ان جمعية التصحيح قد رفضت هذا العدد من الانجيل المصحح وقالت ان وجود هذا العدد الدخيل في الانجيل مما ينافي الامانه — ومما يؤيد دعوى هذه الجمعيه كتب (نيوتن) و(جبون) و(بورصن) وغيرهم فانهم برهنوا على زيادة هذا العدد • وقد اعترف (كلمن) نفسه انّ هذا العدد ليس له وجود في الكتاب المقدس(١) * ثم ان المحترم وليم شُكرت مساعيه ذكر كلام المسيح الدال على توحيد الحق وحصر الألوهيه فيه ونفيها عن نفسه بقوله لبعض الرؤساء (لماذا تدعوني صالحا ليس صالحا الا واحد وهو الله) وهي في انجيل لوقا اصحاح ١٨ عدد ١٨ و١٩ ثم ذكر بعض كرايم القرآن الكريم في ابطال تلك المقاله مثل قوله ﴿ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انّما الله آله واحد الآيه﴾ الى ان قال والمسلمون يعتقدون انّ خاتم الانبياء واعظمهم محمد (ص) قد ولد (ع) بمكة المشرّفه ١٠ نيسان ٥٦٩ مسيحيه وهو قرشي — وقريش اعظم قبيلة في بلاد العرب تتصل باسماعيل بن ابراهيم (ع) وكانت سدانة الكعبه بيد جدّه صلى الله عليه وآله وهو اعظم معبد للعرب قد أُدخلت فيها الاصنام وذلك قبل بعث وسول الله (ص) وكانوا يحجون اليها وقد وضعوا فيها ٣٦٠ صنما عدد ايام السنه وهي من بناء ابراهيم واسماعيل والذي يظهر من تصفح كتب التاريخ ان بناءها كان قبل بناء هيكل سليمان بقدر ٩٩٣ سنه اي قبل عيسى (ع) بألفي سنه * ثم ذكر وصف الكعبه وزينتها وستورها وعظيم قدرها وشريف شؤونها الى ان قال واسم ابيه عبد الله توفي قبل ولادته عليه الصلاة والسلام وتوفت أُمه وهو ابن ست سنوات وكفله عمه ابو طالب وكان (ع) في صغره حسن

(١) اقول ومن مشاهير الغرب الذين رفضوا تعليم الثالوث • الفيلسوف الشهير (تولستوي) فانه كان لا يؤمن بسر الفداء ولا الثالوث ولا يعتقد انه آله ويقول ان الصلوة له استهزاء به اما الكنيسة فلا يعتقد انها كما يرضاها المسيح بل يقول طرء عليها الفساد وارتكب رؤساؤها ما يخالف تعاليم المسيح

الخلق تلوح على وجهه دلايل النجابة والفطنة والدرايه وكلما ازداد سناً ازداد رصانة وذكاء واستغراقا في التفكر حتى ان احد اصحابه(ع) قال له مرة هلمّ بنا الى اللهو فاجابه خُلق الانسان لامر خير من هذا وكان (ص) عالي الهمه وديعا اميناوفياً للعهد محباً للاطفال معطيا للصدقات متواضعا غير مدعي — والذي ورد انه كان(ع) ربعه لا بالطويل ولا القصير ازهر اللون من رآه هابه راجع كتاب (الاك. الاسلام ومحمد) وكان (ع) امياً لا يعلم القراءة والكتابه كما في قوله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) سوره ٢٩ ولما كمل له (ص) اربعون سنه جاءه الحق وهو بغار حراء وهو جبل يبعد نحو ساعه عن مكة المشرفه وكان قبل ذلك يختلي فيه يعبد الله تعالى ثم ذكر كيفية نزول الوحي عليه وبدء النبوة واول البعثه مما سنورد لك تفصيل فلسفته واسراره في الجزء التالي لهذا الجزء ان شاء الله الى ان قال : فسألوه معجزة تؤيد دعواه فاجابهم (ص) انما جئت لنشر الحق — اقول هذه غفلة ناشئة من حداثة هذا الفاضل في دين الاسلام وعدم البلوغ في بادىء الامر الى كل مشروعاته وشؤونه والّا فقد عرفت انه كم سألوه معجزة فاجابهم اليها وكم سكتوا فابتدأهم بها حتى سألوه ان تنقلع الشجرة من اصولها وتاتي اليه وتشهد له بالرساله ففعل راجع (النهج) تجدها مشروحة في احدى خطبه سلام الله علية — نعم قال المحترم (عبد الله وليم) على انه اعجزهم بان ياتوا بسورة واحده من القرآن نعم ان اعظم آية له (ص) هوما اوحي اليه (وَمَا يَنطِقُ عن الهوى إنْ هُو الّا وحيٌ يوحى) فكان متكلا على الله تعالى في تثبيت دعوته فانه رغماً عن كل كيد واضطهاد داوم الدعاء الى الله عز وجل وصار يدعو الناس جهراً بمكّه وفي كل يوم يزداد المؤمنون به وكثيرا ما كان يدعو الناس الى دين الله وهو على جبل ابي قبيس او الصفا حتى ان اعداءه راموا ان يسكتوه جبرا وكلما ازدادوا له اضطهادا ازداد صلى الله عليه شجاعة وثباتا وقد الحّ عليه عمه ابو طالب بان يدع ما يدعو اليه فاجابه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي لما كنت لأدع ذلك فاشتدّ الاذى من قريش له ولأصحابه فامر اصحابه بالهجره الى المدينة المنوّره فامتثلوا وكان بعض اهاليها قد اعتنقوا الديانة الاسلامية — امّا النبي فبقي بمكه يدعو الى دين الله وتوحيده فأتمروا فيما بينهم على قتله وذهبت طايفة منهم لمباشرة ذلك وهو نايم فاوحى الله اليه ذلك وامره بالهجره ثم ذكر امر هجرته سلام الله عليه واصطحاب ابي بكر (رض) ومبيت عليّ (ع) على

فراشه متشحا برداء النبي ومجيء القوم اليه ليقتلوه الى امثال ذلك مما ضبطه لك التاريخ ودونه العلم ولا غرض هنا في نقله والغرض نقل ما يتعلق بالثناء على الملة المقدسة الاسلامية واعلان مجد شارعها وناشرها المقدس ومثابرته وعنائه في نشرها وبثها صبرا يشهد له بصدقه ويقوم باثبات حقه ويدلك على كيان امره وبيان جوهره وصحيح غرضه . ورجاحة ميزانه وعلو شانه وقد اقمنا لك الشهود عليه حكاية من كلام هذا الفاضل ومن نقل عنهم ولم يزل ذلك المتبصر المنصف — الحصيف الفكر . المرير الرأي . مارا على هذه الوتيره . وفي هذه الخطه . حتى استوفى قدرا منها وبالغ في تحقيقها ومن جميع ما مر عليك يتجلى لك قدر عناء تلك الذات المقدسه في نشر تلك الدعوة المباركه وما تحمله من الاذى في سبيلها وذلك الفاضل وان استوفى بعض شواهدها ولكن قد فاته كثير مما يشهد على تحمله صلوات الله عليه اقصي مبالغ الجهد والاذى . والبلاء والعناء مثل قذفه بالصخور والاحجار مهما اجتاز في طريقه بمكه حتى اصيبت جبهته المقدسه وسالت الدماء على وجهه الكريم — وكالقاء المقاذر في طعامه حتى يمتنع من الاكل وكبح ماء الرماد على ثيابه واشباه ذلك من المؤلمات والموهنات لشرف حسبه ونسبه وجليل قدره في قومه مع قطع النظر عن قيامه على عرش النبوه . وكرسي الرساله — عناء لم يحتمله احد من النبيين قبله لا نوح ولا ابراهيم ولا موسى ولا عيسى كما اشعر به هو صلوات الله عليه وعليهم بقوله (ماأوذي نبي مثل ماأوذيت) وهو لايتاتى ذلك الا برحيب صدر . ومتسع حلم . وعظيم رافة بقومه ورحمة . فتجده في مضايق البلاء . وشدة سيطرة السطوات منهم عليه يقول والكرب قد اخذ منه مأخذه والدماء تسيل على وجهه (اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون) غير داع عليهم بنزول العذاب ولابتعجيل النقمة والعقاب . كما فعل باشياعهم من امم الانبياء من قبل — وكفاك حديث الصحيفه التي كتبها قريش في مقاطعة بني هاشم رهط النبي (ص) وحبسهم في الشعب ثلاث سنين ومنع الميرة والزاد عنهم وامثال ذلك من الاضطهادات شاهدا على مازوم الدلالة عليه وتراه سلام الله عليه على شدة العوايق عن غرضه . والدوافع عن قصده . واحجار العثرات في طريقه . والعرقلات في سبيله لايزداد الا شدة وحماسا . وعزما وباسا . وقوة ومراسا . وتجاهرا بنشر دعوته وتجاسرا على الاعلان بكلمته كأن له قاسرا من ورائه ودافعا الى تلك البغية يدفعه من

خلفه . لايتوانى ولا يقف ، ولا يلتفت ولا ينصرف ، يعرّض نفسه في ذات الله للمهالك غير مبال ولا مكترث ، وهو يتيم ابي طالب واول خاذل له عشيرته ، واشد الناس تحاملا عليه لحمته ، مع اعترافهم بانه من الصدق والشرف في المكان المكين ، وتسميتهم له قبل ذلك بمحمد الامين ، مانقموا عليه خلة ، ولاعثروا له على زلّة ، ما نقموا منه الاّ انه دعاهم الى سعادتهم ، وجاءهم بفوزتهم ، فكذّبوه جهلا وعنادا . وكفرا والحادا . (سُنة الله في الّذين خلوا مِن قَبلُ ولَن تجد لِسنَّة الله تبديلا) ﴿كَدأب آل فرعون والّذينَ مِن قبلهم﴾

ولَنعد الى استيفاء الغرض من نقل كلام العقيدة الاسلاميه لذلك النصراني المتبصر المتدرب المتدبّر . حيث انتقى فاتقن . واحسً فاحسن ، وجدّ فوجد ، فكان من جملة مقالاته : وكثيرا ما كتب الكتاب الاوربيون مع اختلافهم بخصوص الشمايل المحمديّه . بيد انَّ معظم نتايج كتاباتهم مموّهة بالضغاين والشحنا فياللاسف من وجود هكذا اناس يزعمون انهم تبع لذلك الوضيع الوديع عيسى (ع) ولقدعلم بعض كتّاب عصرنا انّ الطعن والشتم لا تقوم بها الحجه فأتوا بذكر كثير من الشمايل المحمديه المرضيه وعظمة القرآن الشريف فقد قال (مسترحنا داڤنرت) بكتابه المسمى (بمحمد والاسلام) ما نصه مهما ازداد الباحث تروّ بالحقايق التاريخيه الوثيقة الصادره فيما يخصّ الشمايل المحمديّه يزداد احتقارا لشانئي محمد(ص) مثل (مركسي وبريدوا) ومن المتأخرين (فردرك شلجل) وغيرهم من الذين اشرعوا اسنة الطعن في النبي(ص) ولا يسعني ان اضرب صفحا عن التصور الذي اتخذه (كارليل) فيما يختص بالنبي (ص) فانه تصورٌ اصلي حقيقيٌ معجب . وهو ان الابطحي النيّر البصيره المتقد البصر ذا النفس المرضيه الانيقة المطمئنه . لم يكن ذا مطامع دنيويه بل كان صاحب افكار ونفس عظيمة رصينه من الذين لا يمكنهم الاّ الجد للحصول على الحق — الذين اختصتهم يد القدرة بالاخلاص بينما كان الغير آتيا بالشعبذة والابتداع مكتفياً بهما وقد تنزّه (ع) عنهما بل كان شأنه التفكر والعزله وقد تجلّى له سرّ الوجود العظيم بمظاهر الجلال والخوف . فاضاء له حقايق الاشياء . وتلك حالة لا ينالها الّا اهل الحق . ولا شكّ ان انسانا هذه كلمته لناطق عن تجلّ آلهي . فيجب على كل فرد ان يصغى لمقاله ويترك ما سواه — اذ كل ما سواه يذهب ادراج الرياح وكثيرا ما كان يختلج في صدره التفكر في خلق السموات والارض والكاينات والتفكر في هذه الحياة الدنيا

والموت فانزل الله عليه الوحي كاشفا له عن حقايق الاشياء مبيّنا له —
ثم كرّ على ذكر العقايد الاسلاميه من التصلب والتشدد في التوحيد والايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر واردف ذلك بذكر احوال القرآن الكريم وترتيب آياته وسوره واسمائها واعجازه الى ان قال واذا تدبّرنا القرآن المجيد من وجه بلاغته بقطع النظر عن كونه وحياً نجده ابلغ كتاب عربي انتظاما وتركيبا فانه جمع اساليب البلاغه ما بين مرسل ومسجع وغير ذلك موافق للذوق المنتشر منذ احقاب كثيره لدى القسم الأعلى من المسكونه وهو مملوٌّ بامثال باهره ومجازات بديعه ولقد ذكر (امرش) القرآن الشريف في عدة محالات من كتابه بكل احترام وتبجيل وقال (كوز) ان القرآن الكريم ربّما يجده القارىء بادىء بدء ثقيلا غير انه بعد قراءة قليل منه يجذب قارءه بسحر بلاغته ويختطفه ببهجته ويأخذ بمجامع قلبه واما ما ذهب اليه (كارليل) بخصوص القرآن المجيد فهو انه متى قرأ احد القرآن بتدبر يرى ان الحقايق الجوهريه منكشفة لديه بذاتها فله بذلك رونق بديع غير رونقه اللفظي ومن المعلوم ان الكلام الحقيقي له تسلط على كل قلب والحقُّ يقال ان جميع الكتب بالنسبة الى القرآن تعدُّ حقيرةً فانه منزّه عمّا يستهجن قال (السر وليم ميور) في كتابه المسمى (حياة محمد) ان القرآن ممتلىء بادلة من الكاينات المحسوسه والدلايل العقليه على وجود الله تعالى وانه هو الملك القدوس وانه سيجزي المرء بعمله ان خيرا فخيرا وان شراً فشرا وان اتباع الفضايل واجتناب الرّذايل فرض على العالمين وان الواجب على كل مكلف ان يعبد الله تعالى وهي علة سعادته وقس على هذا ماهو موضح بادلة موءكدة بليغه ويكثر في القرآن المجيد الشعر (١) ويمثل حقيقة البعث بامثال كونية صادقه وتشبيهات مدهشه مثل قوله (وترى الارض هامدة فإذا أَنزلنا عَليها الماءَ اهتزَّت وَربتْ وأَنبتت مِن كلِّ زَوجٍ بَهيج) وقال (وشنطون) مثله وقال (جبون) انّ اوامر القرآن ليست محصورة في الفروض الدينيه والادبيه فقط فان سكان الممالك التي هي من حدود الاوقيانوس الاتلانتيكي الى الغنجس يعتبرون ان القرآن الكريم عليه مدار الامور الاخرويه والدنيويه من الفقه والتوحيد والاحكام الحقوقيه والجزائيه وما به انتظام الكون وقمع الظالم وصيانة الحقوق وذلك امر آلهي لا مرية فيه . وبعبارة اخرى ان القرآن المجيد هو الدستور

(١) المراد حسن التمثيل وبديع التصوير للوقايع الحقه والحقايق الراسخه وضرب الامثال بما يبعث الشوق ويهيج الرغبه الى الفضايل لا الشعر بمعناه المتعارف كما لايخفى

العمومي لكافة العالم الاسلامي وهو دستور الدين الاسلامي فهو نظام الكون في المعاد والمعاش وبه النجاة الابديه وحفظ الصحة البدنيه والمصالح العمومية والشخصيه وما يترتب على ذلك من الفضايل الادبيه والاجرآت الجزائيه الدنيوي والاخروي كل ذلك منظم في القرآن المجيد — راجع كتاب (دالاڤنپزت) المسمى (الاسلام ومحمد) قال في المباحث بالنسبة بين العلم والدين ان القرآن المجيد يخالف في اصوله توراة اليهود والنصارى وبمقتضى تقريراتكم ان ليس به تعاليم لاهوتيّه غير ان معظمه مشتمل على اخبار ومباحث متدفقه بعبادات حقيقيه وفضايل صادقه مرتبطة اشدّ الارتباط فكأنّ الشارع علم ان اولي الاستبدادات الروحيه ذووا اخطار على السياسة والحكومه وانهم ميالون لافساد الطاعه فجعل دستور اعمال المكلفين القرآن المجيد ليكونوا عالمين بما يجب عليهم منه فليس في الاسلام كهنوتيه فعلماء الشريعه هم علماء الدين لان الشرع هو القران ولا نضطر ان نذكر ايمان الاسلام فيما يتعلق بالبعث والحساب والجنة والنار وتعليم القدر ثم ذكر جملة من تعاليم القرآن وشرايعه المقدسه وقوانينه المباركه فقال ملخصا وقد اوجب القرآن حقيقة الاحسان على كل موءمن وبيّن ذلك بقوله تعالى ﴿وَاعبُدُوا الله ولا تُشرِكوا بِهِ شَيْئاً وبالوالدَينِ احساناً وَبذي القُربى واليَتامى والمسَاكين وَالجارِ ذي القُربى والجارِ الجُنُبِ والصاحبِ بالجنبِ وابن السبيل وما مَلَكَتْ ايمانُكم﴾ (الآيه) (سورة النساء) قال وآداب القرآن اعظم الآداب فانه حرَّم قول السوء ﴿لا يُحِبُّ الله الجهرَ بالسوء من القول﴾ سوره ٤ ﴿وَلا تَجسَّسُوا ولا يغتبْ بعضُكم بعضاً﴾ سوره ٤٩ وحرَّم الخمر والميسر (القمار) فقال في البقرة ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثمٌ كبير﴾ ثم قال تعالى سوره ٥ ﴿ياايها الذين آمنوا انما الخمرُ والميسرُ والانصابُ والازلامُ رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون﴾ ويحرّم الخبايث والفساد بكافة انواعه آية ١٧ من النساء ويحرم الربا راجع سورة البقره ويحرّم التكبر وعمل السوء والنفاق والحسد راجع ١٧ و ١٨ و ٣٣ و ٦٣ من النساء ويحرم الطمع في الحياة الدنيا وبخس الكيل واكل مال اليتيم وقهره ويمنع البهرجة الظاهريه ويحضّ على الاخلاص القلبي والعمل الصالح اللذين هما دليلان على صدق الايمان — ومما هو موءكد في الخصال الاسلاميه الرأفة على الاطفال والوفاء بالعهد والمساواة الحقوقيه فيما بين الناس والاحسان والعفّه حتى في القال وفكّ الاسرى والصبر على البلاء واحتمال المكروه ومقابلة الأساءة

بالأحسان والسلوك في سبيل الفضايل وذلك لاطمعا بل لكون ذلك مرضياً لله عزَّ وجل ونهى القرآن عن الاسراف وظلم الارقاء وقتل النفس وتاخير التوبة الى ساعة الموت واما خفض الجناح ولين الجانب فهو فرض على كل موءمن انظر الإسراء والنور والشعراء — ثم ذكر الصلاة واهتمام الشريعة بهـا وانها عماد الدين ومفتاح الفردوس واورد بعض الآيات الواردة فيها الى ان قال : ومن بدايع القرآن العظيم الكثيره — ثناوءه على نفسه تعالى مما يليق به لانه منزّه عن الصفات البشريه الضعيفه وخلوّه اي (القرآن) من التصورات والتوضيحـات والتقريرات المخلّه بالاداب مما هو مذكور فيما سواه من الكتب نعم ان القرآن منزه عن ذلك ويمكن قراءته من اوله الى آخره بدون ان تحمرَّ خدود الآداب منه (اقول) كانه يشير الى ما قدمنا نقله من العهود التي يزعمونها التوراة والانجيل وحاشاهما من نسبة الشنايع الفاضحه الى كبار رسل الله وانبيـائه من زنا لوط ببناته وعبادة العجل من هرون وزنا داود بزوجة اوريا الحثي وجعل عيسى لعنة وشربة الخمر وامثال ذلك ممـّا يسوّد وجه الحقيقه وينكّس راس الحياء وتحمرُّ (كما قال) خدود الآداب والمروءة منه فانا لله وانا اليه راجعون لأمم فقدت واضح وجداناتها في امور دياناتها وعابت المسلمين متحاملة على قرآنها — قال وقد وصف القرآن الكريم واحكامه جمٌّ غفير من الموءلفين باوصاف بديعة فنهم (بثورث اسمث) بكتابه المسمى (حياة محمد) صفحه ٣٤٦ قال تبيانا لما قام بافكاره ان محمدا (ص) لموءسس امة ومملكة وديانه وهذا امر لم يوجـد له سبق مثال — ولن يوجد وهو اميّ لايعرف القراءة والكتابه وقد جاء بكتاب مشتمل على دستور الشرايع والعبادات واخبار الامم وهو نقي العباره من الالفاظ المستهجنه باهر الحكمة والحقايق وهو اعظم معجزة له (ص) والحق يقال انه لمعجزة . وذكر في (البيبلير انسكلو بيديا) مجلد ٨ صفحه ٣٢٦ أن لغة القرآن افصح لغـات العرب واساليبه وبلاغته تسحر الالباب بحسنها وسيبقى غير معارض الى الابد ومواعظه طاهرة وكل من يتبعها بتدبر يحيا حياة طيّبه — واخيرا اقول ان القرآن يرفض كليا التفكر بأيّ ذبيحة ماعن الخطيئه (١) بل يقول (ولاتزر وازرة وزر اخرى) (وان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فعلى هذا يلزم كل فرد من البشر ان يستغفر لذنبه ويعمل صالحا كي يتاهل لدخول الجنه * واعظم ما يُرمي به الدين الاسلامي انه دين

(١) اشارة الى ما يقوله النصارى من ان عيسى فدى بنفسه خطايا العالم

قام باشهار السيف وهذه تهمة باطله فأن دين الاسلام المبين لم يتداخل بعقايد الاديان مطلقا ولا اضطهد معتنقيها ولم يجبر احدا على الدخول فيه قهرا وانما دعى الناس اليه ومن المعلوم ان القرآن المجيد هو معتقد المسلمين وبحسب اوامره يفعلون قال الله عز وجل في سوره ٢ (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) قال (شاتغليد) في كتابهِ المسمى التصفح التاريخي صفحه ٣١١ لو ان العرب والترك وغيرهم من الشعوب الاسلاميه فعلوا في الشرق مافعله الاوربيون في اهل القرآن لتلاشت المسيحيه في الشرق غير ان دينهم يأبى ذلك ويخولهم ان يكون لهم من الحقوق ما للمسلمين — يقول صاحب هذه الدعوه . قِف هنا وتأمل . واذكر صنيع ملوك الغرب من المسيحية بالمسلمين وتعجب . قال الفاضل المتبصر : وما قاله (توماكارليل) هو اعظم حجة بالغة ولذلك لا مندوحة لي عن ذكره : وهو انه طالما كثر القول بان محمدا (ص) قد نشر دينه بالسيف فاننا اذا جعلنا هذا القول برهانا على صدق او بطلان دين ما نجد انفسنا اننا وقعنا في اغلاط حقيقيه فلو فرضنا ان هناك سيفا فانّى له ان يقاوم سيوفا جمّه وكل امر محدث ينحصر باداء بدء بشخص واحد فهل والحال هذه يمكن ذلك الشخص ان يجبر العالم اجمع على ان يأتمروا امره خشية سيفه والحق يقال ان الامر يكون انتشاره بمقدار ما له من القوّة الحقيقيه على اننا لا نرى ان دين النصارى احتقر السيف حينما صار له سيف فقد نصَّر شارلمان (السكسونس) لكن ليس بالوعظ بل بالسيف وانني قليل الاعتناء بالسيف وادع الشيء يحامي عن نفسه بايّ وسيلة وأدعة يعظ ويكاتب ويخاصم فانه لا يستظهر الا بما يستحقه ولا يزيل الا ما هو دونه والصدق اعظم حكم في هذه المبارزة فانه هو الذي اخيرا ينمو ولا ينمو سواه . يقول صاحب الدعوه لعلك تتذكر ما قدمناه في هذه الخطه وان نبيّنا (ص) انّما اضطرّ الى السيف اضطرارا حيث اصرّوا على تكذيب الوعظ والحجج الباهره عنادا واستكبارا . ولقد كان هو اولى بالسماح والعفو عنهم وتركهم وسوء طباعهم ، وسوء عاقبة مآلهم . ولكن كانوا يقفون حجر عثرةٍ في طريقه . وعرقلة في سبيله . فلا يتركون عباد الله المستعدين لقبول السعادة ان ينالوها ، ويجهدون في كلمات الله وآياته ان يمحقوها فلم يكن بدٌّ ولا مندوحة من مناواتهم وقمعهم ، وتطهير الارض من رجسهم . ولذلك هو صلوات الله عليه ماكان يقاتل الاّ من نقض عهده ، او زاحم في نشر كلمة التوحيد قصده ، ولهذا كان يهادن الامم الكتابيه ،

ويسالمهم ماسالموه لان اقصى غرضه ودعوته الى عبادة الآله الواحد الاحد وللكتابيين حظٌ منه ونسبة اليه وفي هذا حاجز له عن محاربتهم ولذلك ماحارب منهم ولا قتل الاَّ من نقض عهده وحالف المشركين عليه كل ذلك حرصا على الحق واعلاء كلمته ، وتعويلا على الحجج البالغه في نشر دعوته — فذاك الكاتب المتبصر حام حول الحقيقه ولماً . واوشك ان يصيب موضع السيف وانه الموضع الذي لايغني عنه سواه . ولا مندوحة عنه بغيره . ولكل مقام مقال ، ولكل ميدان رجال ، وليس هو من الاكراه في الدين بشيء ، بل لدفع من يكره على خلافه ، ويحفز المهتدي عن قصده ، وستاتي في الجزء التالي فلسفة البحث هنا وما ينبغي ان يقال فيه فانتظر وبالله التوفيق *

قال واني لاارتاب ان الاسلام منزه عن الهزوء واللعب ليس به رياء ولا نفاق وهو لاشك حياة لكل معتنق له ، ولقد لاحظ (توما كارليل) ببصيرته المتقدّه هذه الصفات بالنبي (ص) بقوله اني احب محمداً لثباته واستقامته فانه ابطحي مهذّب انفسه لايدَّعي بما ليس فيه ولا اثر للكبرياء عليه على انه ليس بالذليل وكان يرقع ثوبه ويخصف نعله زهدا وتواضعا يقول الحق بساير احواله لأكاسرة العجم وقياصرة الروم . بما يجب عليهم من الفرايض ينزل الناس منازلهم يعلم حقايق الاشياء لا كمن يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ، يرى ساير الكمالات لله تعالى وانَّ التقصير من شان القوى البشريه الى ان قال وبالاختصار اقول ان الديانة الاسلاميه لهي ديانة حق ذات مبادٍ صحيحه روحيَّه . وهي معتقد خمس النوع البشري * الله اكبر ان صدى دين الاسلام له رنة في القلوب يصغي له ملايين جمة وله ملأ من أُولي العزة ينشرونه فيما بين (الملايا والبابوات) وهو مزيل للخبايث والقبايح اينما حل انتهى

قال المحترم (عبد الله وليم) هذا هو الاخاء الذي ادعو اليه ابناء وطننا الانكليزي وهذا هو الايمان الذي نعرضه عليهم ليعتنقوه راجيا منهم نبذ العصبيات الدينيه وراءهم ظهريّا وهي التي ورثوها كابرا عن كابر . وان لا يستمسكوا الا بعروة الايمان الوثقى التي لا انفصام لها . ويدَعوا كل ما لايقبله الذوق السليم . والطبع المستقيم . اذ كل ما لا يُدرك ولا يدخل تحت الامكان ينتج ضرورةً وجود الريب وعدم الثقه . وهو امر تُخشى عواقبه في الايمان الحقيقي لان النتايج دقيقة جدا . وعاقبة الضلال والغوايه هي خطر عظيم . وكل ما نتوق الى معرفة كنهه من الامور الدينية المهمه فان دين الاسلام ينبئنا عنها باجلى بيان ويعلِّم الانسان حقيقة التسليم لله تعالى (هو الذي خلقكم

واليه ترجعون) . فلتهلك كافة العوايد وكافة الاسرار التي لا تُدرك ولو بلغت مهما بلغت خيرا من ان يهلك الانسان الذي خلقه الله في احسن تقويم او يضل عن الصراط المستقيم ولربّما قال قايل انك تمتهن الاديان والاعتقادات وتبخس الناس اشياءهم . اقول نعم ان الذين يقولون ان الاعتقادات ليست بشيء فمن المحال ان يكونوا ادركوا حقيقة قولهم كما قال احد خطباء هذا العصر بما هو مطابق لمقتضى الحال وهو (كونس روجرس) في اي البلاد يكون دين المرء غير ثمين لديه مع انه يعتقد انّ وراء هذه الدار دارا اخرى وبها تكون المكافاة والمجازاة . وسعادته وشقاوته متوقفان على ايمانه وما اجهل امرءً اضاع حياته بما به الوبال والخسران عليه لانه لم يغتنم الفرصة التي اغتنمها من هو اعظم منه ادراكا واقوى شهامة فانه ترقى في سلّم النجاح فالايمان ليس هو صناعة او علما يمكنه استقراء ادلته كي يظهر به فساده في هذه الحياة الدنيا بل انما تظهر نتايجه وما يترتب عليه في تلك الدار ﴿وَسَيعلم الّذين ظَلموا ايَّ مُنقلبٍ ينقلبون﴾ قال الحكيم (مودسلي) كلاما مبتكرا وهو انه يجب على كل انسان ان يصرف همته الى الله بالاخلاص في الاعمال الصالحه حتى اذا اتاه اليقين شرب كاسه غير وجل متكلا على الله باخلاص فيكون كطفل امرته امُّه بالنوم ليرتاح من عناء نهاره انتهى وهذا شان المسلمين بتسليمهم لقضاء الله وقدره . وبالاختصار : اني انذر الذين هم على وشك اعتناق الاسلاميه والذين هم قد اعتنقوها انه يجب عليهم ان يصبروا على الاذى والامتهان واحتقار معانديهم مع ما يحرفونه من امر دينهم عن مواضعه فانه هكذا كان بدء الاسلام في زمن محمّد (ص) ولهم فيما جاء في سورة الحجرات ٦٩ اعظم اسوه وهي قوله تعالى (يَمُنّون عَليكَ اَنْ اَسلموا قُل لاتمُنّوا عليَّ اسلامكم بل الله يمنُّ عليكم ان هداكم للأيمان ان كنتم صادقين) يقول صاحب هذه الدعوه : هذا آخر ما اردنا نقله من تلك الرسالة المطبوعه بمطبعة جمعية الفنون سنة ١٣٠٩ هـ

ولا احسب الالمعيّ اللبيب العارف باساليب البيان وترجمة اللسان عن الجنان — لا احسب من هو خليق بان يتمثل بقوله

اصادق نفس المرء من قبل جسمه ... واعرفه من فعله والتكلم

انّ مثل هذا العارف اذا نظر الى ما تقدم نقله من تلك الكلمات الحادّه والنغمات الشريفه واللهجة الشديده لا احسبه يرتاب في انها خرجت من

توقيع القلب ، واملاء الحقيقه ، وعلى حركة أوتاد الهوى ، وارادة الهواجس وبدافع نفس الامر ومجرّد الواقع ، لا عن صورة تصنُّع ، ولا بصفة غرض او تكلُّف ، فان تلك اللهجة لا محالة لهجة ذي دين . ونغمــة ذي عرفان ويقين . قد تلطّف حتى نفذ من المسام . وتصرّف حتى لم يدع على الحقيقة حجابا من حجب الاوهام . فجاء بها نواصع بيضاء عارية عن كل لُبسه ، مجرّدة عن كل شبهه ، كجبين الصبح ، او كغرّة شمس الضحى ، هذا ما نحسُّه ونحدسه من تلك الكلمات ، ومكنونات السراير على تمام الحقيقة لله *

على اننا ما سردنا لك تلك النصوص الغربيه ، لِنعتدّها عليك إلهامات آلهيه او آيات سماويه ، او احاديث قدسيه نقطع بها حجّتك ، او نسدُّ بها محجتك او لنجعلها فيصل الحكومة علينا وعليك ، وقاطعة الخصومة بيننا وبينك ، كما لا نريد ان نكون معك ممن يعرف الدين بالرجال ، ولا ينظر الى ما قيل بل الى من قال ، كلاّ ، لا وربِّك لسنا هناك ، وكيف وقد انبأناك ، انّ الغرض ما هو الاّ اننا حيث ذكرنا في المقالة الاولى من صدر الخاتمه — بعض تحامل الغربيين على الاسلام والمسلمين احببنا ان نكيل لهم بالقسط ولا نبخسهم في الوزن ، ونأخذ بالامانة على اطرافها وحدودها ، فقلنا كما انّ فيهم من طعن في الاسلام وتشدّد عليه ، فيهم من طاعن عنه وشهد له ، فعسى ان تكون هذه بتلك ، واحدةً بواحده ، بواءًا وكفاءًا ، لمن يرى ان اقوال الغربيين هي المثابة والمباءه ، والقدوة والغايه ، التي اليها يُرجع وعليها يُعوّل ، فان كان ما رُمناه فذاك ، والاّ فالامر يسير والشأن طفيف والحُجج قد تكاتفت لك سابقةً وستترادف عليك لاحقه في الاجزاء التاليه ان شاء الله

﴿ الثـالثه ﴾ من التتمات . ان قصاراي من دعوتي هذه . ان استنهض همم اخواني المسلمـين واستلفت انظارهم . واستحضر افكارهم * واستشير

مدافع غيرتهم . ونيران عزايمهم . بجميع شعبهم وعناصرهم . واسناخهم واواصرهم . راغبا بعاطفة الاسلام اليهم ناشرا عليهم دعوته لهم . وصرخته فيهم . وبغيته منهم . متوسلا بكل وسايله . ان يجدوا ويجتهدوا . ويقوموا ولا يقعدوا . ويتذرعوا بعد الاعتماد على الله سبحانه بكل الاسباب والعوامل . والذرايع والوسايل . في اعادة مجدهم المؤثل . والعود الى مقامهم الأول . ولا يتسنى لهم ذلك الا بان ينتبهوا من خدر الكسل الى نشاط العمل . وينهضوا من وهدة الجهل الى ذروة العلم ويمتطوا صهوة المعارف وغارب الطلب . ويبذلوا النفس والنفيس دون التفاني على التمسك بعرى هذا الدين . ويحملوه اشدّ ما يكون بكلتا اليدين . بل في القلوب وعلى الرأس والعين . فانّ فيه معادن البركات . وينابيع الخيرات وجماع السعادات . الا وانه لهو الدين السعيد ء دين الوحدة والتوحيد . الا وانّه ما قامت قوايمه . ولا رسخت الى عروق الثرى دعايمه . ولا هطلت بالبركات على اوليائه غمايمه . ولا اشرقت في العالم انواره . ولا بزغت على البسيط شموسه واقماره . ولا انبسط في الآفاق شعاعه . ولا امتد في المعمورة باعه . الا باستحكام عرى الوحدة والاخاء الديني والاتحاد الصحيح الحقيقي . لا ما تسمعه من هلجات الفاظ ولهجات اصوات . ذاك الاتحاد والاخاء . هما اوّل بركة صبّها الاسلام على الداخلين فيه والآخذين به . فقد كانت الثوراة الدمويه بين قبائل العرب وجاهليتهم من الاوس والخزرج وغيرهم قد صبغت وجه جزيرة العرب بالخجل والحياء . من اراقه الدماء . وما جاء الاسلام حتى جاءت كريمة قوله تعالى ﴿وَاعتصمُوا بِحبلِ الله جَميعاً ولَا تفرّقوا واذكرُوا نِعمةَ الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بَين قلوبكم فاصبحتم بِنعمتهِ إخواناً وكُنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ بل لا اراك لو استقصيت النظر وتدبّرت نواميس هذه الشريعة المقدّسه . الاّ واجدا اكثر مشروعاته وموضوعاته مبنية على هذا الغرض موعزة الى هذا القصد . لا تنحو الاّ اليه . ولا تدلّ الا عليه . وهذا جليّ ساطع لاوّل نظرة في وجوب الدفاع عن دم المسلم وماله وعرضه وحرمة غيبته وتشديد النهي عن ذكر عيبه . والأفك والبهتان عليه وقذفه واهانته وهتك ستره بين الناس حتى لو ارتكب المعاصي والكباير الأمن باب امره بالمعروف ونهيه عن المنكر — له بنفسه دون ان يذكره عند غيره — وليس امره بالمعروف ونهيه عن خلافه الاّ من باب وجوب نصيحته وارشاده وتعليمه وحرمة

غشه وخيانته ووجوب حفظه وصيانته — ثم لم تكتف هذه الشريعة المقدسه شريعة الوحدة والتوحيد بهذا كله في ربط عواطف الاخاء والوحده حتى ندبت وحثت باشد الندب والترغيب الى عيادة المرضى وتشييع الجنايز وزيارة الاخوان وتهاديهم (لا بالرشى باسم الهديه) وتكريمهم والمصافحه وافشاء السلام والتحيه ووجوب ردها او ردها باحسن منها الى غير ذلك مما يضيق المقام عن حصره . وانت العليم بتفاصيل امره . ثم لم تكتف حتى بكل ذلك دون ان فرضت في اموال الاغنياء حقوقا للفقراء — بعد ان هون على ارباب الغنى بما ملأ به اسماعهم على السنة سفراء وحيه وحملة امره ونهيه — بان المال كله لله ومن الله وهو وارث الارض ومن عليها وانه هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده . وانه يضاعفه اضعافا مضاعفة ثم تنازل وهو رفيع الدرجات حتى جعل نفسه مقترضا من خلقه مستربحا على عباده (مَن ذا الَّذي يُقرِضُ اللهَ قَرضاً حَسناً فيضاعِفه لَه اضعافا كثيره) ثم قال جلت نعماوءه ﴿مَثلُ الذين يُنفقونَ اموالهم في سَبيل الله كمثلِ حبَّةٍ أَنبتت سَبع سَنابل في كلّ سُنبلة ماة حبّه والله يضاعِف لِمن يشاء﴾ مع ما في ذلك من كسر سورة القسوة والجفاء وعلاج رذيلة الحرص . كل ذلك ايعازا الى عقد روابط الاتحاد . وتحريك عواطف الاخوة بين جميع افراد عناصر الامه فقيرها وغنيها . ضعيفها وقويها . ثم زاد ذلك تاكيدا واكده مزيدا . بما ندبته بل اوجبته — هذه الشريعه من سنة اجتماع المتجاورين في مباءة واحده كل يوم وليله عدة مرات . ثم اهل البلد كافة في كل اسبوع . وساير الامه على الاختلاف والتعاقب كل عام — كل ذلك لغاية ان تتعارف الافراد وتلتئم الشعوب . وتتوحد الاجسام والاشباح . توحداً عساه يدب الى القلوب والارواح . كلا فارجع البصر ، واعد النظر . فيما قدمناه من تلك الفرايض والحقوق التي فرضها الاسلام للفقراء في اموال اهل الغنى والثراء . التي يجهل الساقطون في رذيلة الحرص . نفوذ تاثيرها في رقي الامم وعلوها . وثروتها ونموها . فردا وجماعه ، ادبيًا وماديًا ، جوهريا وعرضيا . — الا تنظر الى هذه الامم الراقية برقيها الطريف وتمدنها الحديث ، كيف انتبهت لتلك الجرايات ووضع تلك الفروض الماليه . حيث قصرت شريعتها عن تشريع مثله . فاخذت تنشىء المستشفيات والبيمارستانات وكثيرا من المشروعات والشركات . وتخصص ارباحها كلاً او بعضا لتوسعة مدارسها ، ومكاتبها وكنايسها . ونشر اديانها ومعارفها . وعمارة كلياتها وترقي كمالاتها .

ثم تخصص طايلا من ارباح شركاتها لخصوص دعاة دينها وحماة ماتها ونشر اناجيلها على ايدي المبشرين والمرسلين الى اطراف الارضين واقاصي المعموره · هـذا بعض مساعي الشعب والدهماء منهم لاديانهم · امّا او عطفت النظر الى ذات دُولهم وما تبذله من القناطير المقنطره والملايين من الذهب والفضه في ذلك السبيل لأعجزك الاحصاء واوقفك البهر موقف الدهشة والحيره

امّا الاسلام (ويا حرسه الله) فمن احدى معجزاته · وكبرى كراماته · انه ما زال بعد اهليه الاوّلين — يدعو الى نفسه بنفسه · ويحامي عن ذاته بذاته · ويذب عن عرضه بجوهره · ويستنير في ظلمات المذاهب والاديان باوضاحه وغُرره — امّا نحن (ونحن الذين نزعم انّنا اهله اليوم) فما اغناه عنا ، بل ويا ليت الاسلام سلم منّا ، فنكون كفافا لا عليه ولا له ، لا ننفّر بسوء افعالنا عنه ، ولا نُدخل فيه ما ليس منه ، فنشوّه مليح محياه · وجميل سجاياه — ثم بين غضون القرون وفي حقايب الحقب لو اتّفق على الندره — نهوض ذي حميةٍ اسلاميه — يحامي عن الاسلام او يدعو اليه ، فاخوف ما يخافه على نفسه ، نفس الأقربين منه والمنتمين اليه · نعم · لا يخاف الّا سيل تلعته ، ولا يحذر اطفاء جمرته الّا من طايفته . . .

الَا وان غاية الغرض واقصى القصد من دعواتنا هذه — هو نصيحة اخواننا المسلمين كلاًّ · وتنبيههم كافه الى مايعلمون به وهم ذاهلون عنه — من ان الاسلام قد عاد غريبا كما بدء · على ما انبأ عنه الصادع به (ص) والاسلام في اشد الحاجة اليوم الى ما كان محتاجا اليه بالامس — من اتحاد الكلمه وجمع شتات عناصر الامه · والتحزب والتألف بجامعة كلمة التوحيد المقدسه · والتعاون والتعاضد بقوة العلم وسطوة العمل ومدافع الهمم · ومناور العزايم — نصرة لله الذي ضمن نصرةَ من نصره · واعزاز من اعزّ دينه وعزّره · إن تَنصُروا الله ينصركم ويثبّت اقدامكم (استنصركم لا من ذلّ واستقرضكم لا من قلّ) (استنصركم وله جنود السموات والأرض وهو العزيز الحكيم · واستقرضكم وله خزاين السموات والارض وهو الغنيُّ الكريم) — فاللهَ اللهَ ياعباد الله في حظوظكم من السعادة التي ساقها الله اليكم · وصبّها عليكم · وجعلها بين ايديكم رافة منه بكم ورحمة وحنانا عليكم · لاحاجةً اليكم ، فعليكم بالصبر والمثابره · والمكانفة والمكاثره · والتعاطف والتآلف · وقمع ضغاين العصبيه · وغضّ النظر عن الاختلافات العرضيه · فانتم اهل الشهادتين وجامعة السعادتين

وليس اليوم في الارض دين كدينكم . ولا قوانين كقوانينكم . ولا قرايح افهام كقرايحكم ، فلا تكن غيرتكم فيكم . وقوتكم عليكم . فتفشلوا وتذهب ريحكم . بل تنفصم عراكم وينقصم قراكم . وتهي قواكم وتمكنون عدوكم منكم . وتفتتون في اعضادكم فتّاً ، وتعودون كما قال سبحانه (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) احوج ماتكونون الى عواطف الوده . وروابط المحبه . التي بها حياتكم . ومنها ينابيع سعادتكم ، والله لي ولكم . فهو اقصى كل امل وغاية كل عمل وهو ارحم الراحمين

وحيث قد بثثت بعض دعواتي لاخواني المسلمين ربط الله قلوبنا بروابط عرى الوحدة والتوحيد . والهمنا لصالحنا الاصابة والتسديد . فخليق بنا ان نعطف اعنة اقلامنا الى دعوة زملائنا المسيحيين . جمعنا الله واياهم على الهدى وكلمة الحق حيث كانت واينما وجدت . فالله جل شانه هو الشهيد = ان ليس اقصى قصدنا وبغيتنا سوى ذلك وليس عندنا تعصب ولا عصبيه لمحمدية او مسيحيه ولكن مادعونا الا الى ما قادنا البرهان وساقنا اليه الدليل والوجدان والله على مانقول وكيل

وحيث الى اهل التثليث ، يساق في دعوتنا الحديث ، فنحن قايلون لهم: يا ايها الصيارفة النقاده ، وارباب القرايح الوقاده ، ياذوي الافكار الحصيفه والآراء المريره ، والعقول الحره ، والاوضاح في العلوم والغره ، انتم ايها النياقدة والصيارف ، ومهرة العلوم والمعارف ، انتم يا طلاب الحقايق بالنظر المصيب والاحساسات الصوادق ، انتم يا خالعي ربقة التقليد وقيود الجمود ، والمتأبين عن التأبين باتباع الآباء والامهات ، والمتمدين عن الوقوف على قديم العادات ، ومناواة الحق والمعاداة ،

اين تذهبون ، وانى تصرفون ، وكيف توءفكون — هذا الدين الحنيف هذا المذهب الشريف ، هذه الاعلام قايمه ، والسنن واضحه ، واعلام الحق لايحه ، هذه الشريعة المحمديه ، هذا التوحيد والاحديه ، هذا الدين العربي هذا القرآن والنبي ، هذه النواميس الآلهيه ، هذا الدين والمدنيه ، هذه القوانين الحره والاسس العقليه ، التي جاءت لتهذيب النوع البشري

والقيام بكل صالحه، والدلالة على جميع اسباب سعادته، والارتقاء به من حضيض الجهل الى اوج العلم والادراك، واخراجه من مشابهة العجماوات الى مشابهة الأملاك

ومن هنا كان سلام الله عليه رحمة للعالمين ع وخاتم الانبياء والمرسلين . ومهما تقدّم اهل التمدّن الجديد والناشئة الحديثه من الغربيين . وتأخر عنهم في الحضارة والعمران ساير المسلمين . فما هو الآ آية من آياته وبعض انبائه وبيناته ع ليعلم المعتبرون والمتدبرون ان الاخذ بشرايعه المطابقة للعقل الموافقة للفطره يوجب الرقي والانتظام وان كان ممن لا يومن به—والاسترسال بها والتهاون فيها يستدعي الانحطاط وفساد النّظم ولو كان من مصدق له وموقن فيه ولا تحسبن هذا القول جزافا — فان تراجم هذا القرآن الكريم وتفاسيره اليوم عند القوم ليس من المبالغة لو قيل انها تنيف على ما عند المسلمين بكثير وبعد هذا كله فياهل ترى ان الامة المسيحيه قد قنعت منّا بذلك—كلاّ—اذاً فما الذي يقنعها في اقامة الحجج وايضاح المنهج واراءة السبيل وتسجيل الدليل اتريد منا ان نفتح لها ابواب السماوات اوننزّل عليها كتابا من الله على ايدي سكّان بعض هذه الكواكب والكرات (يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة) اونأتي لها بالمعجزات التي جاءت بها الانبياء الى اممهم كلا وكلا ثم هيهات وهيهات انّ ذلك كان حيث كانت العقول معقوله والفطر فطيره والافكار جامده والقرايح خامده والناس همجا رعاعا لاحظ لهم من العقل ولا نصيب لهم في المعقولات لاينقادون الا بخارق للعاده خارج عن مجاري نواميس الطبيعه اما اليوم وما قبله وبعده والعقول بهذه الاستنارة والافكار بما ترى من السعة والاداره فلا معجزة ولا حجة على العبد سوى نفس هذه الديانه وما اشتملت عليه من المشروعات والموضوعات المطابقه للعقل الموافقه للفطره في اساس اصولها وكثير من اركان فروعها فالعبد ان اعمل الفكره واجهد التعقل اصاب الحق لامحاله ولا سيما بعد خلع رداء العصبيه وفض ازرار اوزار الحمية الجاهليه اللتين في الاكثر هما السبب الوحيد في حيد المرء عن قصد سبيله وردّه عن الانتفاع بحياة عقله ومصباح فطنته ومقتضي فطرته ثم ان اعترف بعد الفكرة فاز . وان جحد او اعرض عن النظر فقد غلقت رهونه واخفقت سراياه واستحق العقاب فالله الله

يا عباد الله وائمة المسيح ولا اقول عباده ، فاني لا انبزكم بهذه الوصمه ولا أتهمكم بهذه التهمة ولا اقول ان عقولكم قصرت عن ادراك دحوضها . ولا انّ حظوظكم من العلم لم تتسع لسبر حضيضها . مع وضوحها وبداهتها ولا استيقن انكم غفلتم عن كون المسيح سلام الله عليه هو مخلوق مثلكم مردود اليكم ولا ان صحة نبوة محمّد صلوات الله عليه قد خفيت عليكم مع كل تلك المعجزات الباهره للفطرة — المستنيرة في العقول ، فالله الله يا عباد الله لا تفوتنّكم السعـادة الأبدية والحياة السرمدية والنعيم الدايم والمجـد المؤبّد والسرور المخلّد الله الله ياعباد الله الا لا يكن حالكم معنا حال اليهود معكم في اصرارهم على العناد ومصادمة البديهة في انكار نبوّة عيسى ومباهتتهم بالتكذيب له والتشنيع عليه وقولهم فيه تلك الاقوال الشنيعة والتجاسر عليه بتلك الافعال الفظيعه وقد رأيتم شريعة الاسلام كيف اعلنت بمجده وقامت بواجب حرمته واحترامه وكيف اعطاه كتابنا الكريم حقه من الثناء وانزله منزلته من العظمة والرفعة الى السماء وتأبى المروءة والتكرم ان تقولوا في محمد (ص) ما لا يليق به ولا ينبغي له من الكذب على الله معاذ الله في دعوى الرساله وزعم النبوه وقد كان في غنىً عن ذلك بما عرفتم من صدقه وامانته وجلالة قدره عند قومه وهو الذي دون ما فيه ما قيل فيه في عصره صلوات الله عليه

فأحسن منك لم ترقط عيني ... واجمـل منك لم تلد النساء

خُلقت منزّهًا من كل عيب ... كأنك قد خُلقتَ كما تشـاء

واما وشرف الاديان وحرمة المذاهب ان من اعظم الاسف الباهظ ان تسوء عندكم سخايم اليهـود واحوالهم ثم تصبحون مثلهم سواءً بسواء تاخذون امثلتهم وتحتذون شاكلتهم حذو القذة بالقذه وما هم منكم بواحده ولا يومكم منهم بواحد الله الله ياعباد الله الا لايخدعنكم عن الحق ويميلنّ بكم عن صوب الصواب مقـالات بعض المنتسبين الى النصرانيه وما هم منها بشيء المتخذينهـا ستارا وجنّه وهم يطعنون في نحرها ويركلون بأرجلهم في صدرها ويدفعونها بكلتا يديهم وهم الطاعنون في شريعة الاسلام وشارعها بمطاعن تتوجه بوحدة الملاك الى شريعة النصارى بل الى كل شريعة من الشرايع الالهية فتجدهم يسخرون بمعجزات محمّد ويستهزءون بها استهزاءً يومي الى السخرية بمعجزات جميع الانبياء من محمد وعيسى وابراهيم وموسى عليهم سلام الله جميعا

اذ الجهة واحده والمشابهة ثابته وما حقيقة الحال في اولئك القوم الا انهم قوم من الزنادقةوالملاحده والطبيعيه والنيشريه المنكرين لاصل الصانع الحكيم المناوين والناصبينالعداء لكلية المذاهب وكافة الانبياء

واما وشرف الاديان وعزة النواميس الأ لهيه كلها انه لما يلزم و يحتم ان يتفق جميع اهل الاديان والمذاهب ويكونوا يدا واحده في قطع دابر هوءلاء الزنادقه والملاحده وتنقية الارض من جراثيم افرادها المهلكه وميكروبات كروبها القتاله التي تعمل على ان تهلك الحرث والنسل وتسعى في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين

فلا ينخدع زملاوءنا المسيحيون باقوالهم وخدعهم ولا يتخذها (البرتستانيون) رأس مال لأغواء المسلمين واضلالهم على ايدي رسلهم والسنة دعاتهم فان اقصى ما يحصل لهم من ذلك العناء ان يحيدوا بالناس عن الصراط المستقيم وطريقة الحق والعدل الى ملة الجور والفسادملة الزندقة والالحاد وامّا الخروج عن الاسلام والدخول في النصرانيه فذاك مماّ لم يكن ولن يكون ابدا ء وهذا من احدى فضايل الاسلام وطوايله التي اختص وامتاز بها عن غيره فانّك من اول انتشار نور الاسلام الى يومك هذا لاتحصي احدا عريقا في الاسلام قد رجع عنه وصار يهوديًا او نصرانيا وما اكثر من اهتدى للاسلام منهم بحيث لو ان احد افاضل المسلمين يفرغ وسعه لأفراد موءلف في هذه الخطه لجاء موءلفا فخما واحصى منهم قدرا وافرا اذاً فما هذا العناء الشديدوالاهتمام بما ليس عليه مزيد نعم ان (البرتستانت) ولا سيما في اكثر اعمالهم الدينيه قد شوّشوا الاذهان واوهنوا قاطبة الاديان حتى ملتهم ودينهم فعسى الله ان يأتي بالفتح اوبأمر من عنده فيكفّوا عن هذه الشرور والمضرات وييأسوا من تلكم الطماعات فانه اليق بمقامهم وابقى لمجدهم والله وليّ التوفيق انا ولهم اللهم وقد بذلت لجميع عبادك نصيحتي وبلّغت الى الكلّ دعوتي اللهم واني بعونك وتوفيقك لو حاولت واردتان اضيف الى هذا الجزء العشرات بل المآت من امثاله كل ذلك في شرف دين الاسلام وعزّته وكماله ومجده وانه هو الهداية العامة للعالمين. والرحمة والبركة والتتمه والكمال لكل دين. وجامعيته لاصول العمران وحقيقة التمدّن والحضاره لجريت ومضيت على ذلك سحابة عمري واعوامي لاسحابة شهري وايامي ولماوقفت من فضلك اللهم ولا انقطعت ولكن (من لم ينتفع بالقليل لم ينفعه الكثير) حديث شريف يشهد به العقل والضروره

اللهم وهذه نصايحي لخلقك ، ودعواتي اليك بين عبادك ، مستشهدا بك وانت خير الشاهدين على خلوص طويتي ، وصحة قصدي ونيتي ، غيرةً على دينك ، ورغبة في عفوك ورضوانك ، وغريزةً انت جبلتها على حبّ النجاة والسعادة لكل عبادك ، عاملا بجدي وجهدي ، واقصى كدّي وكدي ، على وحدة اهل توحيدك ، وتسالم كل خلايقك ، متفانيًا على دينك ، متفاديًا له بحياتي وانها لأهون قطرة دم تراق في سبيلك ، اللهم فان قبلوا دعواتي هذه وأقبلوا عليها فبفضلك ولطفك ، وان ردّوها وتقايلوها فعندك احتسب عنائي ، وعلى كلٍّ فلديك املي ورجائي ، في حسن جزائي ، ياغاية كل سُول ، ونهاية كل مأمول ، يانعيمي وجنتي ودنياي وآخرتي ، يااقصى امل كل آمل ، يامن لايضيع لديه عمل عامل ، ولاتخفى عليه سريرة مستسر ، ياأكرم الاكرمين ويا ارحم الراحمين

تمّ تسويد اصله في اوايل ربيع الثاني من شهور سنة الالف والثلثمائه وثمانية وعشرين هجريه على يد مولفه — محمد الحسين بن علي بن الرضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء

﴿ تصحيح ملاحظات واستقالة عثرات ﴾

نبدء من ذلك بما وقع من السهو في بعض الآيات الكريمه . وقد اسلفنا لك اننا كنا نورد ما نزين به جبهات صحايفنا من غرر الآيات الشريفه . على ماهو العتيد لدينا والتليد في حافظتنا . من دون طريف مراجعه . وجديد ملاحظه . ومن جري ذلك فقد يقع السهو منا فلا تجيء الآية على وجهها لتغيير لفظ او حرف او حركة فيها او انخزال كلمة شريفة منها . ونحن نستدرك هنا ما فات . ونستقيل تلك العثرات . ونجعل الاعتراف كفارة سيآتنا ورايد حسناتنا . انشاء الله (منها) صفحة ١٧ سطر ١٢ (ولو ارسلنا ملكا) صوابه (ولو جعلناه ملكا) صفحه ٤٤ سطر ٨ (امّا منًّا واما فداء) صوابه (امّا منا بعدُ واما فداء) صفحة ٥٨ (وغيض الماء واستوت) صوابه (وغيض الماء وقضي الامر واستوت) صفحة ٥٩ سطر ١٠ (ما نريهم من آية الا وهي) صوابه (الا هي) صفحه ٦١ (وماقدروا الله) صوابة (ما قدروا الله) صفحة ٦٣ (يتبعون النبيّ الاميّ) صوابه (يتبعون الرسول النبي الاميّ) فيها (ورحمةً للمومنين) صوابها (ورحمةٌ) (انه تنزيل ربّ العالمين) صوابة (وانه لتنزيل) ٦٤ (ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله) صوابه (الى ذكر الله) امّا الواو في اوّل الآيه فهو من كلام المؤلف والكلام ينبتر بدونه ولا يلتئم بحذفه كما لا يخفى على من راجع نعم ينبغي تقديمه على الهلال ٦٥ فيها من غلط الطبع (فسالت ودية) صوابه (فسالت اودية) وينبغي تاخير الهلال عن موضعه صفحة ٨٠ (قل لو اجتمعت الجنّ) صوابه (قل لئن) ٨٢ (فذلك الذي) صوابة (فذلكنّ الذي) ٩٢ (لعلي اطّلعَ) رسم المصحف بالرفع والفتح له وجه صحة لا يخفى ولا يبعد انّ فيه قراءه ٩٤ (لا يبصرون اوكصيب) كان ينبغي وضع صفر اونحوه للاشارة الى تجاوز آية بينهما (فيه رعد وبرق) صوابة (فيه ظلمات ورعد وبرق) ٩٥ (مما تأكل الناس) رسم المصحف يأكل وللتاء وجه ظاهر ولعلّ فيه قراءة . صفحه ١٠٨ سطر ١٩ (وعد الذين) صوابه (وعد الله الذين) ١١٨ (انه ربي اكرم مثواي) صوابه (احسن مثواي) فيها (فلما رأينه اكبرنه) انخزل بعدها (وقطعن ايديهن) ١٢٧ (ومن يهتدي فانما) صوابه (ومن اهتدى) صفحة ١٣٠ (يقولون كلّ من عند ربنا) انخزل منها (آمنا به) صفحه ١٦٩ (سبحانه انىّ يكون) صوابه (ان يكون) وقد صححناه تحت الطبع فاختلفت النسخ . اما ما في صفحة ٨٤ من قوله تعالى (فالق الاصباح وجاعل الليـل سكنا) فان رسم المصحف وان كان بجعل الجملة الثانية فعليّة ولكن ما رسمناه من الاسميه

هو اشهر القراآت واصحها كما ذكر اعيان المفسرين وهو ظاهر حتى ان من قرأها فماية اولها بالاسم ليحسن او ليصح العطف كما لا يخفى امّا حذف واو العطف او الفاء من بعض الآيات فذلك لاننا لم نذكر المعطوف عليه منها وانّما يلزم حيث يذكر او يوءتى بتمام الآيه لا فيما يتعلق الغرض بايراد بعضها وهذا كادخال حرف العطف او الفاء اللذين ليسا من الآية لربطها بسياق الكلام المتعلق بها وكل هذا ليس من تغيير الآية في شيء وانه لمستعمل عند ارباب التأليف شايع ٠ ومتداول مستفيض ولا سيما عند الطَّبقة العليا من الكتّاب وارباب الرّسايل وعلية الفصحاء فتتبَّع وراجع ٠ على ان جزوات قليلة كهذه وهي تشتمل على ما يناهز المائتين من الآي ليس بجالل ان يقع في بضع عشر موضع منها شيء من السهو والنسيان وهما وما ادري الطبيعة الثانيه ام الأولى للانسان (وما أبرّئ نفسي)

امّا مواضع السهو والغفلة فيما عدا ذلك فكثير ايضـا ولكن قد يحسب من الغلط ما ليس منه بل له وجه في العربيه عوّلنا عليه وجرينا في بعض المواضع على نهجه ٠ وان كان الشايع المألوف سواه منها صفحه ٢ سطر ١١ (نمهد للمقدّمة امور) قد يُظن ان هذا غلط في العربيه وان المتعين هو الوقف بالالف مع ان اكثر علماء العربيه قد ذكروا في باب الوقف ان في المنصوب ثلاث لغات الوقف عليه بالسكون كالمرفوع والمجرور والوقف بالالف ٠ والوقف بالتنوين حتى ان السكاكي في صرف المفتاح قال ما حرفه : ولك على الجواز ان تقف على الالف بحيث يظهر منه ان السكون اولى ولكن ذكر غيره ان الشايع هو الوقف بالالف ٠ واقول ان هذا لاريب فيه ولكن لا يصيّر غيره غير جايز ٠ هذا الشريف الرضي وهو سيد علماء العربيه وافصح من في عصره في شعره ونثره خذ اليك ديوانه الاغر وانظر في قصايده الساكنة الروي مثل التي يقول فيها

ومغانٍ انبت الحسن بها   هيفاً ترعاه عيني وغيد

ويقول (وذراها يطلب النجم صَعَد) وكذلك ارجوزته الـتي تتدفق برونق البداوة العربيه التي اولها (ابا نزار تفسد القوم النعم) (غفلك الوُجدو ذكّاني العدم)

ومن قوله فيها (حيث ترى تلك المجالي والقمم) (يمسين غربانا ويغدون رخم) وفيها له نظاير كثيره كما في ساكنته الاخرى من هذا الروي التي يقول فيـها

اليس ابونا اعزّ الـورى   جنابا واكرم خالا وعم

وفيها (فكان بانف الدّياجي شمم) الى ما يضيق المقام عن احصائه من شعره وشعر النمرقة العليا والطراز الاوّل من ائمة الشعراء كالشيخ ابي تمام والبحتري والمتنبي

وانّما اوردت بعض الشواهد من شعر الشريف لاني وان كنت لا افضِّله عليهم في الشعر كما لا افضلهم عليه في مسلكه الخاص به من الحماسة والشموخ والرفعة والعزة النبويه والطلاوة والبداوه ، ولكني اقدّمه عليهم في استقامة اللسان وثقوب الذهن ونباهة الهاجس والمهارة في العربيه طبعا وصناعة • وعلما وذوقا • وخاطرا وادبا . والغرض ان الوقف بالسكون في مثل ذلك اكثر من ان يحصى في الشعر والنثر من الطبقة العليا وما دونها وقد ورد في الشعر بكثرة يمتنع حملها على الضروره (فان الضرورات مقدرات لا مطردات) وما جاز في الشعر باطراد جاز في النثر مثله ولولا ضيق المجال لاوردت لك مايفغرك ويبهرك على ان فيما ذكرنا غناً وكفايه ان شاء الله — وبناء على هذا فقد ورد في هذه الجزوات كلمات من هذا القبيل على انها لاتبلغ العقد الاول من الانامل ولا حاجة الى التنبيه عليها بعد ان ذكرنا وجهها ومدخل صحتها — كما اننا ننبّه على ما لعله يحتاج الى التنبيه من غيرها صفحه ٢ سطر ٩ (فلنحتككك غرايز العقول) هو من احكني لحكته . لا من احتك الاجرب بالخشبه واحتكت الدابتان فلا يتعدى ، فيها . (العريق اللصيق) اصل معنى اللصوق كما هو ظاهر — الاتصال الشديد والربط المحكم المعبر عنه باللزق وهو المراد في هذا الموضع وامثاله حيث يعطف على العريق اي الاصيل بالشيء المتصل به اشد اتصال اما اللصيق بمعنى الدعيّ في الشيء او الاجنبي منه فهو مجاز لايستعمل الا في موارد تقوم فيها القراين والامارات قال في الاساس (ومن المجاز فلان ملصق او لصيق دعي) فلا يتوهم * اتفق لنا في موردين او ثلاث استعمال الوعز والايعاز بمعنى الاشاره حيث نقول مثلا في صفحة ٢٠ سطر ٣ (ايعازا الى العصمه وايماء الى وجوب المعجزه) وكذا في غيره . والمعروف من الايعاز التقدم بالشيء فيقال اوعزت الى فلان اي تقدمت اليه بكذا ولكن في كثير من المعاجم ماهذا نصه (وعز اليه في كذا يعز وعزا تقدم واشار) وعليه فلا اشكال كما اننا قد استعملناه بمعنى التقدم كثيرا . وقد نستعمل الوسط بمعنى البيئه والمحيط — لانه ورد فيها هكذا وسط القوم والمكان يسطهم وسطا وسطة . جاس وسطهم فهو واسطة وقالوا في البيئه انها المنزل وهما كما ترى يتقاربان او يستويان

المطابقة بين المبتدا والخبر في التذكير والتانيث غير معتبرة في كل مورد والنحويون يقولون (الكلمة قول مفرد) وقولنا صفحة ٥١ سطر ٢٢ (والوقفة عند تلك الأحتمالات مخل بنظام الكون) انّما المراد عمل مخل او شيء او شبه ذلك من الاسماء العامه كما يدل

المقام عليه · وقع في كلامنا استعمال (اراكين) في مقام او مقامين وهو جمع اركون —الدهقان العظيم صفحة ١٥٣ سطر ٢٤ (كانّ ذلك تحقيقا لقول ذلك الوديع)هو مفعول مطلق مسلط عليه عامل من لفظه واجب الحذف على نحو (سقيا ورعيا)والغرض التاكيد (كانّ ذلك محقق تحقيقا) · قد استعملنا مادة التحوير في موردين او ثلاث واصل التحوير الرجوع والنقص والردّ وكلها متقاربه فقلنا صفحة ٣٦ (تحوَّرت الاديان عن صبغتها الاولى) نريد انها رجعت وردت — وكذلك قد استعملناها في مقام آخر حيث نقول آخر صفحه ١١٠ نعم قد بلغ البيان منهم في نفوذ التأثير وامتلاك التبديل والتغيير وتحوير صفات المجتمع — — اي ردصفات المجتمع — فان كان للتحوير معنى مولَّد فذاك لا نعرفه ولم نستعمل هذه الحروف فيه

قلنا في صفحه ١٤٣ سطر ١٩ (والبدر الذي لا يسري اليه السرار والكسوف) قد يحسب ان الانسب هنا (الخسوف) ولكن الاصل في الخسوف — الاساخه والذهاب فخسفنا به الارض وخسف الله الارض — اساخها والاصل في الكسوف الحجب والتغيير وهو يجري في الشمس والقمر على سواء كما صرح به اللغويون وفي قول جرير — الشمس طالعة ليست بكاسفة الخ شاهد له حيث جعل القمر والنجوم مكسوفه ٭ وعلى هذا فمن راجع المقام يتضح له اولويَّة استعمال الكسوف او عدم مناسبة الخسوف اصلا فتلطَّفْ استعملنا (أحتار) في صفحه ٦٩ قياسا على اختار واجتاز وان كنا لم نتحقق ورودها في اللغة فان لم يكن لها وجه صحه فليكن مكانها (احار) · قلنا في صفحة ٧٤ (ولكن على ان كلامه فيها على الحال التي وصفنا) وقد يحسب ان على تفيد معنى لكن من الاستدراك — وليس الامر كذلك فان على هنا ليست للاستدراك بل للمبالغه والترقي مثلها في قولك فلان فاضل ولكن على انه في غاية الفضل لا يبلغ مرتبة فلان · انظر كيف ينبتر الكلام ويقلق بحذفها · الا ترى كيف لا تغني واحدة عن الاخرى

في صفحة ٣٣ سطر ١١ استشهدنا على خرق نواميس الطبيعة احيانا بما اشتهر من بقاء السمند في النار الخ ويقال ان الفلاسفه من المتأخرين ينكرون ويدَّعون انها من مزاعم الاقدمين وان الدليل قام على خلافها — وهذا ان ثبت لا يضرُّ بالدعوى التي كنا في صدد اثباتها وهب انكروا ذلك افينكرون اكل النعامة للجمر واكل الظباء للحنظل وكل منها مشاهد محسوس وامثلة انخراق النواميس الطبيعيه لا تحصى ولا ينكرها حتى الفلاسفة المتأخرون وما اكثر ما عجزوا عن تطبيقه على تلك النواميس

مما يسمونه بفلتات الطبيعه ومنها الاعضاء الاثريه في الانسان والحيوان ولوضوحها استغنينا عن اطالة الكلام فيها هنا وهناك . في صفحة ١٢٤ قلنا ان توراة اليهود غير توراة النصارى الخ نعم هي غيرها فان توراة اليهود عبرانيه وهو اللسان الديني عندهم الذي لا يجوز تغييره لديهم كالعربي في الاسلام لا تجوز الصلوة والقرآن بغيره امّا توراة النصارى فعند العرب عربيه وعند السريان سريانيه وهلم جرا كل قوم بلغتهم وايّ مغايرة تريد اكثر من هذا على ان من سألناه من اليهود عن هذا الامر كان يدّعي اختلاف الجوهر في مواضع ايضا ولا غرابة في ذلك بعد ان كانت نفس الاناجيل مختلفة عند نفس النصارى فانجيل البرتستانت يغاير اناجيل ساير الفرق والكنيسة الكاثوليكية والكرسيّ الرسولي يرفض انجيل البرتستانت ويحرّم الصلوة به وايّ اختلاف اعظم من هذا وهل تجد عند فرق المسلمين مثل هذا في القرآن العظيم والذكر الحكيم الذي تكفل الله بحفظه . صفحه ٣ (سايرٌ يريد ان يطوي) هو ابتداء كلام لتصوير الحال وضرب المثال . لاحال مما سبق ؏

امّا غفلات الطبع او المطبعه ومواقع سهوهما فنحن نرسم بعضها ونحيل معرفة الباقي الى فطانة الناظرين فانها مما لاتخفى عليهم لوضوحها انشاء الله ونفصل بين عدد الصحيفه وعدد السطر بخط عرضي كالفصل بين الخطأ وهو المذكور اوّلا والصواب وهو التالي له ؏ صفحه١٣ سطر ٩ (ولاتخطوا) صوابها (ولاتخطو) صفحه ١٦ — ٤ (فهدا) — (فهذا) آخر صفحة ١٨ في وايل — في اوايل ٢٣ — ١٣ اساسها التي — اساسها الذي ٣٢ — ٢ (ابي حامد) — (ابا حامد) آخر ٣٦ (المذاهبُ) — (المذاهبَ) ٣٧ موسى ابن عمران بن عمران . ٤٠ — ٣٢ قيايل — قبايل ٤٢ = ٢٢ جسمانيةٌ — جسمانيةً ٤٤ — ٦ روحيةٌ روحيةً — فيها سطر ٧ الذي خطبها — التي خطبها صفحة ٤٥ — تعاليم — تعاليم فيها ١٥ — يتعادلا في العيار ويتساويا — يتعادلان • ويتساويان — فيها سطر ٢١ اتها — انها ٤٦ = ٥ ولامتهم — ولا متّهما — فيها ولا دفعا ولا صلاحا — ولادفع • ولا صلاحَ ٤٩ — ١٢ (بواحدة ولا اثنين) = ولا اثنتين • ٦٣ — ١٤ رحمةٌ وخسران = رحمةً وخسرانا ٦٦ — سطر اوّل من الحاشيه بجادل = مجادل . ٧ — ١٦ فان فيه شفاءٌ = شفاءً غره ٨١ صوابها ٧١ صفحه ١١٤ (ابي تمام) — ابا تمام — ١١٧ — ٢١ (نوع) صوابه نوعا صفحه ١٢٣ سطر ١٧ خير — خيرا ١٢٥ — ٨ ويقصرونها — ويقصردونها ١١ منها — التي = اللتان ٢١ منها — والعاملين — ومن العاملين ١٢٦ — ٦ وتخالهم

اوزاع — اوزاعا ١٣٥ = ١٦ (وايقفل)= او يقفل ١٣٩ — ٥ الذي هبّت فيه = التي هبت فيها ١٤٥ — ذو حظ — ذا حظ ١٧٠ — ٧ تميلل — تميل ١٧١ = ١٠ اتم — ثم وقد أُصلحتْ بعض هذه التحريفات في اثناء الطبع فجاءت النسخ مختلفه = وهذا قد ربما عثرنا عليه عند المراجعة بعد نجاز الطبع ، ونبّهنا على بعضه بعض الافاضل ونحن لا نأمن على انفسنا الغلط حتى في تصحيح الغلط ، وان كان السهو والنسيان من جبلة الانسان . وتختلف في افراده قـلة وكثره . فنحن نعترف ان نصيبنا منها الوافر . وحظُّنا منها الكثير فعسى ان يكون الاعتراف كفارة لخطايانا وماحياً لسواد سيئاتنا ومقيلا لسوء عثراتنا ان شاء الله على اننا نرغب الى جميع من تصل اليه دعوتنا هذه من الافاضل الكرام ان يوسعوها نقدا . ويتوّغلوا فيها محصا وفحصا . ونظرا وبحثا . ويجعلوا ذلك اكرم هدية منهم الينا . وايُّ هدية انفس من هدية العلم والافاده ، والارشـاد والدلاله . سوى ان حاجتي اليهم وطلبتي منهم ان لايتسرعوا في الحكم ولا يشددوا في النكير ، فلعل لما انكروه وجه صحه ، ومخرجا في العربيه ، او سندا في الامور العقليه والمباحث النظريه ، والعصمة لله وحده ، — لا وربك نحن لا يهمنا ان نُرمى بالخطأ او نكون قد اخطأنا او نسينا — وان كنت لا احب لنفسي سوى الاصابة والتثبت — ولكني حريص ان لا يختفي مرادي ولا تحتجب عن القراء مقاصدي ، وقد ذكرت في الجزء الاول صفحه ٥١ ان الدين اكبر وازع ورادع للنفوس وانه يستحيل بدون الدين قمع الشرور من نفوس البشر وقد اقمنا البرهنة هنالك على ذلك بما حسبناه قد تجسم حتى صار يلمس بالكف ويُرى بالعيان ولكن قد يقصر البعض عن الاحاطة بتلك الجليه ويحسب ان الخاصه والعلماء لو لم ينتهوا عن الشرور الا محافظة على صحتهم وحياتهم التي لا يرون حياة بعدها لكفى طمعا بحسن الذكر والمحمدة . . . وهل هذا الا من الغفلة عما اردناه فان جوهر ما قلناه هناك انَّ هؤلاء الخاصة والعلماء لو امكنتهم خيانة او جناية وكانت تزيد في صحتهم وطول حياتهم على الفرض ولم تكن تخل بحسن ذكرهم للأمن من وقوف احد عليها ابدا فهل يُعدُّ تركهم لها مع امنهم من القصاص وموقف الجزاء الا سفها منهم من غير ماعوض ولا مكافاة وهل يردع عن مثل هذه الشرور الا وازع الدين والاعتقاد بالجزاء الذي هو المسيطر على الانسان وهو معه اينما كان وان لم يكن معه احد ، فحقًّا انَّ من لا ايمان له لا امانة له انَّما من يعاف الشر لحسن جوهره وطيب نجره فقد ذكرناه في عدَّة مواضع من الكتاب منها صفحه ١٤ وذكرنا انه نادر والنادر لا تناط به الاحكام (فتدبر هذا فانه حسبك وكفى)

﴿ فهرست الجزء الثاني من اجزاء الدعوة الاسلاميه ﴾

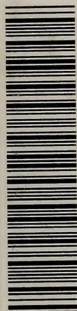
﴿ النبوة المحمديه واعجاز القرآن ﴾

والبلاغه من القرآن والمعجز مما هو دون آيه الى غير ذلك من المباحث والمقالات كلها من ٧٥ الى ١٠٥ نقل نبذة من كلام القاضي في (الشفا) في وجوه اعجاز القرآن الى ١١٠ التنبيه على ثلاثة امور مهمة . (الاول) ما للبيان والبلاغة من الشأن عند العرب . المعلقات السبع وان القرآن عرّف البلغاء البلاغه وسنّ لهم منهج الفصاحه (الثاني) ما حقيقة الاعجاز والبلاغه . سجود العرب للقرآن . وذكر شيء من الشعر الذي يتصرف في الشعور . وهل للبديع حظ من البلاغه . وما هو الحسن في كل شيء . (الثالث) في الامم المستعربه ومساعيها اللغة العربيه وتسخير الامم الاجانب عنها لخدمتها . وان اللغة العربيه هي الجامعة الاسلاميه من ١١٠ الى ١٢٧ مباحث المتشابهات والفلسفة فيها . الى ١٣٣ تحرير حجة الخصم فيما يتعلق باعجاز القرآن ودحضها نقضا وحلا . وبطلان الصدفه كبطلان ان اعجاز القرآن بالصرفه . حال العرب عند سماع القرآن . وكلام الوليد ابن المغيره . اعتراف الكتّاب والبلغاء ببلاغة القرآن حتى من يتهم بالزندقه . الفصول والغايات للمعري . واعترافه باعجاز القرآن الى صفحة ١٥٠ (توطئة وتمهيد) فيها مباحث جليله ومقالات اخلاقيه ومباد اجتماعيه وفيها ذكر كتاب (الهداية) في الطعن على الاسلام وصاحب الشريعه ونبذة من افتراآت الغربيين على الاسلام والمسلمين من ١٥٠ الى ١٥٨ الموازنة بين القرآن الكريم والعهدين الحديث والقديم . التوراة والانجيل وتعظيم القرآن لهما . التحريف فيهما وانهما ليسا ما في ايدي القوم . مسئلة الاقانيم ومحاورة الكاهن والفقيه . الثالوث واللعنة والذبيحه . (كل غلوّ في الاديان انما هو من مسئلة الاقانيم) ارتكاب الانبياء الخطايا عدا عيسى (ع) الجواب عن معصية آدم وغيرها من معاصي الانبياء . محمد (ص) خاتم الانبياء وشريعته خاتمة الشرايع . وشهادة العهدين بنبوّته . بعض الفروق بين العهدين والقرآن . كلام مع صاحب (الهدايه) الضلاله ونسبته الى النبي (ص) عبادة الاصنام . جامعية الاسلام والقرآن . حتى بشهادة من لا يقر بالاديان . كل ذلك من صفحه ١٥٨ الى ١٨٨ باقي معجزات النبي (ص) سبيل كل امة الى اثبات معجزات نبيّها . معجزة النبي (ص) بشهادة القسيس العبري . مثابرته (ص) على نشر دعوته الى صفحه ١٩٦ (الخاتمه) تشتمل على تنبيهات (ثلاثه) (الاولى) في التساهل والتعصب . وتعاليم الانجيل والقرآن في السلم والدعه . دسايس الغربيين للشرقيين . رسالة عبد المسيح وهاشم العربي . حفاوة الاسلام للملة المسيحيه من ١٩٦ الى ٢٠٨ (الثانيه) في شهادة حكماء الغرب للاسلام . ورسالة عبد الله كويليام الانكليزي الى صفحه ٢٢٩ (الثالثه) نصايح ودعوات للمسلمين والمسيحيين

﴿ اعلان وبيان ﴾

— يتلو هذا الجزء . بعون الله سبحانه — الجزء الثالث . وهو يتضمن ترجمة حياة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسيرته الطاهرة الكريمه . وفي صدر الكتاب مقدمة حافلة بمقالات حرية بالاعتبار جديرة بالنظر لها من الاهمية للمسلمين اسمي مقامة واقوم دعامة وانفع ما يجب ان يعتبره المعتبرون وينهج عليه الناهجون . ثم يشتمل الكتاب وراء ذلك . على خمسة مسالك (المسلك الاول) في ما كان لـه سلام الله عليه . من دلايل النبوة قبل بزوغ انوار ولادته وتشرف العالم بيمن سعادته . ونقتصر من ذلك على سوى بشاير الكتب المقدسه من بعض حوادث العالم ووقايع ملوك الارض من حين انتشار البشر في المعموره الى زمن اشراق الكون بشمس وجوده (ص) (المسلك الثاني) في ما كان له من حين شرف ولادته الى وقت تكريمه ببعثته وامره بالاعلان بدعوته وهو الدور الاول من حياته وهذان المسلكان — من الارهاصات باصطلاح القوم (المسلك الثالث) في ما كان له من حين اعلان دعوته الى ايام خروجه من مكة وهجرته . وهو الدور الثاني من حياته (المسلك الرابع) من حين هجرته عن وطنه . الى حين عوده الى ربه ورجوعه الى جواره . وهو الدور الثالث من حياته . فلحياته الطاهره سلام الله عليه ادوار ثلاثه قد بحثنا عن كل واحد منها بحثا مدققا فلسفيا (المسلك الخامس) في ما كان له بعد وفاته من المعجزات والوقايع التي اخبر عنها في حياته والاشارة الاجماليه الى ما وقع للاسلام من الفتوح والتوسع الذي ما كان ولم يكن الاّ من يمن بركاته والجري على تعاليمه — ثم انّ هذه المسالك وان كانت اشبه بالتواريخ والسير بل هي تلك فهي في سطحها الظاهر خارجة عن خطتنا وموضوع كتابنا الذي هو بكتب العلوم النظريه اشبه منه بكتب التاريخ . ولكن اتجاهات الكلام في الموضوع الواحد تختلف ونحن لم نورد الواقعه الا هي معجزة ودليل لا بما هي قصة وحكايه وما نتجاوزها حتى نأتي حسب الوسع والظروف على فلسفتها وما يتسع لنا من البحث والنظر فيها (والقصارى) ان الجزء الذي يلي اغزر مادة وتحقيقا وانفع اثرا . فعسى ان نجد من ذوي الفضل والغيرة ارتياحا واقبالا يورثنا نشاطا لطبعه ونشره وتعميم الانتفاع به وتعزيز اخويه به وما التوفيق الا بالله وما المعونة والنصر الا من عنده عليه توكلنا . واليه انبنا . واليه المصير

﴿ بلغت مجموع ملازم هذا الجزء احدى وثلاثين ملزمه في ٢٥٢ صفحه ﴾


3 1761 07996669 3